



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2



كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم علوم اللسان

العنوان:

الترباط النصي في القرآن الكريم  
سورة يوسف أنموذجا  
دراسة وصفية تحليلية في ضوء لسانيات النص

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في اللسانيات التطبيقية

إشراف الأستاذة:

د. فتيحة بلغدوش

إعداد الطالب:

مصطفى عباس

السنة الجامعية: 2021/2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان:12]

وقال صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»

أحمد الله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقى في إتمام هذا العمل المتواضع.

ثم أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذتين الكريمتين اللتين أشرفتا على هذا البحث: الأستاذة الدكتورة: فتيحة لعلاوي، والدكتورة: فتيحة بلغدوش، حيث إنهما سهرتا على تقويمه وتصويب أخطائه وهنّاته، بعلمهما الوافر، وصبرهما الجميل.

كما أقف شاكرا وممتا أمام أعضاء اللجنة المناقشة الموقرة الذين تجشّموا عناء قراءة وتقييم هذا العمل المتواضع.

كما لا يفوتني أن أشكر كلّ من شدّ بيدي ودفعني لإتمام هذا العمل، وأخص بالذكر أخي وصديقي الدكتور: حسين قاضي.

## إهداء

إلى روح والدي الذي كتب الله له أن يرحل عن هذه الدنيا قبل أن يرى هذا العمل النور

- رحمه الله -

إلى التي حملتني وهنا على وهن، ورافقتني في أيامي خطوة بخطوة، ورفعتني بدعائها يوماً

بعد يوم، أُمِّي الغالية

إلى التي تحمّلت غضبي وانفعالي، وكانت معي في شدتي ورخائي، زوجتي المخلصة

إلى شمعتي دجاي: لجين وأنس

إلى كل إخوتي وأخواتي وأصدقائي وزملائي وأساتذتي وكل من كان له فضل علي

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع.

# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأشرفان الأكملان على نبينا محمد الأمين صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

حظيت الدراسات اللسانية النصية باهتمام علماء اللغة في العصر الحديث، وذلك لما لها من دور كبير في خدمة البحث اللغوي الذي صار يبحث عن الوصول إلى نتائج أكثر دقة وموضوعية وشمولية، وذلك بالنظر إلى مجال الدراسة الذي لم يعد يقتصر على البحث في مستوى الجملة فحسب، بل توسع ليشمل المستوى الأكبر منها وهو مستوى النص، لكن هذا لا يعني أنّ هذه الأبحاث ألغت ما توصلت إليه الأبحاث في مستوى الجملة، بل إنّها جعلت الدراسات السابقة للجملة منطلقاً لها في البحث، وكانت الدراسات النصية توسيعاً للبحث اللغوي ليشمل النص كاملاً، إذ رأى علماء النص أنّ دراسات الجملة لم تخرج عن إطار الجملة إلا في إشارات دقيقة إلى العلاقات الدلالية التي تربط بين الجمل، كما أن الكثير من الظواهر التركيبية لم تُفسر في إطار الجملة تفسيراً كافياً مقنعاً، وأنّه ربما تغيّر الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة، وتلك الوحدة هي النص.

إن علم النص له من الأهمية البالغة، والدور الكبير في توسيع دائرة البحث اللغوي في ميدان الدراسات اللغوية الحديثة؛ حيث إنّنا لو أردنا أن نسجل كل المحطّات التاريخية التي مرّ بها علم النص الحديث لما تمكّنا من ذلك لعدم سعة المجال أولاً، ثم كثرة هذه المحطّات التي توقفت عندها علماء لغويون كثر أمثال: "فان دايك"، و"دي بوجراند" و"هاليداي"، وغيرهم من الذين حاولوا إثراء مجال علم النص كلّ حسب توجهه الفكري وانتمائه العلمي، إلا أنّنا نوجز القول في هذا المقام بإشارتنا إلى أنّ النتائج التي حققتها الأبحاث والدراسات النصية (النظرية والتطبيقية) قد أثبتت أهمية البحث في مستوى النص، كما أثبتت أيضاً أنّ الجملة لم تصل إلى كشف اللثام كشفاً تاماً عن بعض الظواهر التي تتعلق بمستوى الجملة في الأصل، وتتعلّق بمستوى النص كون أن الجملة

جزء من أجزائه، كالحذف والعطف مثلا، ولم تفسّر هذه الظواهر تفسيراً كاملاً إلا من خلال وحدة النص الكلية.

وانطلاقاً مما سبق وبالنظر إلى الأهمية التي يكتسبها علم النص والمكانة التي يحتلّها في الدرس اللغوي الحديث ارتأينا أن يكون موضوع دراستنا حول الترابط النصي في القرآن الكريم، حيث يقوم هذا البحث على النظر إلى النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى التي يتجه إليها المحلل، كما يعتمد في تفسيرها على مجموعة من القواعد الدلالية والمنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها.

أما فيما يخص أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فقد انقسمت إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، وهي كالآتي:

**الأسباب الذاتية:** وهي تلك التي تعلق برغبتنا الشديدة في المساهمة ولو بالنزر القليل في مجال لسانيات النص، وضمّ بحثنا هذا إلى قائمة البحوث التي جعلت النص ميداناً خصباً لدراساتها، كما أن من بينها أيضاً حبنا الشديد لمباحث لسانيات النص باعتبارها مجالاً يتوافق وميولاتنا الخاصة.

**الأسباب الموضوعية:** إنّ الأسباب الموضوعية التي جعلتنا نختار هذا الموضوع كثيرة ومتعددة لعل أهمها ما يلي:

- محاولة توسيع دائرة البحث اللغوي الحديث من خلال البحث في مجال لسانيات النص.
- البحث عن وسائل وعلاقات وآليات الترابط النصي في القرآن الكريم.
- المزاجية بين البحث اللساني عامة، والبحث في كوامن النص القرآني خاصة.

واعتمدنا في هذه الدراسة على كلّ من المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، أما المنهج الوصفي فظهر اعتمادنا عليه في الدراسة النظرية (الجانب النظري)، أي عند محاولة التعريف بمختلف الظواهر التي يمكن للدارس أن يستند عليها عند رغبته في الحكم على نص ما من حيث الترابط والاتساق والانسجام، أما المنهج التحليلي فاعتمدنا عليه في الدراسة التطبيقية، أي عندما أسقطنا ما توصلنا إليه في الشق النظري على مدونة بحثنا، فحاولنا أن نحلل مجموعة من النصوص انطلاقاً مما نظرنا له سابقاً، وتحليل مدونة البحث يقتضي منا إظهار مختلف الظواهر الموصوفة سابقاً وتحليلها بطريقة علمية صحيحة.

وقد قام هذا البحث من أجل الإجابة عن إشكالية رئيسية هي: ما هي الطرق المعتمدة في إظهار الترابط النصي في القرآن الكريم؟ وقد تفرّعت عن هذه الإشكالية جملة من الإشكاليات الفرعية وهي كالآتي:

- ما هي المعايير المتفق عليها للتفريق بين النص واللانص؟ وكيف يمكن إظهارها في مختلف النصوص؟

- ما هي أهم الشروط الواجب توفرها في النص المترابط بنوياً؟

- ما هي آليات الترابط المفهومي التي اتفق عليها علماء النص؟

- كيف يمكن استخراج آليات الاتساق النصي من سورة يوسف، وإظهار دورها في اتساق النص القرآني؟

- ما هي أهم الآليات التي تحقق الانسجام النصي في سورة يوسف؟

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات عنونا بحثنا بـ "الترابط النصي في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجاً، دراسة وصفية تحليلية في ضوء لسانيات النص".



ولمعالجة هذا الموضوع قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة، أما المدخل فتناولنا فيه مفهوم لسانيات النص، والجذور العربية لهذا العلم وعلاقتها بما نظّر له علماء الغرب من قضايا نصية حديثة، أما الفصل الأول فعنوانه ب: بين الجملة والنص، وحاولنا فيه إظهار المفاهيم المتعلقة بالنص، وكذا المفاهيم المتعلقة بالجملة، ثم حاولنا أن نظهر أهم الفوارق التي يمكن أن تسجل كعناصر أساسية في تمييز الجملة، ومقابلتها بالعناصر الأساسية التي تخص النص وتميزه عن غيره من البناءات اللغوية، كما تطرقنا فيه إلى جملة المعايير النصية التي حددها علماء لسانيات النص الغربيون. أما الفصل الثاني فعنوانه ب: الاتساق النصي، حيث حاولنا فيه إظهار مفاهيم الاتساق وتعريفاته العلمية التي خصّه بها أشهر علماء لسانيات النص، كما حاولنا أن نبرز أهم وسائله التي يمكن من خلالها التمييز بين ما يعرف بالنص، وبين ما يعرف باللانص، وفصلنا في كل أداة من أدوات الاتساق تفصيلا علميا دقيقا بالاستناد على آراء العلماء والباحثين. أما الفصل الثالث فعنوانه ب: الانسجام النصي، حيث حاولنا فيه الإحاطة بمفاهيم الانسجام وأدواته الأساسية التي تخص تحديد البنية الدلالية لمختلف النصوص. أما الفصل الرابع فخصصناه للجانب التطبيقي وكيف يمكن إسقاط كل الآيات النصية المتعلقة بالاتساق والانسجام على مدونة البحث (سورة يوسف)؛ حيث قمنا في هذا الفصل - كخطوة أولى - بدراسة تصنيفية تحليلية لكل الجمل الواردة في نص سورة يوسف، كما قمنا - في خطوة ثانية - باستخراج وتحليل كل وسائل الاتساق الواردة في سورة يوسف، وقمنا في خطوة أخيرة بالبحث عن كل الوسائل المساهمة في انسجام النص القرآني. أما خاتمة البحث فضمنها مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال المراحل التي مرّ بها بحثنا.

ومن أجل إثراء هذا البحث وتوسيع الدائرة المعرفية الخاصة به اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع المختلفة، فمنها العربية التراثية التي تناولت قضايا النحو والدلالة

والبلاغة، نذكر منها على سبيل المثال كتاب: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ومن هذه المراجع كتب حديثة تناولت بعض القضايا النصية نذكر منها كتاب: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، وكتاب: علم النصّ ونظرية الترجمة ليوسف نور عوض.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أننا صادفنا أثناء خوضنا لغمار هذا البحث مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، ولعل أبرز هذه الدراسات (التي لا يمكن إحصاؤها كلها في هذا المقام) هي الدراسة التي قام بها الأستاذ مفتاح بن عروس؛ حيث إنّ هذه الدراسة هي عبارة عن أطروحة دكتوراه دولة معنونة ب: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم، أنتجت في أحضان جامعة الجزائر (قسم اللغة العربية وآدابها)، في الموسم الجامعي: 2008/2007م.

أمّا عن هدف هذه الدراسة فهي كغيرها من البحوث تصبو إلى تحقيق أهداف معينة نذكر منها:

- تعميق البحث في مجال لسانيات النصّ والعمل على تطبيق مبادئه على مختلف النصوص باعتباره علما حديثا يهدف إلى الكشف عن مختلف الظواهر النصية.
- تخصيص مجال البحث اللساني النصي التطبيقي وحصر مدونة بحثه في النصّ القرآني باعتباره أكمل النصوص على الإطلاق.
- العمل على البحث عن مختلف الظواهر المتعلقة بالترابط النحوي والترابط المفهومي للنصّ القرآني، وأثر هذه الظواهر في تحقيق البنية الكلية الكاملة لهذا النصّ البديع في بنائه وتركيبه.

- محاولة الجمع بين الدراسات النحوية البلاغية العربية القديمة والدراسات اللسانية الغربية الحديثة في دراسة لسانية نصية حديثة.

وما يمكن الإشارة إليه أيضا في هذا المقام هو أننا مررنا أثناء إنجازنا لهذا البحث بمجموعة من الصعوبات نذكر منها: تشعب المادة العلمية الخاصة بالبحث في مجموعة كبيرة من المراجع هذا ما صعب علينا حصرها وتنظيمها في فصوله ومباحثه.

ونود أن نشير أيضا إلى أننا قد عالجتنا من القضايا والمسائل المختلفة على قدر مستوانا وقدراتنا، فإن قصرنا فمن النفس والشيطان ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:53]، وإن أحسنا ووقفنا فمن الله التوفيق ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88].

وفي الأخير نحمد الله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقنا في إتمام هذا البحث المتواضع، كما لا يفوتنا أن نشيد بمجهودات الأستاذتين الكريمتين اللتين لم تدخرا جهدا ولا وقتا من أجل تصويب هذا البحث وتصحيح هناته، فلهما منا كل الامتنان والتقدير والاحترام.

الباحث: مصطفى عباس

عين الدفلى في: 23 ربيع الثاني 1442هـ

الموافق: 08 ديسمبر 2020م

مدخل:

لسانيات النصّ بين التّأصيل

العربي والتّلقي الغربي

تعدّ لسانيات النصّ، أو علم النصّ، أو علم اللّغة النّصي، أو علم لغة النّصّ، فرعاً من فروع اللسانيات الحديثة أو علم اللّغة الحديث، وقد اختلف العلماء والباحثون في تسمية هذا العلم (لسانيات النّص) باختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم الفكرية، وهذا الاختلاف عائد إلى اختلافهم في تسمية العلم الحديث الذي تفرع عنه هذا العلم (اللسانيات الحديثة)، لكن هذا الاختلاف لم يؤد إلى الاختلاف في المنهج والموضوع، بل كان اختلافاً في اختيار المصطلح المناسب لذلك العلم الذي يبحث في الوحدة الأكبر من الجملة، أو وحدة النّص باعتباره فضاء له خصائصه ومميزاته التي تميّزه عن باقي الوحدات الأخرى.

إن هذا الاختلاف يعود إلى السبب المذكور سابقاً (اختلاف الانتماءات العلمية)، كما يمكن أن يكون المسبب فيه هو طبيعة النشأة المنهجية العلمية لهذا العلم (هذا ما أدى إلى حاجة علماء العربية إلى الترجمة، التي تؤدي إلى الاختلاف في اختيار المصطلح العلمي)، وهي نشأة أسس لها مجموعة من العلماء الذين حاولوا توسيع مجال الدراسة اللسانية إلى وحدة أكبر من الوحدة التي عكف على دراستها علماء اللسانيات فترة طويلة من الزّمن (وحدة الجملة)، لكن هذا التأسيس المنهجي الغربي للسانيات النّص لا يجعلنا ننكر فضل علماء العربية في طرح عديد المسائل المتعلقة بالتركيب والتأليف، والسياق والتأويل، والوصل والفصل، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف؛ حيث نذكر على سبيل المثال ما أثاره "عبد القاهر الجرجاني" من مسائل نصيّة من خلال تنظيره في مسائل النظم، والوصل والفصل، والذكر والحذف وغيرها من القضايا اللغوية المتصلة اتصالاً مباشراً بما اصطلح عليه حديثاً بلسانيات النّص، وسنحاول من خلال هذا المدخل ذكر بعض من تلك المسائل التي تثبت أنّ الدراسات اللّغوية العربية التراثية هي السبّاقة لتناول عدد هائل من موضوعات لسانيات النّص الحديثة.

## 1- مفهوم لسانيات النص (Linguistique Textuelle):

لسانيات النص أو نحو النص (Grammaire de texte) فرع معرفي لغوي قد تشعبت تعريفاته واختلفت، ولم يستقر علماء النص على تعريف محدد لهذا العلم<sup>(1)</sup>، بل يمكن للباحث أن يحصي عددا هائلا من التعريفات المختلفة، لذلك سنحاول أن نقصر على ذكر أبرزها فقط، فنجد مثلا "فان دايك" (T. van Dijk) يعرف علم النص على أنه ذلك العلم الذي "يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي، وأشكال الاتصال ويوضحها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي".<sup>(2)</sup> وبهذا يشير "فان دايك" إلى تلك العلاقة التي تربط لسانيات النص بالعلوم الأخرى، كعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وعلم الاتصال، وغيرها من العلوم التي تعتبر القاعدة المعرفية الصلبة للسانيات النص.

كما نجد أيضا أنّ "دي بوجراند" (R. De Beaugrande) أثناء حديثه عن الحدود التقليدية للسانيات النص أشار إلى أنه "في هذا الإطار تصبح لسانيات النص مجالا لفظيا من مجالات السيميوطيقا يتناول كلّ المدى المعتمد ما بين النصوص ذات الكلمة المفردة (مثلا: الصياح بلفظ حريق) إلى نصوص لها من الطول ما للكوميديا الإلهية (The Divine Comedy)، والصفة المميزة للنص هي وقوعه في الاتصال".<sup>(3)</sup> أي إن لسانيات النص علم يتناول بالدراسة مختلف النصوص لا بالنظر إليها من حيث

<sup>1</sup> - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، ط1، القاهرة: 1431هـ/2000م، ص 36.

<sup>2</sup> - تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، القاهرة: 2001م، ص 11.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، دار عالم الكتب، ط1، القاهرة: 1418هـ/1998م، ص 72.

طولها أو قصرها (البنية السطحية)، بل بالنظر إلى قيمتها في عملية التواصل الواقعة بين أفراد المجتمع الواحد.

ونجد أيضا أنّ هذا التعريف قد اتفق مع تعريف آخر في الأساس المرتكز عليه، وفي المنطلق العلمي الموضح لكنه هذا العلم، وهو تعريف "فولفجانج هانيه من" و"ديتر فيهفيجر" (W.Heinemann, D.Viehweger) حيث قالوا: "انطلاقا من المطاب القائل إنّ علم النص علم لا يدرس أبنية النص فقط، بل يدرس أيضا صفات التوظيف الاتصالي للنصوص، لوحظ أحيانا الميل إلى تجاوز الحدود باتجاه علم الاتصال، إلى حد التسوية بين علم اللغة النصي وعلم الاتصال. فعلم اللغة النصي بهذا المفهوم إذا يطمح أيضا إلى دراسة كلّ ظواهر الاتصال وشرائطها بوصفها مجالا للبحث"<sup>(1)</sup>، لكن علم النص لا يمكن أن يوسع إلى أن يندمج مجاله ومفاهيمه بعلم الاتصال، بل له حدوده المنهجية التي تفصله عن بقية العلوم الأخرى، وتجعله متفردا بمجاله وحدود دراسته.

كما عرّف علم النص (لسانيات النص) أيضا على أنّه "نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتدّ قدرتها التشخيصية إلى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة"<sup>(2)</sup>؛ أي لا يمكن الفصل بين لسانيات الجملة ولسانيات النص في مستوى التحليل النصي، بل يعتمد التحليل النصي في مجال لسانيات النص على كلّ الظواهر التركيبية الخاصة بالجملة مضافا إليها مجموع القواعد النصية التي تخص بنية النص، وذلك باعتباره فضاء يضمّ زخما من الجمل المتعلق بعضها ببعض.

<sup>1</sup> - فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، (دط)، الرياض: 1419هـ/1999م، ص 08.

<sup>2</sup> - عبد العظيم فتحي خليل، مباحث حول نحو النص، مجلة اللغة العربية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، القاهرة: (دت)، ص 10. (عن موقع: www.alukah.net).

أما "صبحي إبراهيم الفقي" فقد عرّف علم النصّ (لسانيات النصّ) بأنه "ذلك الفرع من فروع علم اللغة، الذي يهتمّ بدراسة النصّ باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواعه، والإحالة أو المرجعية (Référence) وأنواعها، والسياق النصّي (Contexte textuelle)، ودور المشاركين في النصّ (المرسل والمستقبل)، وهذه الدراسة تتضمن النصّ المنطوق والمكتوب على حد سواء."<sup>(1)</sup> فلسانيات النصّ علم مستقلّ بذاته يختصّ بدراسة النصّ باعتباره أكبر وحدة في التحليل اللساني، وهذا العلم يبحث في العناصر التي تجعل من البناء المكوّن من مجموعة جمل نصّاً، سواء ما تعلّق منها بالجانب التركيبي (الاتساق وعناصره)، أو ما تعلّق منها بالجانب الدلالي المفهومي (الانسجام وآلياته)، أو ما تعلّق بذات المنتج (القصد)، أو ما تعلّق بطبيعة تأويل المتلقي وقبوله لمضمونه (القبول)، أو ما تعلّق بالموقف الخارجي المرتبط بتفسير مضمون النصّ وتحديد فحواه القضوي (الموقفية)، أو ما ارتبط بعلاقة النصّ بنصوص أخرى أنتجت في فترة زمنية سابقة لزمان إنتاج النصّ، ونسبة اعتماده عليها (التناص)، أو ما تعلّق بطبيعة ما يحمله النصّ من قيم إخبارية تشبع رغبة المتلقي المعرفية، وتحقق الهدف الذي أنتج النصّ من أجل تحقيقه (الإخبارية).

## 2- الإرهاصات النصّية في التراث اللغوي العربي:

إنّ العودة إلى أمات الكتب العربية القديمة يجعلنا ندرك أنّها كتب تناول مؤلفوها من خلالها عديد الظواهر اللغوية المتعلقة بعلم النصّ أو لسانيات النصّ، سواء أكانت هذه الظواهر تخصّ البنية التركيبية النحوية، أم تخصّ البنية الدلالية المفهومية، وسنحاول في هذا المقام التركيز في إظهار هذه العلاقة على نظرية النظم لـ "عبد القاهر الجرجاني" من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، والتركيز أيضاً على علم المناسبة الذي نظر له كل من

<sup>1</sup> - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصّي، ص 36.



"بدر الدين الزركشي" (ت 794هـ) في مؤلفه: "البرهان في علوم القرآن"، و"جلال الدين السيوطي" (ت 911هـ) في مؤلفه: "الإتقان في علوم القرآن"، وهذا الاختيار كان بهدف حصر مجال البحث الذي لو ذكرنا فيه كل أعمال علماء التراث اللسانية لاحتاج منا ذلك مجالاً بحثياً أوسع من هذا المجال.

## 2-1- نظرية النّظم لعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ):

أسّس "الجرجاني" نظرية النّظم من خلال اهتمامه بالنّص القرآني بدرجة أولى، والنّص الشعري بدرجة ثانية، وتجسّد ذلك من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، لكن هذا التأسيس لا يعني أنّه أوّل من أشار إلى قضية النّظم، بل سبقه إليها "الجاحظ" (ت 255هـ)، و"أبو الحسن الرّماني" (ت 384هـ)، وذلك من خلال أعمالهما اللغوية المنكبة على كشف أسرار النسيج اللغوي وخبائاه المرتبطة ببنائه وتركيبه، إلا أنّ الفضل يعود إلى "الجرجاني" في بلورة قضية النّظم وصياغتها صياغة نظرية جديدة، حيث إنّ المتأمل لهذه النظرية يدرك أنّ أغلب القضايا اللغوية المتعلقة بالنّظم هي قضايا ارتكز عليها علم النّص الحديث واعتبرها من أهم ما يُنظر إليه أثناء التحليل اللساني النّصي، وسنحاول إظهار ذلك من خلال التركيز على مصطلحي النّظم والتعلّق، ويكون بيان ذلك كما يلي:

### 2-1-1- النّظم:

عرّف "الجرجاني" النّظم بقوله: "اعلم أنّ ليس (النّظم) إلا وضع كلامك الموضع الذي يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تريغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك تخل بشيء منها." (1) فالنّظم عند "الجرجاني"

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، (دط)، القاهرة: (دت)، ص

هو الالتزام في نسج الكلام وإنتاجه بمجموع القواعد التركيبية المتعارف عليها، فهو بذلك نظير للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، كما يعني النظم عند الجرجاني أيضا كيفية تركيب الكلام انطلاقا من الجملة البسيطة وصولا إلى نظم النص من خلال تراكيبه الصوتية والدلالية والنحوية والبلاغية والأسلوبية، والنص عنده أيضا تركيب لغوي على نحو فريد من التماثل والتجانس والتأليف في أجزاء الأسلوب<sup>(1)</sup>؛ حيث نجد أنه لم يكتف بالإشارة إلى القواعد النحوية فحسب، بل أشار أيضا إلى كيفية توظيف التراكيب النحوية ووضعها في سياقات بلاغية وأسلوبية محددة بغية تأدية مضمون دلالي معين.

تجدر الإشارة إلى أنّ "الجرجاني" من خلال ما سبق ذكره قد جعل النظم يتجلى في عدّة عناصر يتمّ من خلالها بيان مدى اكتمال البناء، ومدى تحقيقه للتماسك والتناسق، سواء على مستوى البناء السطحي أو العميق في النص، وهذه العناصر الأساس هي: النسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير؛ أي إنّ البناء لا يُكتفى فيه بمجرد الاهتمام بالقواعد النحوية المجردة فحسب، بل يُهتمّ فيه أيضا بما يجب أن يؤديه هذا البناء من دلالات يشترط فيها أن تكون ميزتها الأساس هي التماسك والتآلف، وهذا ما أشار إليه "فان دايك" أثناء حديثه عن وصف النحو الذي يهتم بالتتابعات الجمالية حيث قال: "نظرا لأنّ أي تتابع يمكن أن ينشأ من جملة فيجب أن يشتمل أي نحو لوصف التتابع في حقيقة الأمر على نحو لوصف الجملة. فالنظر العميق في بنية الجمل ضروري للغاية إذا ما وضع في الاعتبار أن العلاقات على نحو ما ترد في التتابعات لا تقوم في الأغلب على علاقات بين عناصر الجمل المفردة، ويجب أن يقدم انسجاما مع أهداف النحو، ووصف لتتابع الجمل يعد أساس المنطوق اللغوي، وما التتابعات الجمالية الممكنة الموجودة في لغة ما، وكيف تحدد البنية النحوية والدلالية لجملة أو عدة جمل في

<sup>1</sup> - ينظر: نعيمة سعدية، الاتساق النصي في التراث العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع5، الجزائر: 2009م، ص 12.

تتابع البنية النحوية والدلالية لجمل أخرى.<sup>(1)</sup> فيجب النظر إلى نحو النص - في رأي فان دايك - من منظور يشبه إلى حد ما المنظور التقليدي للجملة، كون أن النص يمثل جامعا لمتتاليات جمالية، إلا أنه لا يُكتفى في النص بمجموع القواعد النحوية للجملة، بل يضاف إليها جملة من القواعد التي تخصّ هذا التوالي الجملي، كالاستبدال مثلا، وقواعد أخرى تخص ارتباط عناصر البنية الدلالية كالتأويل مثلا.

وقد أشار "الجرجاني" إلى عدّة ظواهر متعلّقة بالبنية التركيبية للنظم اللغوي بقوله: "وينظر إلى (الجملة) التي تُسرد، فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقّه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء) من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم)، وموضع (لكن) من موضع (بل)، ويتصرّف في التعريف، والتكثير، والتقديم، والتأخير في الكلام كلّه، وفي الحذف، والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصّحة وعلى ما ينبغي له."<sup>(2)</sup> وهذه الظواهر تعتبر في لسانيات النص من العوامل الأساس التي تعمل على تماسك النص واتساق عناصره التركيبية، فالوصل من منظور "هاليداي ورقية حسن" ( M. Halliday, ) (R.Hassan) مثلا هو "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم"<sup>(3)</sup>؛ أي هو العامل الفاعل في ترابط عناصر النص الواحد بعضها ببعض.

أما الحذف فعرفه "الجرجاني" في غير الموضع السابق أيضا على أنه "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من

<sup>1</sup> - تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص 46/45.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 82.

<sup>3</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء: 2006م، ص 23.

الذكر.<sup>(1)</sup> فهو أيضا آلية من آليات الاتساق النصي في التحليل النصي الحديث؛ حيث اعتُبر أنه "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أنّ الحذف علاقة نصية قبلية"<sup>(2)</sup>؛ أي إنّ الحذف لا يقع في الكلام إلا إذا وجد ما يدل على المحذوف في ما سبق من الكلام، وذلك ما يحقق ارتباط السابق منه باللاحق.

## 2-1-2- التعلّق:

يعدّ مفهوم التعلّق عند "الجرجاني" مقابلا لمفهوم التماسك النصي عند علماء النص في العصر الحديث؛ حيث إنّ التعلّق - من منظوره - هو أساس النظم والبناء والإنشاء، ويظهر ذلك جليا في قوله: "واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشكّ، أن لا نظم في الكلم وترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"<sup>(3)</sup>؛ أي إنّ الألفاظ أو الجمل يجب أن يرتبط بعضها ببعض تحت غطاء الجملة أو النص، وإلا لا يمكن أن تظهر المعاني والدلالات التي أنشئت من أجل ظهورها الجمل أو النصوص.

قد أشار "الجرجاني" في موضع آخر أيضا إلى كيفية ترتيب أجزاء الكلام وجعلها تبدو في شكل واحد متناسق، يرتبط كل جزء منه بالآخر ارتباطا تاما، حيث يقول: "واعلم أنّ مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثانٍ منها بأوّل، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس موضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 21.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 55.

بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك.<sup>(1)</sup> ف "الجرجاني" في هذا المقام يبرز علاقة أجزاء الكلام بعضها ببعض، ودور كل منها في البنية الكلية للنص، وقد شبه حال الناظم في نسجه للكلام بحال البناء في بنائه؛ حيث إنه يحرص على استقامة جداره وسلامته من الاعوجاج، كما يحرص المؤلف على سلامة كلامه وتناسق عناصره، وتعلق كل منها بالآخر تعلقاً مشتركاً في الشكل التركيبي والمضمون الدلالي العام للنص.

كما نجد أنّ "الجرجاني" قد أشار أيضاً إلى حرصه الشديد على ارتباط بعض الكلام بكلمة ارتباطاً يوحي إلى وحدة البنية التركيبية، حيث يقول: "واعلم أنّ من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبّرتَه أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض، سبيل من عمد إلى لآلٍ فخرطها في سلك، لا يبغى أكثر من أن يمنعها التفرّق، وكمن نضد أشياء بعضها على بعض، لا يريد من نضده ذلك أن يجيء له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأي العين."<sup>(2)</sup> حيث ركّز من خلال كلامه هذا على جعل الألفاظ في البناء أجزاء من كلّ، كل لفظ منها يتصل باللفظ الآخر اتصالاً عن طريق علاقة محددة تختلف باختلاف الموضع والغرض، وقد شبّه هذا الارتباط بالعقد الذي يجمع اللآلئ والجواهر في شكل واحد منتظم. والملاحظ لكلام "الجرجاني" يدرك أنّه كلام يصبّ في مصبّ واحد مع ما نظر له علماء لسانيات النصّ فيما يخص آليات ارتباط عناصر البنية التركيبية، من إحالة ووصل واستبدال وغيرها من آليات اتساق النصّ، وعوامل التلاحم والترابط التركيبي في مختلف النصوص والخطابات.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 93.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 97/96.

## 2-2- التنظير لعلم المناسبة:

إنّ الدارس لعلم المناسبة - المختص بالبحث في التناسب بين السور في ترتيبها وتجاورها، وفي التناسب بين الآيات من خلال العلاقات الرابطة بينها - يدرك أنّه علم اهتمّ بمسائل نصية تتصل اتصالا مباشرا بآليات التحليل النصي الحديث، ونخصّ بالذكر الانسجام بين عناصر النصّ الدلالية، حيث إنّنا سنحاول في هذا المقام توضيح أهم ما ارتكز عليه كلّ من "بدر الدين الزركشي" في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، و"جلال الدين السيوطي" في كتابيه: "الإتقان في علوم القرآن" و"تناسق الدرر في تناسب السور"، وذلك من خلال البحث في تحديديهما لعلم المناسبة وما ارتبط به من أصول وفروع.

### 2-2-1- بدر الدين الزركشي (ت 794هـ):

يعدّ كتاب "البرهان في علوم القرآن" للإمام "الزركشي"، وهو أحد علماء القرن الثامن الهجري، من أهم كتب علوم القرآن التي اهتمت بعلم المناسبة ونظّرت له تنظيرا علميا دقيقا<sup>(1)</sup>؛ حيث نجد أنّ "الزركشي" قد عزّف المناسبة بقوله: "واعلم أنّ المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللّغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل بالأخوين وابن العمّ ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة [...] وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه، أو التلازم الخارجي

<sup>1</sup> - ينظر : سليمان بوراس، إسهامات الدرس القرآني في تحديد مقولات لسانيات النصّ ، مجلة التواصلية، ع4، الجزائر: (دت)، ص 118.

كالمرتب على ترتيب الوجوه الواقع في باب الخبر. <sup>(1)</sup> فعلم المناسبة علم يختص بالبحث عن العلاقات اللفظية والدلالية بين آي السورة الواحدة، كما يبحث في طبيعة العلاقات الرابطة بين سور القرآن الكريم.

ولقد قسم "الزركشي" ارتباط الآي بعضها ببعض إلى قسمين كبيرين <sup>(2)</sup>:

أ- القسم الأول: وهو "أن تكون معطوفة، ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة [...] كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا خَرَجَ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [الحديد:04]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:245]، وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين. وقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة. <sup>(3)</sup> أي إن من شروط هذا النوع من المناسبة أن تكون الآية معطوفة على ما قبلها فيتضح الرابط الجامع بين الآيتين.

ب - القسم الثاني: وهو "ألا تكون معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط" <sup>(4)</sup>، وهذا النوع من المناسبة له أسباب مختلفة ومتعددة حددها "الزركشي" كما يلي:

- التنظير: حيث مثل "الزركشي" له بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ

<sup>1</sup> - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، (دط)، القاهرة: 1427هـ/2006م، ص 36.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 193.

<sup>3</sup> - بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 40/39.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 44.

وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿ [الأنفال: 5/4]، وعقب على هذا المثال بقوله: "إنَّ الله تعالى أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون" (1)، فالمناسبة بين الآيتين المتجاورتين هنا هي رد فعل المسلمين المتشابه والمتماثل، وهو جدالهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم فيما فعل، ولا وجود لعطف يجمع بين الآيتين، بل الجامع هو تلك العلاقة المعنوية المستتجة من خلال التأمل والتدبر.

- المضادة: مثل "الزركشي" لهذا السبب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 06]، ووضح طبيعة هذا السبب بقوله: "إنَّ أول السورة كان حديثا عن القرآن الكريم، وأنَّ من شأنه كيت وكيت، وأنه لا يهدي [القوم] الذين من صفاتهم كيت وكيت، [فرجع] إلى الحديث عن المؤمنين فلما أكمله عقب بما هو حديث عن الكفار، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول." (2) حيث يوجد في نص سورة البقرة تقابل بين الحديث عن المؤمنين والحديث عن الكفار، وهذا ما يجعل التناسب الموجود بين الآيات راجعا إلى التضاد بين صفات المؤمنين وصفات الكفار.

- الاستطراد: ومثاله قوله تعالى: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيثًا<sup>ط</sup> وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ<sup>ح</sup> ذَٰلِكَ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26]، حيث يظهر الاستطراد في هذه الآية من خلال نكر بدو السوءات، وخصف الورق عليها، وإظهار منة الله فيما خلق من اللباس، والإشارة إلى أن الستر باب

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ن.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 47.



عظيم من أبواب التقوى.<sup>(1)</sup> كما يعد الاستطراد أيضا سببا معنويا من أسباب التناسب بين الآيات المرتبط بعضها ببعض في النص الواحد للسورة الجامعة لها.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ "الزركشي" قد خصص في كتابه مجالا واسعا للحديث عن المناسبة بين السورة واسمها، وذكر أنّ تسمية السورة باسم معيّن ليس إلا تعصيذا لتقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعى فيه اختيار الأسماء من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصّه، حيث يسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بالشيء المشهور فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن الكريم، فسميت سورة البقرة مثلا بهذا الاسم لقرينة ذكر البقرة فيها.<sup>(2)</sup> وهذا ما اصطلح عليه في لسانيات النص بـ "التغريض"؛ حيث إنّ للتغريض علاقة وطيدة بالعنوان المرتبط بموضوع النص ومضمونه، فالعنوان له تأثير كبير في تأويل النص الذي يليه، والتغريض يعدّ من بين الآليات التي يتحقق من خلالها انسجام النص، والتلاحم الدلالي لمختلف العناصر المكوّنة له.

## 2-2-2- جلال الدين السيوطي (ت 911هـ):

هو عالم فذ من علماء القرن التاسع، حاول في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" ذكر أهم المؤلفات التي تناولت علم المناسبة، ثم شرع بعد ذلك في التنظير لهذا العلم من خلال ضبط مصطلحاته ومفاهيمه<sup>(3)</sup>، حيث نجد أنّه لم يختلف كثيرا عن "الزركشي" في تعريفه لعلم المناسبة، إذ يقول: "المناسبة في اللغة: المشاركة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات. أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين

<sup>1</sup> - ينظر المرجع السابق، ص ن.

<sup>2</sup> - ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص، ص 196.

<sup>3</sup> - ينظر : سليمان بوراس، إسهامات الدرس القرآني في تحديد مقولات لسانيات النص، ص 120.

والضدين، ونحوه. وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.<sup>(1)</sup> أي إن معنى التناسب هو ذلك الرابط المعنوي الجامع بين الآيات في البنية الكلية للسورة.

والملاحظ أيضاً أنّ "السيوطي" اعتمد على تقسيم مماثل لتقسيم "الزركشي" الخاص بأنواع الربط بين الآي؛ حيث إنه أشار إلى أنّ الترابط إما أن يكون بالعطف الذي يجعل من الآيتين كالنظيرين أو الشريكين، أو بغير العطف الذي يستوجب وجود دعامة تؤذن باتصال الكلام كالقرائن المعنوية، وهذا النوع من التناسب له عدة أسباب كالنتظير، والمضادة، والاستطراد.<sup>(2)</sup> فـ "السيوطي" في هذا المقام قدّم تنظيراً لأنواع المناسبة من خلال ذكر آليات ترابط الآيات واتصال بعضها ببعض لتأدية المعنى العام وتحقيق ترابط عناصره وأجزائه.

قد أشار "السيوطي" أيضاً إلى مسألة تناسب السور في ترتيبها؛ حيث إنه ذكر مواقف العلماء من هذا الترتيب وجمعها في موقفين اثنين: فالموقف الأول ذهب فيه أصحابه إلى أنّ ترتيب السور تم باجتهاد من الصحابة، وذكر أن أغلب القائلين بهذا الرأي يحتجون بدليل اختلاف ترتيب السور في مصاحف السلف. أما الموقف الثاني فيرى أصحابه أنّ الترتيب تم بتوقيف من الرسول - صلى الله عليه وسلم -، أمّا "السيوطي" فقد دافع عن الرأي الثاني وذلك باجتهاده من أجل تبرير الترتيب الذي هو عليه القرآن الكريم<sup>(3)</sup>؛ حيث قال في ذلك: "إن القاعدة التي استقرّ بها القرآن: أنّ كلّ سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناج لإيجازه. وقد استقرّ معي ذلك في غالب سور القرآن،

<sup>1</sup> - جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، تع: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان: 1429هـ/2008م، ص 631.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 631/632.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 198.

طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجالات الفاتحة.<sup>(1)</sup> فهذا الطرح يدل على تقطن علماء العربية عامة، وعلماء الدين (علماء القرآن) خاصة إلى قضية مهمة من قضايا علم النص الحديث، وهي التآلف بين أجزاء النص الناتج عن ترتيب عناصر الخطاب وارتباط الأول منها بما يليه ارتباطاً لفظياً ودلالياً، وما ينتج عن هذا التآلف من تأثير على اتساق المبنى وانسجام المعنى.

وقد ذكر "السيوطي" أنّ المناسبة لا تظهر في شكل صورة واحدة، بل إنّ التناسب يخص الآيات والسور في الوقت نفسه؛ حيث إنه أشار - كما ذكرنا سابقاً - إلى التناسب بين السور عن طريق الإجمال والتفصيل الذي يكون بين السورة وما يليها من سور تكون بمثابة التفصيل فيها، ومثال ذلك العلاقة الموجودة بين سورة الفاتحة وباقي سور القرآن الكريم، وأشار أيضاً إلى مسألة الاتحاد والتلاحم، وهو "ذلك التناسب الذي يقوم بين سورتين ويتجلى في:

- مناسبة خاتمة السورة الثانية لفاتحة السورة الأولى.

- تلازم لفظي كالجنة والنار، أي عند ذكر الجنة أو النار ومن يحل بإحدهما في سورة، وذكر ما يحل بالأخرى في سورة لاحقة لها مباشرة.

- اتحاد معنوي كأن يذكر الأصل في سورة سابقة، ثم يذكر الفرع في السورة اللاحقة، مثل ذكر خلق آدم في سورة البقرة، مبدأ خلق أولاده في آل عمران<sup>(2)</sup>؛ حيث يظهر ذلك في قوله: "ومن وجوه تلازم السورتين: أنه قال في البقرة في صفة النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[البقرة:24]، ولم يقل في الجنة: أعدت للمتقين، مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معاً،

<sup>1</sup> - جلال الدين السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان: 1406هـ/1986م، ص 65.

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 203.

وقال ذلك في آخر آل عمران في قوله: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133]، فكأن السورتين بمنزلة السورة الواحدة.<sup>(1)</sup> وهذا دليل واضح على أن علماء العربية كان لهم اهتمام كبير بالمسائل التي تخصّ تلاحم النصّ وارتباط عناصره الدلالية بعضها ببعض، وكان ذلك بالبحث في أسرار ارتباط سور القرآن الكريم، واتصال بعضها ببعض، والبحث في ذلك التلاحم الذي يجعلها تبدو كأنها سورة واحدة أو نص واحد متلاحم الأجزاء والعناصر.

### 3- علم لسانيات النصّ (عند الغرب):

تأسس في العصر الحديث علم جديد بمنهجه وموضوعه وآلياته التحليلية، وهو علم النصّ، أو نحو النصّ، أو لسانيات النصّ، وكان منبت هذا العلم غربيا من حيث المنهج المتبع، والصيغة العلمية التي صرّح بها للانتقال في مستوى التحليل اللغوي (اللساني) من مستوى الجملة إلى مستوى النصّ؛ حيث تعدّ أعمال "زليخ هاريس" (Z.Harris) مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين الانطلاقة الحقيقية، والبادرة الأولى للدراسات اللسانية النصّية، حيث قدّم "هاريس" منهجا لتحليل الخطاب المتماسك بنوعيه الملفوظ والمكتوب، من خلال عمله الموسوم بـ "تحليل الخطاب" ( Discourse analysis)، وكان ذلك سنة 1952م، إذ اعتمد منهجه على ركيزتين في تحليل الخطاب: الركيزة الأولى هي العلاقات بين الجمل، أما الركيزة الثانية فهي الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي.<sup>(2)</sup> إلا أنّ هذا العمل الذي قام به "هاريس" يبقى بداية تاريخية للسانيات النصّ، وإشارة علمية واضحة إلى ضرورة البحث في مجال أوسع من مجال الجملة، وهذه

<sup>1</sup> - جلال الدين السيوطي، تناسب الدرر في تناسب السور، ص 74.

<sup>2</sup> - ينظر : يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النصّ، مثل من كتاب سيوييه، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج7، ع1، الأردن: 1432هـ/2011م، ص 189/188.

الإشارة لا تختلف عن إشارات مجموعة من علماء اللغة، "تذكر من هؤلاء اللغوي الدانيماركي "لويس يلمسليف" (L.Hjelmslev) الذي أقرّ أنّ تحليل النصّ يجب أن يمثّل أحد الالتزامات التي لا مناص منها بالنسبة للساني، وهو يلتقي في ذلك مع "ميخائيل باختين" (M.Bakhtine) الذي صرّح أنّ اللسانيات لم تحاول أبداً سير أغوار المجموعات اللغوية الكبرى كالمفوضات الطويلة التي نستعملها في حياتنا العادية مثل الحوارات والخطابات وغيرها.<sup>(1)</sup> وفي هذا دليل واضح على أنّ لسانيات النصّ علم قد أشير فيه إلى ضرورة الانتقال التدريجي في التحليل اللغوي من مستوى الجملة الضيق - الذي لا يمكن من خلاله حصر كل الظواهر اللغوية المتعلقة بعمليات التواصل - إلى مستوى النصّ أو المستوى الأوسع من مستوى الجملة؛ لأنّ عمليات التواصل اللغوية لا تحدث بواسطة الجملة المجردة المنعزلة، بل تحدث بواسطة تضافر مجموعة من الجمل المرتبط بعضها ببعض في مستوى واحد، وهو النصّ أو الخطاب.

ثم تجسدت هذه الإشارات في علم قائم بذاته له موضوعه ومنهجه الخاص به في السبعينات من القرن العشرين، وكان ذلك على أيدي مجموعة من العلماء أبرزهم "تون فان دايك" (T.van Dijk) "مما جعل بعض اللغويين يرى فيه المؤسس الحقيقي لعلم النصّ، وقد ضمّن "فان دايك" أفكاره وتصوراتَه لأسس ومبادئ هذا العلم، كتاباً يحمل عنوان: "بعض مظاهر نحو النصّ" ( Quelque aspects de la grammaire du (texte).<sup>(2)</sup> كما نجد أنّه ألف أيضاً كتاباً أخرى حاول فيها وضع الأسس المنهجية لهذا العلم، ككتاب: "علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات"، والذي ضمّنه أهم ما يميز علم

<sup>1</sup> - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النصّ ومجالاته تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، القاهرة: 2008م، ص 61/60.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 62.

النص باعتباره علما قائما بذاته له ارتباط وثيق بالعلوم الأخرى، كون أن النص ليس بنية يختص بها علم دون علم آخر.

إن من بين الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها هي إشارة "فان دايك" إلى قضية تنظيم النص وبنائه، وما يخص تماسكه النحوي، وترابط عناصره بعضها ببعض، وأشار أيضا إلى الروابط التي تحكم ربط هذه العناصر، حيث نجد أنه قسمها إلى مجموعتين: إحداهما الروابط المنطقية، والأخرى ما ينبع من طبيعة التركيب اللغوي، والاختلاف بين النوعين لا يتعدى كون الأول منهما نابعا عن ترتيب الجمل وفق ما يناسب المعنى، وذلك ما يسهم في انسجام الكلام مع مقاصد المتكلم، لكن تحديد هذه الروابط (في رأي فان دايك) لا يعني أن تماسك النص، وتعلق جملة بعضها ببعض لا يتم إلا بوجود الرابط الجامع كالوصل بالعطف مثلا، بل يمكن أن يتم عن طريق ما يعرف بالفصل الذي لا يستعان فيه برابط لفظي ظاهر<sup>(1)</sup>، فمن خلال هذا الطرح نجد أن "فان دايك" قد أشار إلى أن النص يمثل مستوى يختلف اختلافا كبيرا عن مستوى الجملة، باعتبار أنه فضاء نحتاج في بنائه إلى مجموعة من الروابط المتصلة بطبيعة الأفكار والمقاصد، حيث إن تنظيم العناصر المكونة للنص وترتيبها يكون حسب تنظيم الأفكار وترتيبها، وهذا ما يقتضي الاستعانة بجملة من الروابط اللفظية التي تتناسب هذا التنظيم والترتيب، ففي موضع يحتاج المنتج إلى الربط بالعطف مثلا، وفي موضع آخر يتخلى عن الربط اللفظي ويكتفي بالربط البياني كون أن الموضع موضع فصل مثلا.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن عددا من علماء اللغة الذين عاصروا "فان دايك" ألفوا في هذا التوجه الجديد (لسانيات النص)، وحاولوا إثراء قضاياها ومباحثها، أمثال:

<sup>1</sup> - ينظر: إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط2، عمان، الأردن: 1430هـ/2009م، ص 197.

"شتمبل" (Shtempel)، و"جليسون" (Gleason)، و"هارفج" (Harveg)، و"شميث" (Schmidt)، و"درسلر" (Dressler)، و"برنكر" (Brinker)، وغيرهم من العلماء، غير أنّ الدراسات النصية لم تبلغ أوجها إلا مع اللغوي الأمريكي "روبرت دي بوجراند" (R. De Beaugrande) في الثمانينات من القرن العشرين، وذلك من خلال كتابه: "مدخل إلى لسانيات النص" (1981) (Introduction de linguistique textuelle)، وكتاب: "النص والخطاب والإجراء" (Texte, Discours and proces)، وقد أشاد في كتابه الأول بجهود "فان دايك" في التأسيس لهذا العلم الجديد،<sup>(1)</sup> حيث يذكر دي بوجراند في بداية تأريخه لعلم النص رأياً لـ "فان دايك" يقول فيه: «لا يخضع علم النص لنظرية محددة أو طريقة مميزة، وإنما يخضع لسائر الأعمال في مجال اللغة التي تتخذ من النص مجالاً لبحثها واستقصائها»، ويعني ذلك ألا نتوقع في دراستنا لتاريخ علم النص أن نبرز نظرية واحدة أو اتجاهها محدد، وإنما يجب أن نتجه نحو سائر الأعمال التي أسهمت في إبراز هذا المجال الحيوي في دراسة اللغة.<sup>(2)</sup> فـ "دي بوجراند" لم يربط نشأة هذا العلم بنظرية محددة، أو عالم لغوي دون آخر، بل صرح بأن هذا العلم هو نتاج لاجتهادات كل من كان لهم الفضل في نقل الدراسة اللغوية من مستوى الجملة التقليدي إلى مستوى النص الحديث.

يمكن القول إنّ "دي بوجراند" قد أسس لنحو النص من خلال محاولته التفريق بينه وبين نحو الجملة، وأبرز الجوانب التي تميّز هذا النحو الجديد وتجعل منه نحواً يختلف ويفصل عن نحو الجملة التقليدي؛ حيث إنّه أشار مثلاً إلى أحد الفوارق بقوله: "الجملة كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب. أما النص فحقّه أن يعرّف تبعاً

<sup>1</sup> - ينظر : محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص 63.

<sup>2</sup> - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار النّقة، ط1، مكة المكرمة: 1410هـ، ص 11.

للمعايير الكامنة للنصية (Textuality)<sup>(1)</sup> أي إنّ الجملة التي كانت أساس كل دراسة لسانية سابقة هي عبارة عن تمثيل للنظام القواعدي للغة فحسب، أما النص فهو عبارة عن كيان يُشترط في بنائه ونظمه جملة من المعايير التي حددها "دي بوجراند" في سبعة معايير، وهي: الاتساق، والانسجام، والقصد، والمقبولية، والإخبارية، والموقفية، والتناص. وهذا ما سنحاول توضيحه في الفصل الأول من هذا البحث، وذلك من خلال التفصيل في هذه المعايير، وإظهار أهم الفوارق التي يمكن أن تفصل نحو الجملة عن نحو النص.

---

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، دار عالم الكتب، ط1، القاهرة: 1418هـ/1998م، ص 90.



# الفصل الأول: بين الجملة والنص

- الجملة ونحوها
- النص ونحوه
- مقارنة الجملة بالنص

### تمهيد:

يضع الباحث في مجال لسانيات النص نصب عينيه النص فيحمله تحليلاً لغوياً، يكشف عن أجزائه، ويوضح عناصر تركيبه، وترابط هذه العناصر بعضها ببعض، بحيث تؤدي معنى مفيداً، ويبين علائق هذا البناء، ويظهر الوسائل الرابطة بين عناصره، لكن الباحث قبل أن يحلل النص باعتباره كلاً متكاملًا عليه أن يبحث في أهم جزء من أجزائه، والذي لا يمكن أن يتكون إلا بوجوده، فمهمة الباحث قبل الكشف عن أجزاء النص عليه أن يكشف عن أجزاء الجملة، وقبل إظهار كيفية ترابط الجمل في إطار النص الواحد عليه إظهار كيفية التحام وتماسك الكلمات في إطار الجملة الواحدة، لذلك ارتأينا أن نتحدث في بداية هذا البحث عن الجملة ونحوها ومقابلتها بالنص ونحوه، ثم نحاول أن نعقد مقارنة بينهما لتبيان كيفية الانتقال من الجملة إلى النص باعتباره أكبر مستوى في التحليل اللساني الحديث، ومن ذلك البحث عن أهم العناصر التي يمكن أن تدرج في ما يعرف بنحو النص.

### 1- الجملة (Phrase):

#### 1-1- مفهوم الجملة:

#### 1-1-1- في اللغة:

"الجُمْل": الجماعة من الناس (بضم الميم والجيم)، ويقال جَمَلَ الشيء جمعه، وقيل: كل جماعة غير منفصلة جملة، والجُمْلَة: واحدة الجُمْل، والجملة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة، والجملة: جماعة كل شيء من الحساب وغيره يقال: أجملت له الحساب والكلام، جعل الشيء جملاً جمعه عن تفرق، والحساب جمع أعداده ورده إلى الجملة، وقيل: أجملت الشيء إجمالاً من غير تفصيل، وقيل: الكلام وفيه ساقه موجزاً. وقد جاءت كلمة "جُمْل" بمعان مختلفة طبقاً لضبطها. والجَمَلَ بالفتح قال الفراء: هو زوج الناقة.

ويأتي الجَمَل مجازاً للزوج: وفي حديث عائشة رضي الله عنها «سألته امرأة: آخذ جملي (تريد زوجها)» فكنت بالجمَل عن الزوج.

وقيل الجَمَل: سمكة تعكف بالبحر ولا تكون في العذب، قال العجاج: «كجمل البحر إذا خاض جسر».

وتأتي جمعا كناية عن النخل، أنشد أبو حنيفة عن ابن الأعرابي:

إِنَّ لَنَا مِنْ مَالِنَا جَمَالًا      يُنْتَجَنُ كُلُّ شَتْوَةٍ أَجْمَالًا

إنما عني بالجمال هنا النخل.

ويقال: جملت الشحم وأذبتة والجميل الشحم المذاب.

وجاءت الجملة في القرآن الكريم بمعنى الجمع<sup>(1)</sup> قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا

نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: 32].

يتضح لنا من التعريفات السابقة أن الجَمَل بفتح الجيم والميم، والجُمَل بضم الجيم والميم تعني الاجتماع والانضمام، وعكسها الانفصال والتفرق.

### ب - في الاصطلاح:

يعرّف "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471هـ أو 474هـ) الجملة بأنها "الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة التي لم توضع لتعرف معانيها في نفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد."<sup>(2)</sup> أي إن استعمال اللغة يظهر في الألفاظ المعبرة عنها، ومعاني هذه الألفاظ لا تكتمل إلا بانضمامها وتجاورها في جمل تامة ومفيدة.

<sup>1</sup> - ينظر: فتحي عبد الفتاح الدجني، الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا، مكتبة الفلاح، ط2، الكويت: 1408هـ/1986م، ص 17/16/15.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 415.

أما "ابن جني" (ت 392هـ) فيرى أن الكلام المفيد هو الجملة: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك وقام محمد." (1)

أما "العكبري" (ت 616هـ) فيرى أن الجملة هي الكلام "والكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامة كقولك: زيد منطلق، وإن تأتني أكرمك، قم وصه، وما كان في نحو ذلك، فأما اللفظة المفردة نحو: (زيد) وحده ونحو ذلك فلا يسمى كلاماً بل كلمة؛ هذا قول الجمهور." (2)

نلاحظ من خلال تعريف "ابن جني" أنه اتفق مع "العكبري" في جعل الكلام هو الجملة، لكن "ابن جني" أضاف على تعريف "العكبري" تخصيص نوع الكلام وهو الكلام المفيد، فجعل الفائدة صفة للكلام أما أبو البقاء فجعل الفائدة صفة للجملة بقوله: "الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة يسوغ السكوت عليها." (3)

أما الجملة عند جمهور النحاة "فتعبير صناعي أو مصطلح نحوي لعلاقة إسنادية بين اسمين أو اسم وفعل تمت الفائدة بها أم لم تتم، ولذلك فهي أعم من الكلام، والكلام أخص منها." (4)

وحد الجملة هو ذلك المعنى الذي تؤديه، فباكتماله يكتمل حدها قصرت أم طالت، كما يقول الجرجاني: "إنه لا معنى للنظام غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم." (5)

1- أبو الفتح بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار عالم الكتب، ط1، بيروت: 1995م، ج1، ص 17.  
2- أبو البقاء العكبري، مسائل خلافة في النحو، تح: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، ط1، بيروت: 1992م، ج1، ص 35.  
3- أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: مختار غازي طليمات، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت: 1995م، ص 41.  
4- ابن هشام المصري، رسالة المباحث المرضية المتعلقة بمن الشريطة، تح: مازن المبارك، دار ابن كثير، ط1، دمشق: 1408هـ، ص 50.  
5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 282.

وقد يفهم المعنى من الجملة في شكلها المنفصل؛ أي باعتبارها مكونا دلاليا منفصلا قائما بذاته، لا نحتاج في فهمها إلى وضعها في سياق عام يحتوي على مجموعة من الجمل المتتالية التي لا ينفصل معنى الواحدة منها عن الأخرى، فالأصل في الجملة "الانفصال والاستقلال، والأصل في المفردات الارتباط في التركيب، وكان لا بد من أداة تربط بين الجملتين نحو: يحب زيد قيادة السيارات والمطر متساقط، وهنا لا بد من أداة تربط بين الجملتين، وهي واو الحال، فحين تم الربط، أمكن القول أن الجملتين صارتا جملة واحدة تؤدي معنى دلاليا واحدا." (1) وإن هذا الاستقلال للجملة لم يكن من الفراغ بل "جاء في إطار النظر إلى الجملة كأكبر وحدة لغوية مستقلة، وحديثا كانت الجملة مدار رأي تشومسكي في مجال التوليد اللغوي، فيرى تشومسكي أن القواعد النحوية الكامنة في المقدرة اللغوية العامة لدى ابن اللغة قادرة على إنتاج جميع الجمل والجمل فقط في اللغة. وهو بذلك يخص الجمل بحد ذاتها." (2)

لكن الجملة لا يمكن فهم المعنى الذي تحمله إلا إذا نسجت وفق قواعد نحوية مضبوطة، لأن الجملة "المقبولة دلاليا لا بد أن تتضمن علاقات تلاؤمية صحيحة. وهذه العلاقات الدلالية علاقات أفقية، أي أنها تركيبية لا يمكن أن تتشأ إلا بطريق التركيب النحوي." (3)

والجملة من منظور أنها وحدة مستقلة قائمة بذاتها تختلف دلالتها ومعناها من شخص لآخر، وذلك حسب إمكانات المتأمل لها نحويا ودلاليا، فالجملة "ذات دلالة

<sup>1</sup> - مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان: 1997م، ص148.

<sup>2</sup> - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان: 1997م، ص90.

<sup>3</sup> - مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص147.

حقيقية بالنسبة لشخص معين إذا عرف هذا الشخص كيف يتحقق من القضية التي تهدف الجملة إلى التعبير عنها.<sup>(1)</sup>

لكن من منظور أن الجملة لا يكتمل فهم معناها إلا بانضمامها إلى جمل سابقة أو لاحقة تسهم في تحديد معناها وإيضاح دلالتها، باعتبار أنها المسؤولة عن تحديد السياق العام للنص، ففي إطار النص ترتبط الجمل بعضها ببعض وتسهم كل جملة في إيضاح معنى الجملة التالية لها، حيث إن الجملة داخل النص "لا تفهم في حد ذاتها فحسب وإنما تسهم الجمل الأخرى في فهمها. وإنما يحدد المعنى من خلال النص الكلي الذي تتضامن أجزاؤه وتتآزر."<sup>(2)</sup>

وانضمام جملة إلى أخرى واجتماعهما في إطار ما يجمعهما وهو النص، يجب أن يكون وفق ارتباط دلالي يقول صلاح فضل في هذا السياق: "ترتبط العبارتان فيما بينهما، إذا كان مدلولهما، أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مرتبطة فيما بينها. فعبرة: لما كان الجو حسنا فإن القمر يدور حول الأرض، ليس هناك علاقة بين حسن الجو ودوران القمر حول الأرض، لأن الموقف المتعلق بكل عبارة لا يدعم التعالق."<sup>(3)</sup> فالعبارتان لا ترابط بينهما لعدم وجود الترابط الدلالي، وإن كانتا من حيث التركيب النحوي صحيحتين. يمكن القول أن الجملة أو المقولة اللغوية لا يمكننا الحكم عليها بالانفصال والاستقلال أو الارتباط والتبعية الدلالية لجمل أخرى إلا من خلال المدلول الذي وظفت وأنشئت من أجل تحقيقه، أي حسب السياق الذي توضع فيه الجملة، حيث تجدها مستقلة

<sup>1</sup> جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد: 1987م، ص 121.

<sup>2</sup> سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص 140.

<sup>3</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار عالم المعرفة، (دط)، الكويت: 1992م، ص 337.

في سياق وغير مستقلة في سياق آخر، فاستقلالها "أمر نسبي يحكمها موقعها في السياق؛ فقد تكون الجملة مستقلة في سياق معين، وتكون نفسها غير مستقلة في سياق آخر." (1)

### 2-1- نحو الجملة (Grammaire de phrase):

#### 1-2-1- بين الجملة والكلام:

إن المتتبع لكتب النحو العربي يجد أن أصحابها لم يحددوا تقريبا واضحا بين مصطلحي «الجملة» و«الكلام» إلا في فترة متأخرة عن فترة نشأة النحو والتأليف في أبوابه ومباحثه، فهذا العالم الجليل "سيبويه" (ت 180هـ) الذي لم يترك بابا في النحو إلا خاض فيه ووصف مباحثه وصفا علميا دقيقا، إلا أنه لم يول اهتماما بالتفريق بين «الجملة» و«الكلام»، يقول محمد حماسة عبد اللطيف: "لم يظهر مصطلح الجملة على شهرته، مع الدراسات النحوية التي عاصرت كتاب سيبويه، إذا أخذنا في الاعتبار أن كتاب سيبويه يمثل نضجا للجهود النحوية في هذه الفترة." (2) فسيبويه في كثير من مواضع كتابه استعمل مصطلح «الكلام» بدلا من مصطلح «الجملة»، والقارئ لكتابه "يلحظ أنه يستخدم «الكلام» حيث يتوقع القارئ أن يستخدم الجملة." (3)

أما "ابن جني" و"الزمخشري" (ت 538هـ) فقد اعتبرا أن المصطلحين وجهان لعملة واحدة، حيث إن "ابن جني" عرّف الكلام على أنه "كلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك وقام محمد" (4)، أما "الزمخشري" فقد عرّف الكلام بقوله: "هو المركّب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى. وذلك لا يتأتى إلا في

<sup>1</sup> - مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 147.

<sup>2</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، (دط)، القاهرة: 2003م، ص 21.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

<sup>4</sup> - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، ط2، عمان، الأردن: 1427هـ/2007م، ص

اسمين، كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر. ويسمى جملة.<sup>(1)</sup>

إن الملاحظ لتعريفي "ابن جني" و"الزمخشري" يدرك أنّهما عرفا الكلام معتمدين على عنصرى تركيب الجملة وهما المسند والمسند إليه، سواء كانا اسمين أو اسما وفعلا. لكن هذه المساواة بين مصطلحي «الكلام» و«الجملة» لا تكون إلا وفق شرطين أساسيين "الأول هو الائتلاف، بعبارة عبد القاهر الجرجاني، أو التركيب في تعبير الزمخشري، وهو ما يساوي الاستقلال وعدم الاحتياج إلى شيء آخر في تعبير ابن جني. والثاني هو الفائدة في تعبير كل من ابن جني وعبد القاهر، أو الإسناد في تعبير الزمخشري."<sup>(2)</sup>

لكن بعد هذه المرحلة تم التفريق بين المصطلحين (الكلام والجملة) في مرحلة أخرى لاحقة تفريقا يحدّد حدّ كل مصطلح وما يختص به؛ فجمهور النحاة ذهبوا إلى أن "الكلام والجملة مختلفان، فإن شرط الكلام الإفادة ولا يشترط في الجملة أن تكون مفيدة، وإنما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد، فهي أعم من الكلام إذ كل كلام مفيد وليس كل جملة مفيدة، جاء في «التعريفات» في تعريف الجملة أنها عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحدهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك «زيد قائم» أو لم يفد كقولك «إن يكرمني» فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون أعم من الكلام مطلقا.<sup>(3)</sup> فالإسناد في الجملة يمكن أن يكون أصليا في تركيب مقصود لذاته، أو يكون أصليا في تركيب غير مقصود لذاته، والمتأمل للآية: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور:45]، يلاحظ أن فيها نوعين من الإسناد، أحدهما أصلي مقصود لذاته، وهو ذلك الذي يتكون من اسم

<sup>1</sup> أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب، المرتجل، نقلا عن: فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي، ط5، حلب، سوريا: 1409هـ/1989م، ص 15.

<sup>2</sup> محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص 24.

<sup>3</sup> فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 12.



الجلالة المبتدأ والخبر وهو جملة ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾، أما النوع الثاني من الإسناد وهو ذلك الإسناد غير المقصود لذاته الموجود بين الفعل (خلق) والضمير المستتر فيه، والآية على هذا يمكن أن يقال عنها: كلام تضمنه إسناد أصلي مقصود لذاته، كما يمكن أن يقال عنها: إنها جملة لتضمنها إسناداً أصلياً غير مقصود لذاته، أما جملة الخبر (خلق كل دابة من ماء) فلا يقال عنها إنها (كلام) لأن الإسناد فيها غير مقصود لذاته، بل يقال عنها إنها جملة فحسب.<sup>(1)</sup>

ولا يمكن إظهار حدود الجمل ونهاياتها إلا بالوقوف على ذلك في نص من النصوص، فقد "وقف النحويون عند قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون» [الأعراف: 96/98]، وزعموا أن (أمن أهل القرى) معطوفة على (أخذناهم بغتة) وما اعتراض. ثم اختلفوا في عدد الجمل في هذا الاعتراض، تبعاً لتلك الجملة. فزعم بعضهم أن جمل الاعتراض سبعة.<sup>(2)</sup> إذا فالفرق بين الجملة والكلام "أن الجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا [...] والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس"<sup>(3)</sup>، وقد كان "ابن هشام" أوضح المفرقين بين «الكلام» و«الجملة» "فهو يقول: الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن

<sup>1</sup> ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص 24.

<sup>2</sup> فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشبه الجمل، ص 16.

<sup>3</sup> عز الدين المجذوب، المنوال النحوي العربي، قراء لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، ط1، تونس: 1998م، ص 155.

السكوت عليه. والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، والمبتدأ وخبره كزيد قائم، وما كان بمنزلة أحدهما نحو: ضرب اللص، وأقائم الزيدان؟ وكان زيد قائماً وظننته قائماً.<sup>(1)</sup> وهذا التفريق الدقيق بين مصطلحي «الكلام» و«الجملة» لم يأت من العدم، بل جاء بعد جهد كبير بذله النحاة في سبيل وضع حدود كل مصطلح وإثبات ذلك من خلال الاستدلال بشواهد من القرآن الكريم والشعر العربي، يقول فخر الدين قباوة: "الجمهور يفصلون بينهما. فقول طرفة:

لَعْمَرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ، مَا أَخْطَأَ الْفَتَى، لَكَاطِوَلِ الْمُرْحَى، وَتَنِيَاهُ بِالْيَدِ

ينطبق عليه تعريف النحويين للكلام، لأنه يقتضي أن يذكر كل المعنى الذي يحسن السكوت عليه. وهو يضم أربع جمل هي: قسي، إن الموت لكاطول، أخطأ، تنياه باليد.<sup>(2)</sup> بالإضافة إلى هذا التمثيل لكيفية تفريق النحاة بين الكلام والجملة في الشعر العربي، فإننا ذكرنا في السابق المثال الذي استشهد به النحاة من القرآن الكريم.

كما يمكن أن تلخص مراحل تطور مفهوم مصطلحي الكلام والجملة فيما يلي<sup>(3)</sup>:

**أولاً:** في كتاب سيبويه لم يستعمل سيبويه مصطلح «الجملة» بل اكتفى بمصطلح «الكلام»؛ لأنه كان مهتما بالتمثيل وبوصف التراكيب في أغلب الأحيان.

**ثانياً:** ظهور مصطلح «الجملة» مع مصطلح «الكلام» واستعمالهما مترادفين للدلالة على شيء واحد، وهو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

**ثالثاً:** غلبة استخدام مصطلح الكلام بوصفه أخص من الجملة، وكان ابن هشام ومن بعده من أبرز من تناولوا هذين المصطلحين بهذا الفهم.

<sup>1</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص 27.

<sup>2</sup> - فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص 16.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص 31/30.

### 1-3-2- بناء الجملة:

الجانب الصرفي في اللغة العربية معني بدراسة المفردات وكيفية بنائها، و يهتم أيضا بالتغيرات التي تصيب المفردة ويقف عند الأسباب التي أحدثت هذه التغيرات، أما "الجانب النحوي فمعني بالجمل، وذلك لأن المفردات إن لم تنتظم في جمل ذوات روابط لم تستطع أن تعبر عن تفكير منظم. ومن المعروف أن تفكير الإنسان وتعبيره مرتبطان بالعبارات اللغوية، أي إن بناء الجمل يتم وفق عادات تفرضها لغة المجتمع على الفرد.<sup>(1)</sup>

فالجملة مجموعة من المفردات التي تحقق باجتماعها في إطار الجملة المعنى المنشود، ولا يتحقق المعنى إلا بالالتزام بالنظام النحوي الذي يعتبر "الهيئة التركيبية التي توجد عليها هذه المفردات منظومة في الجملة من الفاعلية والمفعولية والظرفية والحالية، وغير هذه وتلك من الوظائف النحوية، مراعى في ذلك كله القوانين الخاصة بكل وظيفة نحوية على حدة من حيث شروط ورودها الخاصة، ومن حيث قوانين ارتباط الكلمة التي تشغلها بما تتضمن معه في تركيب واحد مفيد."<sup>(2)</sup>

وهذا التلاحم الموجود بين المفردات ووظائفها النحوية في الجملة تفاعل عقلي صوتي في وقت واحد. وهذه المفردات من غير نظام نحوي يحكمها ويربط ما بينها لا يأتي لها اجتماع إلا في التنظيم المعجمي فحسب. والتنظيم المعجمي عمل لا يقوم به المتكلم، بل يقوم به الباحث اللغوي، والنظام النحوي من غير مفردات وعاء فارغ، وهذا النظام لا يقوم إلا في عقول أبناء اللغة.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - مختار غازي طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، (دط)، دمشق، سوريا: (دت)، ص 186.

<sup>2</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشرق، ط1، القاهرة: 1420هـ/2000م، ص 162.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

ولعل أهم ما يتحكم في بناء الجملة هو تلك النظرية التي أخذت حيزا كبيرا في الدراسات اللغوية العربية، وهي نظرية العامل، على خلاف بعض الدراسات اللغوية الحديثة التي اهتمت بالجانب الشكلي البنائي للجملة، في حين يعد العامل "عنصرا مهما في دراسة بناء الجملة. ونوضح هذا بالنظر في بحث النحاة للفعل المضارع بعد «حتى» فقد لاحظوا أنه فعل منصوب، نقول مثلا: حتى أدخل، أو حتى أخرج... وهنا يمكن أن نقول على نحو وصفي مباشر أن هذا التركيب يتكون من «حتى + فعل مضارع منصوب» ولكن النحاة بعد ذلك طرحوا السؤال التقليدي عن العامل في كون هذا الفعل المضارع منصوبا<sup>(1)</sup>، لكن هل «حتى» تعمل في الفعل المضارع؟ و"رب قائل يقول: العامل هو كلمة «حتى» فيرفض جمهور النحاة مقررين خطأ هذه المقولة، ويعلل النحاة هذا برأيهم في العامل، فالعامل عندهم لا يعمل إلا مختصا، الأفعال لها عواملها، وليس ثمة عوامل تعمل في الأفعال والأسماء.<sup>(2)</sup>

فرفض النحاة اعتبار العامل «حتى» يعمل في الأفعال والأسماء جاء وفق قاعدة محكمة، وهي أن للأسماء عوامل تختص بها وللأفعال عواملها الخاصة بها، وهذا التفريق بين عوامل الأفعال والأسماء نابع من التفريق المتأصل بين الأفعال والأسماء، فللأفعال صفات تعرف وتعرف بها، وللأسماء ما يميزها عن الأفعال. فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن نجد عاملا يختص بالأفعال يعمل في الأسماء، لذلك وجب على النحاة البحث عن الأصل في العامل «حتى» أيختص بالأسماء أم بالأفعال؟ فتساءلوا: "هل حتى من عوامل الأسماء أو من عوامل الأفعال، فيقول أكثرهم أنها من عوامل الأسماء فهي تجر

<sup>1</sup> - حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي، (دط)، بغداد: 1989م، ص 65.

<sup>2</sup> - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، (دط)، القاهرة: (دت)، ص 114/115.

الاسم مثل: (حتى مطلع الفجر)، وإن كانت كذلك فلا بد من كونها مختصة بالأسماء، أي أنها لا تؤثر إلا في الأسماء، ولا بد أن يكون ما بعدها اسما. (1)

فمنظور النحاة القائل باختصاص «حتى» بالأسماء دون الأفعال جعلهم يفسرون عملها في الأفعال «حتى + فعل مضارع منصوب» تفسيراً يعتمد على التقدير؛ أي أن الأصل في الجملة نصب الفعل المضارع بأن المحذوفة وحتى عملت في المصدر المحذوف. (2)

إن قضية العامل في بناء الجملة العربية قضية مهمة لا يمكن لأي باحث لغوي إنكارها أو تجاهلها، والمثال المذكور (العامل حتى) ما هو إلا قطرة من بحر واسع لا يسعنا المجال هنا لذكر كل الأمثلة التي أوردها النحاة، والتي اختلفوا في تفسيرها مرات واتفقوا مرات أخرى، لكن ما يجب على الباحث عدم إغفاله هو الوصول إلى المعنى من خلال ضم المفردات بعضها إلى بعض في الجمل، وهذا لا يتحقق إلا بالالتزام بالنظام النحوي ومعاني المفردات المشكلة للجملة لأن "الدلالة النحوية التي ينهض بها النظام النحوي الكامن وراء المفردات المنطوقة، مع الدلالة المعجمية الأولية للكلمة تشكلان معا «معنى» الكلمة في الجملة، وكلا الجانبين متعاونان، ففي أحيان كثيرة يقوم النظام النحوي للجملة في سياق معين بتوضيح معنى كلمة لا يعرفها المستمع من قبل، ويسمعها لأول مرة، ولكن وضعها في سياق نحوي معين يكشفها ويوضحها ويدفع المستمع إلى أن يحس بمعناها حدسا صحيحا. (3) أي أن معنى الكلمة لا يكتمل ولا يتحقق إلا بوضعها في سياق معين يُظهر معناها ويوضح دلالتها، فكما اختلف السياق اختلفت الدلالة، وكما تنوع السياق توسعت الدلالة وتنوعت، ولا يمكن أن يتنوع السياق ويتعدد إلا بوجود نظام نحوي يسمح للكلمة بالظهور في سياقات مختلفة.

1- حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 65.

2- ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 115.

3- محمد حماسة عبد الطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي، ص 162/163.

### 4-1- أنواع الجمل:

قسم علماء اللغة والنحاة على وجه التحديد الجملة إلى عدة أقسام، حيث اختلفوا في تقسيماتهم وهذا راجع إلى اختلاف وجهات نظرهم والأسس التي اعتمدوا عليها في هذا التقسيم، لكن يوجد أساس مشترك بين النحاة في تقسيماتهم وهو علاقة الإسناد التي تقوم عليها الجملة أيا كان نوعها، كون أن هذه العلاقة "هي لب الجملة في كل أنماطها"<sup>(1)</sup>، فمنهم من قسمها إلى جمل فعلية وجمل اسمية، ومنهم من أضاف إلى هذا التقسيم الظرفية والشرطية، ولكل من الفريقين رأي في ذلك، ومنهم من قسمها إلى كبرى وصغرى ومنهم من قسمها إلى بسيطة وممتدة ومزدوجة أو متعددة ومركبة، وعرض هذه التقسيمات بالتفصيل فيما يلي:

#### 1-4-1- التقسيم الأول:

تقسم الجملة من هذا المنظور إلى: فعلية و اسمية وشرطية وظرفية، قال "ابن يعيش" (ت 643هـ) في شرح المفصل: "قال صاحب الكتاب: والجملة على أربعة أضرب فعلية واسمية وشرطية وظرفية وذلك زيد ذهب أخوه، وعمرو أبوه منطلق، وبكر إن تعطه يشكر، وخالد في الدار."<sup>(2)</sup> حيث إن "ابن يعيش" يعرض في هذا القول أنواع الجملة إلا أنه يرى أن الجملة تقسم إلى قسمين أصليين وهما: الفعلية والاسمية، فهو يقول "هذه قسمة أبي علي وهي قسمة لفظية، وهي في الحقيقة ضربان فعلية واسمية"<sup>(3)</sup>، لكن في هذا المقام نحاول عرض كل الأنواع الممكنة للجملة العربية.

<sup>1</sup> - محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها، مكتبة الآداب، (دط)، القاهرة، (دت)، ص 132.

<sup>2</sup> - ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة النبوية، (دط)، مصر: (دت)، ج 1، ص 88.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص ن.

**1-1-4-1-1 الجملة الفعلية:** وهي "التي صدرها فعل ك (قام زيد)، و(ضرب اللص) و(كان زيد قائماً)، و(ظننته قائماً)، و(يقوم زيد)، و(قُم)"<sup>(1)</sup>، أي أن يكون المسند فيها فعلاً، "نحو: حضر محمد وكان محمد مسافراً وظننت أخاك مسافراً. والمراد بصدر الجملة الفعل والمسند إليه فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف والفضلات، فقولك (أقائم الرجلان) و(لعل أباك منطلق) من الجمل الاسمية، و(قد قام محمد) و(هل سافر أخوك؟) و(محمدًا أكرمت) و(من أكرمت؟) و﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر:7] جمل فعلية"<sup>(2)</sup>، فالجملة الفعلية هي التي تبتدئ بفعل لكن علماء اللغة اختلفوا في الجمل التي تبتدئ بأفعال ناقصة أي جمل فعلية أم اسمية، "وذلك أنهم اختلفوا في دلالة الأفعال الناقصة على الحدث واختلفوا تبعاً لذلك في أنها هل تقع مسنداً؟ فمن يرى أنها تدل على الحدث يقول بإسنادها، ومن لا يرى ذلك لا يقول به فتكون من الفضلات، وعلى هذا تكون جملة (كان أخوك مسافراً) اسمية لأن الصدر هو (أخوك)"<sup>(3)</sup>. وهذا الخلاف عائد إلى الأخذ بالأصل أو الفرع، فإن أخذنا بالأصل فأصل الجملة المبتدأ والخبر (المسند والمسند إليه)، اعتبرنا الجملة اسمية، وإن أخذنا بالفرع (اتصال الجملة بفعل ناقص) اعتبرنا الجملة فعلية.

**1-1-4-1-2 الجملة الاسمية:** وهي "التي صدرها الاسم ك (زيد قائم)، و(هيئات العقيق)، و(قائم الزيدان)، عند من جوزه وهم الأخفش والكوفيون."<sup>(4)</sup> فكل جملة كان أولها

<sup>1</sup> ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، المساهم فهرست، ط1، الكويت: 1421هـ/2000م، ج5، ص13.

<sup>2</sup> فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص157.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص158.

<sup>4</sup> ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج5، ص13.

اسما سميت اسمية، وما سميت اسمية إلا لتصدرها بالاسم<sup>(1)</sup>، وعند القول: تصدرها به أي أن يكون الاسم محتلا موقع الصدارة في أصل تركيب الجملة. والجملة الاسمية هي التي لا يكون المسند فيها فعلا، غير أنها يمكن أن تقترن أحيانا بقرينة خارجة عن الإسناد تشير إلى زمن معين في الماضي، أو الحال، أو المستقبل وكما تقترن الجملة الاسمية بقرينة تدل على الزمن، كذلك تقترن بما يشير إلى الدلالة المكانية، غير أنها غالبا ما تكون عارية من القرائن، متصفة اتصافا عاما يبيّن العلاقة بين المسند والمسند إليه<sup>(2)</sup>، لأنّ الأصل في الجملة الاسمية هو عدم ارتباطها بقرائن تدل على الزمان أو المكان، بل الأصل فيها أن تتكون من ركنين اسميين، أحدهما المبتدأ وثانيهما الخبر.

ولكن قد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل فيكون أحد مكوناتها (وهو الخبر) متضمنا للزمن، وذلك إذا كان الخبر جملة فعلية نحو: محمد يحضر، لكن من النحاة من يجوز تقدّم الفاعل على الفعل، إذ "يرى أن نحو (محمد يحضر) جملة فعلية، لأن صدر الجملة عنده فعل والمسند إليه مقدم من تأخير"<sup>(3)</sup>، ومن النحاة من ذهب أبعد من ذلك واعتبر أنّ الجملة الاسمية هي ما تكونت من اسمين، فإذا كان المسند فعلا صنفت الجملة فعلية دون النظر إلى رتبته، يقول رمضان عبد التواب: "أكثر الكلام جمل والجملة مركبة من مسند ومسند إليه، فإن كان كلاهما اسما أو بمنزلة الاسم فالجملة اسمية، وإن كان

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدنبري، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة: 1414هـ/1993م، ص 65.

<sup>2</sup> - ينظر: علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، دار الثقافة، ط1، عمان، الأردن: 2002م، ص 30.

<sup>3</sup> - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 158.



المسند فعلا أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية.<sup>(1)</sup> وهذا رأي الكوفيين؛ حيث إنهم أجازوا تقديم الفاعل على المسند إليه، فأجازوا أن يكون (زهير) في قولك: (زهير قام) فاعلا لقام مقدّما عليه. لكن البصريين منعوا ذلك، وجعلوا المقدم مبتدأ خبره الجملة بعده. ويرى الكوفيون - أيضا - أنه يجوز القول: (الرجال جاء) على أن الرجال فاعل لجاء مقدّم عليه. أما البصريون فلم يجيزوا هذا التعبير، بل أوجبوا أن يقال: (الرجال جاءوا) على أن الرجال مبتدأ خبره جملة جاءوا، والحق أن ما ذهب إليه البصريون هو الحق.<sup>(2)</sup>

إن ترجيح رأي البصريين في مسألة اعتبار الاسم المتصدر للجملة مبتدأ لا فاعلا مقدما لفعل مؤخر، ليس ترجيحا اعتباطيا، بل هو ترجيح يرتكز على أساسين اثنين هما: أولا: إن تفسيرات وشواهد البصريين في هذه المسألة أكثر إقناعا منها عند الكوفيين. ثانيا: لو اخترنا جملة (محمد يحضر) وأردنا أن نلحقها بناسخ من النواسخ لجاز ذلك والنواسخ لا تدخل إلا على الجمل الاسمية، فيصير التركيب: إن محمدا يحضر، لكن هذه الجملة لو كانت فعلية لما قبلت دخول الناسخ عليها.

وقد يقال: إن النواسخ تدخل على الأسماء لا على الجملة الاسمية، لكن الصواب أنها تدخل على الجملة الاسمية لا على الأسماء، فقولك (محمدا أكرمت)، وقولك (إياك أكرم)، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة:05]، فكل من (محمد) و(إياك) مفعول به مقدّم والجملة فعلية لكن لا يصح إدخال النواسخ عليها مع أنهما اسمان فلا تقول (إن محمدا أكرمت)، فلو كان (محمد يحضر) جملة فعلية لامتنع إدخال النواسخ عليها كما امتنع في جملة المفعول.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية (محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية المستشرق الألماني برجشتراسر)، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة: 1414هـ/1994م، ص 125.

<sup>2</sup> - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط 28، صيدا، بيروت: 1414هـ/1993م، ج2، ص 235.

<sup>3</sup> - ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 159.

يعدّ الفصل بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية نقطة خلاف بين علماء العربية قديماً قدم الدراسات اللغوية العربية، وهذا الخلاف لا يعتبر خلافاً في الأصول، بل هو خلاف في الفروع، كون أن الأصل فيهما المسند والمسند إليه مرتبان ترتيباً ينبع من نظرية العامل العربية، أي إن العامل سابق لمعموله في رتبته.

**1-4-1-3- الجملة الشرطية:** هي الجملة التي تتضمن معنى الشرط، والشرط هو اقتران أمر بآخر بحيث لا يتحقق الثاني إلا بتحقيق الأول مع وجود أداة الشرط، والجملة الشرطية "نحو قولك: زيد إن يقيم أقم معه، فهذه الجملة وإن كانت من أنواع الجمل الفعلية وكان الأصل في الجملة الفعلية أن يستقل الفعل بفاعله نحو: قام زيد، إلا أنه لما دخلها هنا حرف الشرط ربط كل جملة من الشرط والجزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملة الواحدة نحو المبتدأ والخبر، فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء.<sup>(1)</sup> فالجملة الشرطية تتكون من فعل وجوابه ولا يستقيم المعنى إلا بارتباطهما في تركيب واحد، وجملة الشرط إما أن تكون جازمة فتتحقق بحرفين (إن - إذما) أو بأسماء مخصوصة (من، ما، مهما، متى، أنى، أينما، حيثما، كيفما...)، وإما أن تكون غير جازمة فتتحقق بأدوات يأتي بعدها إعلان أي جملتان الواحدة منهما مرتبة على الأخرى بوجود أداة الشرط، لكنها لم تجزم فعلي الشرط، ويكون الشرط في هذه الجملة بأدوات هي: (كيفما، إذا، لو، لولا، لوما، إما...).

ومن الناحية من اعتبر أن أفراد الجملة الشرطية لا أساس له كونها جملة فعلية في الأصل، ودليلهم في ذلك أنها تكون مصدرية إما بحرف شرط أو اسم شرط، واسم الشرط إما أن يكون عمدة أو فضلة، تقول (من تكرم أكرم) فمن مفعول به مقدم ونحوه في قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110]، ف "أيا" مفعول به مقدم.

<sup>1</sup> - ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 89.

ويستدلون على فعلية هذه الجمل - أيضا - بمقارنتها بأسماء الاستفهام، ويتساءلون عن الفرق الموجود بينها وبين أسماء الشرط، حيث إنّ جملة (أيّ رجل تكرم؟) جملة فعلية باعتبار (أيّ) مفعولا به مقدا ولا يكون (أيّ رجل تكرم أكرم) جملة فعلية أيضا مع أنّ إعراب (أيّ) في الحالتين واحد، ولماذا يكون قولك (متى تسافر؟) جملة فعلية، ولا يكون قولك (متى تسافر أسافر) جملة فعلية؟<sup>(1)</sup> أي يجب العودة في تقسيم الجمل إلى العلاقة الإسنادية، فلو بحثنا عن هذه العلاقة في الجملة الشرطية لوجدناها العلاقة نفسها الموجودة في الجملة الفعلية، وهذا رأي "ابن يعيش" ومجموعة من النحاة الذين نظروا إلى الجملة من منظور تركيبى يعتمد على المسند والمسند إليه.

**4-1-4-1. الجملة الظرفية:** وهي الجملة التي "مثّل لها الزمخشري بنحو قولك: (خالد في الدار)"<sup>(2)</sup> وهو مبني على أنّ الاستقرار المقدر فعل لا اسم وعلى أنّه حذف وحده وانتقل الضمير إلى الظرف بعد أن عمل فيه<sup>(3)</sup>، والجملة الظرفية وهي المصدرة بظرف "والظرف على ضربين: ظرف من الزمان، وظرف من المكان، وحقيقة الظرف ما كان وعاء وسمي الزمان والمكان ظروفا لوقوع الحوادث فيهما."<sup>(4)</sup> لكن القول بالجملة الظرفية من منظور بعض النحاة قول فيه نظر، فإنّه على ما ذهب إليه صاحب المغني أنّ الاسم المرفوع فاعل بالظرف أو بالجار والمجرور في نحو (أعندك زيد؟)، يظهر أنّ هذا القول (زيد) مبتدأ مؤخر لا فاعل بدليل أنّه يصح أن تدخل عليه النواسخ فتقول: إن عندك زيد ولو كان فاعلا لم يصح دخول (إن) عليه ولا انتصابه. وتقول (أكان عندك زيد؟) فزيد اسم كان لا فاعل، وإذا كان فاعلا فأين اسم كان؟<sup>(5)</sup> فهذا الخلاف في تفسير عناصر

<sup>1</sup> - ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 161/160.

<sup>2</sup> - فتحي عبد الفتاح الدجني، الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا، ص 79.

<sup>3</sup> - ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 160.

<sup>4</sup> - ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص 89.

<sup>5</sup> - ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 160.

الجملة الظرفية وتقدير ما حذف منها قطعه "ابن يعيش" باعتبار الجملة العربية تنقسم إلى قسمين لا ثالث لهما وهما: الفعلية والاسمية، وأنّ كلّ الجمل التي اعتبرها بعض النحاة أصنافا تخرج عن هذا التقسيم، هي جمل في الأصل إما فعلية أو اسمية.

**1-4-2-1- التقسيم الثاني:** يختلف هذا التقسيم عن التقسيم السابق في أنّه يجمع كل الأنواع التي ضمّها سابقه في نوع واحد أطلق عليه: الجملة الأصلية، ويضاف إلى هذا النوع الجملة الكبرى والجملة الصغرى، ومن هذا يدرك الدارس أنّ هذا التقسيم أوسع من سابقه وبيان ذلك فيما يلي:

**1-2-4-1- الجملة الأصلية:** وهي الجملة التي "تقتصر على ركني الإسناد"<sup>(1)</sup> من فعل وفاعل أو مبتدأ وخبر، أي اسمية كانت أو فعلية، أو بعبارة أخرى: هي التي تقتصر على المبتدأ مع خبره، أو ما يقوم مقام الخبر، أو تقتصر على الفعل مع فاعله أو ما ينوب عن الفعل. والجملة الأصلية لا تقع خبرا لمبتدأ؛ أي إنّها لا ترتبط في معناها باسم سابق لها بل ترد منفصلة مكتفية بعناصرها، مستقلة في معناها.

**1-2-4-2- الجملة الكبرى:** يعرفها السيوطي (ت 911 هـ) على أنّها "الاسمية التي خبرها جملة: زيد قام أبوه، وزيد أبوه قائم."<sup>(2)</sup> فالجملة الكبرى هي تلك الجملة الاسمية التي تكونت من مبدأ يتبعه خبره الجملة إما اسمية وإما فعلية، أو "هي ما كان الخبر فيها جملة ولو بحسب الأصل. وذلك نحو: محمد سافر أخوه، وزيد سافر، وكان محمد أخوه منطلق وظننت محمدا يسافر أخوه. فهذه الجمل كلها كبرى."<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها، ص 134.

<sup>2</sup> - جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، (دط)، بيروت: 1413هـ/1992م، ج1، ص38.

<sup>3</sup> - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 168.

وقد قسّم بعض النحويين الجملة الكبرى إلى قسمين: "جملة ذات وجهين وجملة ذات وجه، فالجملة الكبرى ذات الوجهين هي اسمية الصدر فعلية العجز نحو: زيد يقوم أبوه، أو فعلية الصدر اسمية العجز مثل: ظننت زيدا أبوه قائم، وذات الوجه هي ما كانت اسمية الصدر والعجز مثل: زيد أبوه قائم، أو فعلية الصدر والعجز مثل: ظننت زيدا يقوم أبوه." (1)

وهذا التقسيم الجزئي للجملة الكبرى يجعلنا نفرّق بين الجمل الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر الجملة، والجمل الاسمية الكبرى التي سبقت بفعل ناسخ، لكن النحاة لم ينظروا إلى الجملة الكبرى من هذا المنظور، بل قسموها بحسب التوافق وعدمه في طبيعة الصدر، فإذا كان الصدر يخالف العجز في الطبيعة (فعلية أو اسمية) هي كبرى ذات وجهين، أما إذا كان الصدر والعجز متوافقين في الطبيعة فهي كبرى ذات وجه واحد.

**1-4-2-3- الجملة الصغرى:** وهي "المبنية على المبتدأ كجملة المخبر عنها [...] وقد تكون الجملة كبرى وصغرى باعتبارين نحو: زيد أبوه غلامه منطلق، فمجموع هذا الكلام جملة كبرى لا غير، وغلامه منطلق صغرى لا غير، وأبوه غلامه منطلق كبرى باعتبار غلامه منطلق، صغرى باعتبار جملة الكلام." (2) ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف:38]، "أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن، فتلاقت

النونان فكان الإدغام؛ ونحوه قول القائل [الطويل]:

وَتَرْمِينِي بِالطَّرْفِ أَيُّ أَنْتَ مُذْنِبٌ      وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي

أي: لكن أنا لا أقلبك، وهو ضمير الشأن، والشأن الله ربي، والجملة خبر أنا، والراجع منها إليه: ياء الضمير، وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعاً، وحسن ذلك

<sup>1</sup> محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها، ص134.

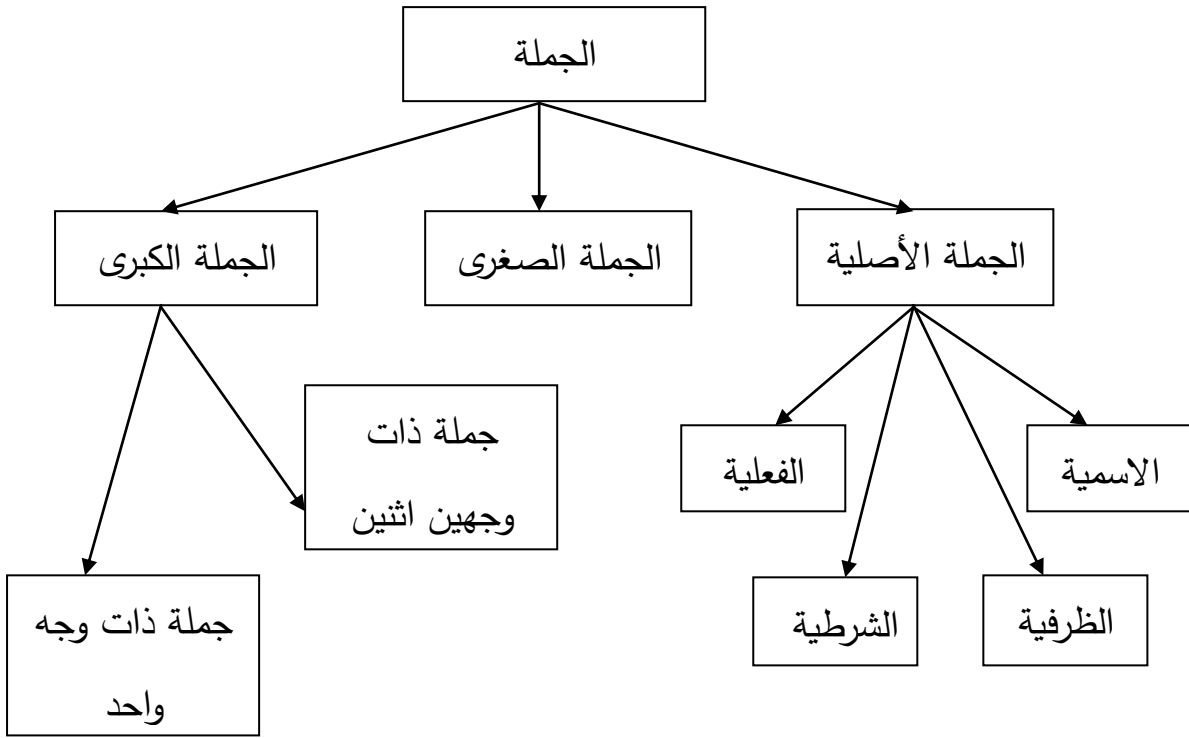
<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج1، ص39.

وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة، وغيره لا يثبتها إلا في الوقف، عن أبي عمرو أنه وقف بالهاء: لكنه، وقرئ: (لكن هو الله ربي) بسكون النون وطرح أنا، وقرأ أبي بن كعب: (لكن أنا) على الأصل.<sup>(1)</sup> فكما يظهر من كلام "الزمخشري" أن "تقدير الكلام: لكن أنا هو الله ربي، ف (أنا) مبتدأ أول و(هو) ضمير الشأن مبتدأ ثان و(الله) مبتدأ ثالث و(ربي) خبر المبتدأ الثالث، والمبتدأ الثالث مع خبره خبر للمبتدأ الثاني والمبتدأ الثاني مع خبره خبر للمبتدأ الأول، فالجملة كلها جملة كبرى. وجملة (الله ربي) جملة صغرى لا غير، وجملة (هو الله ربي) صغرى بالنسبة لمجموع الكلام، وكبرى بالنسبة إلى (الله ربي)."<sup>(2)</sup> وهذا التداخل بين عناصر الجملة الواحدة يؤدي بنا إلى التمعن في مكوناتها للبحث عن الأصل في الكلام أولاً، ثم البحث عن الموقع الذي يحتله كل جزء وما يؤديه من معنى ثانياً، ثم البحث عن الصنف الذي تنتمي إليه هذه الجملة بالنظر إلى طبيعة مكوناتها وعلاقتها بباقي عناصر الكلام عامة.

يمكن أن تجمع أنواع الجملة في المخطط الآتي:

<sup>1</sup> - جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض: 1418هـ / 1998م، ج3، ص 587.

<sup>2</sup> - فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص 169.



المخطط رقم: 01

2- النص (Texte):

2-1- مفهومه:

2-1-1- في اللغة:

ورد في لسان العرب أن "النَّصَّ: رفعك الشيء. نَصَّ الحديث يُنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ. وكل ما أظْهَرَ، فقد نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أَنْصَّ للحديث من الزُّهري أي أَرْفَعَ له وَأَسْنَدَ. يقال نَصَّ الحديث إلى فلان أي رَفَعَهُ، وكذلك نَصَّصْتُهُ إليه. وَنَصَّتْ الطَّبِيبَةُ جِيدَهَا: رَفَعَتْهُ... وَنَصَّ المَتَاعَ نَصًّا: جعل بعضه على بعض. وَنَصَّ الدَابَّةَ يُنْصُّهَا نَصًّا: رَفَعَهَا في السَّيْرِ، وكذلك الناقاة. وفي الحديث: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين دفع من عرفات سار العَنَقَ فإذا وجد فجوة نَصَّ أي رفع ناقته في السير [...] وَنَصَّ الرَّجُلَ نَصًّا إذ سألَهُ عن شيء حتى يستقصي ما عنده. وَنَصَّ كل شيءٍ: منتهاه. وفي الحديث عن علي، -رضي الله عنه-، قال: " إذا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى، يعني إذا بلغت غاية الصغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم، ويريد بذلك الإدراك والغاية. قال الأزهري: النصُّ أصله منتهى الأشياء ومَبْلَغُ أقصاها، ومنه قيل: نَصَّصْتُ الرَّجُلَ إذا استقصيت مسألتَهُ عن الشيء حتى تستخرج كل ما عنده، وكذلك النَّصُّ في السير إنما هو أقصى ما تقدر عليه الدابة، قال: فَنَصَّ الحِقَاقِ إنما هو الإدراك، وقال المبرد: نصُّ الحِقَاقِ منتهى بلوغ العقل، أي إذا بلغت من سنّها المَبْلَغَ الذي يصلح أن تُحَاقِقَ وتُخَاصِمَ عن نفسها، وهو الحِقَاقُ، فعصبتها أولى بها من أمّها." (1)

كما أورد الفيروزآبادي في مادة (نصص) قوله: " (نَصَّ) الحديث إليه: رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السَّيْرِ، والشَّيْءَ حَرَّكَه، ومنه فُلَانٌ يُنْصُّ أَنْفَهُ غَضَبًا، وهو نَصَّاصُ الأنْفِ، والمَتَاعُ: جَعَلَ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وفُلَانًا: اسْتَقْصَى مَسْأَلَتَهُ عن

<sup>1</sup> ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت: 1414هـ/1994م، ج7، ص 98/97.



الشيء والعروسُ أَعَدَّهَا على المِنَصَّةِ بالكسر، وهي ما تُرْفَعُ عليه، فانتصت، والشيء أظهره، والشواءُ يَنْصُ نَصِيصاً: صَوَّتَ على النارِ، والقِدْرُ غَلَّتْ، والمِنَصَّةُ بالفتح الحَجَلَةُ من نصِّ المتاعِ. والنَّصُّ الإسْنَادُ إلى الرئيسِ الأكبرِ، والتَّوْقِيفُ، والتَّعْيِينُ على شيء ما، وسَيَّرَ نَصًّا ونَصِيصًا: جَدُّ رَفِيعٌ، و(إذا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الحِقَاقِ أو الحِقَاقِ فالحِصْبَةُ أُولَى) أي: بَلَغَ الغَايَةَ التي عَقَلَنَ فيها، أو قَدَّرَنَ فيها على الحِقَاقِ، وهو الخِصَامُ، أو حُوقٌ فيهنَّ، فقال كلُّ من الأولياءِ: أنا أحقُّ، أو اسْتِعَارَةَ حِقَاقِ الإِبِلِ، أي: انتهى صِغَرُهُنَّ، ونَصِيصُ القَوْمِ: عَدَدُهُمْ، والنَّصَّةُ: العُصْفُورَةُ، وبالضَّمِّ: الخُصْلَةُ من الشَّعْرِ، أو الشَّعْرُ الذي يَقَعُ على وَجْهِهَا من مُقَدَّمِ رَأْسِهَا. وَحَيَّةٌ نَضَّاصٌ: كثيرةُ الحِركَةِ. وَنَصَّصَ غَرِيمَهُ وَنَاصَّهُ: اسْتَنَفَّصَى عليه وَنَاقَشَهُ. وَانْتَصَبَ انْتَبَصَّ، وَانْتَصَبَ ارْتَفَعَ، وَنَصَّنَصَهُ: حَرَّكَهُ وَقَلَّفَلَهُ، وَالبَعِيرُ: أُثْبِتَ رُكْبَتَيْهِ في الأَرْضِ وَتَحَرَّكَ لِلنُّهُوضِ.<sup>(1)</sup>

ومن خلال استقراء الدلالات المتعددة الواردة في القواميس العربية يمكن القول إنّ الدلالة الأساسية للدال "نص" هي الظهور والاكتمال في الغاية، ولا تزال هذه الدلالة بارزة في الاستخدام اللغوي المعاصر، فإذا أردنا أن نرصد التطور التاريخي لدلالة الكلمة نجد أن لفظ (نص)، يتضمن مدلولات مادية وأخرى معنوية، فمن المادية ما نجده في الدال "منصة" والتي تعني المكان المرتفع البارز للناظرين، والمنصة (هي العصفورة بالضم) وهي الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، والدلالة الحسية كما في نصت الدابة جيداً إذا رفعت، ونص الشيء حركه، ونص المتاع: جعل بعضه فوق بعض، ونص الدابة إذا رفع جيدها كي يحثها على السرعة في السير، والنص السير الشديد. أما المعاني المعنوية فهي كالاتي:

<sup>1</sup> - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان: 1426هـ/2005م، ص 632/633.

نص الأمور: شديدها، ونص الرجل: سؤاله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. وبلغ النساء نص الحقائق: أي سن البلوغ.

### 2-1-2- في الاصطلاح:

ذهب "هاليداي" (M.Hallday)<sup>(1)</sup> إلى أنّ النصّ هو اللغة التي تخدم غرضا وظيفيا، أي هو اللغة التي تخدم غرضا في إطار سياق ما. وقد يكون النصّ منطوقا أو مكتوبا. ويقرر "هاليداي" أنّه على الرغم من أنّ النصّ يظهر في شكل كلمات أو جمل، فإنّه في الحقيقة نظام من المعاني تمت برمجتها في نظام الشفرة اللغوية من أجل استنطاقها لكشف المعاني الداخلة فيها. ويرى "هاليداي" أنّ النصّ في ضوء هذا المفهوم ما هو في حقيقته سوى وحدة معنوية<sup>(2)</sup>.

وذهبت "رقية حسن" (Ruqaiya Hasan) إلى أن وحدة النصّ تعتمد على عنصرين أساسيين، العنصر الأول هو بنية النصّ التي تتحكم فيها العناصر الثلاثة التي أشار إليها "هاليداي" (عناصر سياق المقام<sup>(3)</sup>). والعنصر الثاني هو عنصر النظم، والنظم في نظر "رقية حسن" هو ذلك المكوّن الذي يتحكم في علاقات المعاني داخل النصّ ويكون وحدتها. يمكن استقصاؤه من خلال بعض العوامل اللفظية والنحوية، وعلى الرغم من أنّ النظم يخضع لبعض القوانين المحددة في الاستخدام العلاماتي للغة، فإنّ التحكم

<sup>1</sup> - هاليداي مايكل: ولد في إنجلترا سنة 1925 من أسرة جامعية، درس اللغات متخرجا في جامعات بيكين وإنجلترا سنة 1955، تحصل على جائزة دافيد راسل للبحث المتميز في تعليم الإنجليزية من المجلس الوطني لمعلمي الإنجليزية بأمريكا، من أهم مؤلفاته الكتاب الذي ألفه مع زوجته رقية حسن حول الاتساق في اللغة الإنجليزية سنة 1985. (ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدارا للكتاب العالمي، ط1، الأردن: 1429هـ/2009م، ص 172.

<sup>2</sup> - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 31.

<sup>3</sup> - أولا: الكون الفكري وينقسم إلى قسمين: القسم الأول هو المكون المنطقي، والقسم الثاني هو المكون الخبري. ثانيا: الكون العلائقي وهو الذي يحدد نوعية العلاقات اللغوية بين المشاركين في الخطاب. ثالثا: النصاني اللغوي وهو الشكل العلامي الذي يتخذه الخطاب من أجل أن يخدم غايته الوظيفية. (ينظر: يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 33.

يخضع في النهاية إلى تقدير المستمع من حيث هو الذي يتلقى الرسالة وتنتهي أهدافها في عقله.<sup>(1)</sup>

ويتفق "هاليداي" و"رقية حسن" في أنّ " أي فقرة منطوقة أو مكتوبة على حد سواء مهما طالت أو امتدت.. هي نص .. والنص وحدة اللغة المستعملة، وليس محددًا بحجم.. والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة.. والنص لا شك أنه يختلف عن الجملة في النوع. وأفضل نظرة إلى النص اعتباره وحدة دلالية. وهذه الوحدة لا يمكن اعتبارها شكلاً، لأنها معنى، لذلك فإن النص الممثل بالعبارة أو الجملة، إنما يتصل بالإدراك (الفهم)، لا بالحجم..". فيمكن أن يكون النص كلمة واحدة أو عدة كلمات تحقق دلالة عامة، كما يمكن أن يكون النص جملة أو مجموعة من الجمل المرتبط والمنسجمة لتحقيق مفهوم عام.<sup>(2)</sup>

والنصّ من منظور (تريفيتان تودوروف "Tzvetan Todorov") "لا يقوم مفهومه على المستوى نفسه الذي يقوم عليه مفهوم الجملة (أو القضية أو التركيب، إلى آخره). وجب على النصّ، بهذا المعنى، أن يكون مميزاً من الفقرة، ومن وحدة النموذج الكتابي لعدد من الجمل. فالنصّ يمكن أن يتطابق مع الجملة كما يمكن أن يتطابق مع كتاب كامل. وإنه يتحدد باستقلاله وانغلاقه (حتى ولو كانت بعض النصوص غير مغلقة بمعنى ما). وهو يكوّن نسقاً يجب ألا يتطابق مع النسق الكلامي، لكن يجب أن يوضع في علاقة معه: إنّها علاقة تجاور وتشابه في الوقت نفسه. وإنّ النصّ بمصطلحات يلمسليف، يعد نسقاً ذا دلالة إجرائية، ذلك لأنّه يعد ثانياً بالنسبة إلى نسق آخر للمعنى.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 35.

<sup>2</sup> - Halliday M.A.K and Roquaya Hassan, Cohesion English, Langman, London : 1976, p

1/2.

فإذا ميزنا في الجملة مكوناتها الصرفية، والنحوية، والدلالية، فإننا سنميز مقدار ذلك في النص من غير أن تقوم هذه المقومات مع ذلك على المستوى نفسه.<sup>(1)</sup>

إذا فمفهوم النص من منظور "تودوروف" يختلف من حيث مقوماته ومكوناته وأساسه عن مفهوم الجملة التي تكون وفق أسس صرفية ودلالية ونحوية، وهذا المفهوم الذي حدده "تودوروف" لا يختلف كثيرا عن المفهوم الذي وضحه (جان ماري سشاييفر "J.M.Schweifer") بقوله: "إن مفهوم النص لا يستوي مع مفهوم الجملة على مخطط واحد (أو مع مفهوم القول، أو التركيب، إلى آخره). فالبنى النصية وإن كانت قد أنجزتها كينونات لسانية، إلا أنها تكون كينونات تواصلية: ليس النص بنية مقطعية ملازمة، ولكنه وحدة وظيفية تنتمي إلى نظام تواصلية."<sup>(2)</sup>

فالنص من منظور برجماتي لم يعد يظهر على أنه تتابع جملي مترابط نحويا، بل على أنه فعل لغوي معقد، يحاول المتكلم أو الكاتب به أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ.<sup>(3)</sup>

أما "روبرت دي بوجراند" (R.De Beaugrande) فحاول أن يحصي كل الجوانب التي تؤثر في النص وتساعد على بنائه من خلال قوله: "ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه Situation of occurrence تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات Stratégies والتوقعات Expectation والمعارف Knowledge ، وهذه البيئة الشائعة تسمى سياق الموقف Contexte. أما التركيب الداخلي للنص فهو سياق البيئة Co-texte. ولا يمكن للمرء من جهة أخرى أن يخطط جملا لا يمكن أبدا أن ترد دون تكلف،

<sup>1</sup> منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص (نصوص مترجمة)، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب: 2004م، ص 110/109.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 120.

<sup>3</sup> ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط2، القاهرة: 1431هـ/2010م، ص 32.

إما لكونها أطول أو أعقد أو أكثر توابعاً أو أكثر ابتداءً مما يتم قبوله؛ أو كونها فارغة من المعنى أو غير ذات أثر عملي في الأداء. فالقواعد التجريدية لتكوين الجمل لا يمكن التقنين لطولها أو عدد مكملاتها بحيث يتوقف بعده تتابع العناصر لتصبح الجملة جملة.<sup>(1)</sup>

ويضيف "دي بوجراند" في سياق تعريفه للنص: " لا يمكن النظر إلى النصّ بزعم أنه صورة مكونة من الوحدات الصرفية Morphèmes أو الرموز. إنّ النصّ تجلّ لعمل إنساني ينوي به شخص أن ينتج نصّاً ويوجه السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة. وهكذا يبدو هذا التوجه مسبباً لأعمال إجرائية. والنصوص تراقب المواقف وتوجهها وتغيرها كذلك. وليست الجملة عملاً؛ ولذلك كانت ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية، لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية فحسب.<sup>(2)</sup>

من خلال تعريف "دي بوجراند" للنصّ حاول أن يفرّق بينه وبين الجملة، فالجملة - من منظوره - لا يمكن أن تعادل النص من حيث ما يحتويه، لأن الجملة تعرّف الناس كيفية توظيف القواعد النحوية فقط، أما النصّ فيراقب المواقف ويوجهها ويغيرها في بعض الأحيان.

كما أظهر "دي بوجراند" أنّ ما تعارف عليه مجتمع من المجتمعات لا يمكن أن يظهر في الجملة كونها مجالاً لتطبيق القواعد النحوية، بل يظهر في النصّ كونه مجالاً واسعاً تتجسد فيه الوقائع الاجتماعية، يقول "دي بوجراند" في هذا السياق: "إنّ الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل؛ فالوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية، والوسم الاجتماعي لتراكيب بعينها لا يؤثر إلا في قسط ضئيل من مجموع القواعد، ولا يظهر إلا بتوسط عوامل غير جوهرية

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 91.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 92.

في المواقف المعينة.<sup>(1)</sup> أي: إنّ النصوص عبارة عن فضاءات تحتوي على مختلف المواقف الاجتماعية السائدة في مجتمع معيّن، كما يمكن أن تعبّر عن ثقافة ذلك المجتمع وتجسد ألوانه الفكرية في بنية لفظية واسعة المجال والحدود، وهذا على خلاف الجمل التي تعتبر أنساقا نحوية لا تمثل هذه المواقف الاجتماعية بقدر ما تمثل صور النظام اللغوي المختلفة.

كما يعرف "محمد خطابي" النصّ بأنه "تشكّل كلّ متتالية من الجمل نصّا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها، سابقة أو لاحقة. يسمي الباحثون تعلق عنصر بما يسبقه علاقة قبلية، وتعلقه بما يلحقه علاقة بعدية."<sup>(2)</sup> يظهر من هذا التعريف أن النصّ كيان مهيكّل، تحكمه مجموعة من العلاقات. ومعنى هذا أن كل عنصر في النصّ يحقق مع عنصر آخر - سواء كان سابقا أو لاحقا - اتساقا وانسجاما في علاقة خاصة قائمة بينهما. والنصّ لا يمثل مجرد توالٍ لمجموعة من العلامات، بل يمثل النظام الذي يحكم هذه العلامات.

كما يعرف "عبد السلام المسدي" النصّ على أنّه: "كيان عضوي يحدّده انسجام نوعي ناتج عن علاقة التناسب القائمة بين أجزائه، ذلك أن النصّ إنما هو موجود نعالجه معالجة الموجودات الأخرى. هو موجود تركيبى، أي جملة من العلاقات المكتفية بذاتها تكاد تكون مغلقة."<sup>(3)</sup>

أي إنّ النصّ لا يعتبر تتابعا عشوائيا لألفاظ وجمل وأفعال كلامية، بل هو بنية مركبة ذات وحدة كلية شاملة.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 93/92.

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 13.

<sup>3</sup> - محمد صبحي الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 70.

من خلال المفاهيم السابقة للنص تتضح عدة أمور هي كالاتي<sup>(1)</sup>:

**أولاً:** النص تتابع من العلامات اللغوية، لا بد أن يكون له بداية ونهاية محددة، تعرف من خلال إشارات لغوية أو غير لغوية، مثل علامات الترقيم. أو أن يكون له مطلع ومقطع محدد يعرف من خلاله هذه الإشارات.

**ثانياً:** النص يتسم بالتماسك والترابط، وهو مفهوم شامل يتحقق من خلال العلاقات النصية، كما يظهر في وحدة كلية تامة مكثفية بذاتها.

**ثالثاً:** النص قد يكون بسيطاً، وقد يكون مركباً من مجموعة من النصوص، وأنه قد تدخل في تكوينه أو تتخلله نصوص، ما حدّد بمعيار التناص؛ إذ يمثل النصّ عملية استبدال من نصوص أخرى لأهداف أو لغايات معينة ينشدها محلل النص.

**رابعاً:** النص عبارة عن بنية مركبة الجمل والعناصر، موحدة في المفهوم والمدلول، بنية سطحية تحكمها وتوجهها بنية عميقة.

**خامساً:** أن النص يتحقق من خلال تفاعل موقف تواصلية، يهدف قائله إلى تحقيق رغبة تواصلية يبتغي بها غاية محددة يتوصل إليها المتلقي أو المحلل.

### 2-2- النصية (Textualité):

لا يختلف النص عن الجملة في مجموع القواعد التي تضبط بناءه، وتحكم أجزاءه، فكما للجملة مجموعة من القواعد النحوية التركيبية تحكمها، للنص أيضاً مجموعة من القواعد والضوابط التي لا يخلو أي نص منها، وهي ما يمكن أن يصطلح عليه بنحو النص، ولكن بهذا التقابل أن نجعل معايير النصية توسعاً لقواعد الجملة - بحكم العلاقة القائمة بين الجملة والنص، وهي علاقة الجزء بالكل، وذلك بالنظر إلى أنّ الجملة قطعة أساسية يقوم عليها النص - لأنّ "الجملة المنعزلة مجرد وجود منطقي، ووجود النصّ يتميز

<sup>1</sup> - أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، ط1، القاهرة: 1435هـ/2014م، ص 20/21.

في الأساس بخاصيته الاتصالية<sup>(1)</sup>، لكن هذا التصور لا يجعلنا ننفي صفة النصية عن الجملة لأن "النص هو كل وحدة كلامية تخدم غرضاً اتصالياً، ويمكن أن تتدرج هذه الوحدة من مستوى الكلمة إلى مستوى العبارة إلى مستوى الجملة إلى مستوى النص"<sup>(2)</sup>. والمقصود من هذا الكلام ليس الجملة بمفهومها النحوي التركيبي، وإنما الجملة بمفهومها التواصلية التبليغي، وما يمكن استنتاجه أن صفة النصية لا ترتبط بالمستوى التركيبي فحسب وإنما ترتبط أيضاً بما يؤديه هذا التركيب من فوائد في مواقف اتصالية معينة. (أوردنا هذا التقابل بين الجملة والنص تقديماً لعرض العناصر التي تقوم عليها النصية، أما التفريق بين الجملة والنص فنخصص له مبحثاً منفرداً في هذا الفصل).

### 2-2-1- معاير النصية:

حصر "دي بوجراند" و"درسلر" معاير النصية في سبعة معاير<sup>(3)</sup> وهي: الاتساق والانسجام (وهما العنصران اللذان يقوم عليهما بحثنا)، والقصد والمقبولية والإخبارية والموقفية والتناص، سنحاول عرضها باختصار فيما يلي:

### 2-2-1-1- الاتساق Cohésion: أو السبك وهو "يترتب على إجراءات تبدو بها

العناصر السطحية Surface على صورة وقائع تؤدي السابق منها إلى اللاحق Progressive occurrence بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، بحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجملة، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية، والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط"<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 37.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 38.

<sup>3</sup>- ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان: 1997م، ص 146.

<sup>4</sup>- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.



والانساق لا يتمثل في عودة عنصر على عنصر آخر في كل الأحوال، بل هو ارتباط عنصر بعنصر آخر إما بروابط لفظية أو غير لفظية، أو هو "الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في بنية النص الظاهرة، أو بصورة مبسطة يقصد به التشكيل النحوي للجمل والعبارات وما يتعلق بها من حذف وإضافة ونحو ذلك." (1) إذا فالانساق يتحقق بوسائل مختلفة منها: الإحالة والاستبدال والحذف والتضام.

**2-2-1-2- انسجام Cohérence:** أو الالتحام وهو "يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعلومات السابقة بالعالم" (2)؛ حيث إن النص لا يمكن أن يفهم إلا إذا ارتبط بموقف خارجي وسياق معين يوضح الدلالة، ويظهر "الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار" (3)، والانسجام يقابل الانساق، فكل منهما يعمل على إظهار البناء اللغوي في شكله المتكامل والمتمثل في النص، إلا أن الانسجام ترابط مفهومي على مستوى أفكار النص، والانساق ترابط رصفي على مستوى سطح النص.

**2-2-1-3- القصدية (Intentionnalité):** وهو "يتضمن موقف منشئ النص من كونه صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها. وهناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من الناحية العملية حتى مع

<sup>1</sup>- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 49.

<sup>2</sup>- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

<sup>3</sup>- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 49.

عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والاتحام.<sup>(1)</sup> والقصد هو تلك الصورة الشاملة التي أنتج النص من أجل إيضاحها وتبليغها للمتلقي في نسق لغوي معين يتميز بالاتساق والانسجام، إلا أن هذين العنصرين لا يرتبطان ارتباطا مباشرا بالقصد، كون أن وجوده في بناء لغوي ما لا يقتضي أن يكون متسقا ومنسجما. ووجود القصد يعني "أن النص ليس بنية عشوائية، وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متاسقا ومتربطاً لكي يحقق هدفاً معيناً، بمعنى آخر هو عمل مخطط يستهدف به تحقيق غاية بعينها"<sup>(2)</sup>؛ أي إن النص أو العمل قبل أن يظهر في صورته المتكاملة، المترابط في أجزائه وعناصره، يجب أن يكون لمنشئه هدف وغاية يصبو لتحقيقها من خلال عباراته وجمله، ولكي لا يظهر التناقض والتضارب بين القولين السابقين نشير إلى أن القصد سابق للاتساق والانسجام ولا يمكن أن يفهم إلا إذا نسجت عبارات النص في شكل مترابط ومتلاحم.

### 2-2-1-4- المقبولية (Acceptabilité): ويقصد به ذلك المعيار الذي "يتضمن

موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والاتحام"<sup>(3)</sup>، حيث إن المتلقي يمكن أن يقبل النص ويستسيغ أفكاره ويتلقاها بالنظر إلى الخلفيات الفكرية المعرفية الراسخة في ذهنه، كما أنه يمكن أن يرفض أفكار النص إذا اختلف في توجهه الفكري مع المنتج، وفي هذه الحالة نقول أن النص لم يبلغ الغاية التي أنتج من أجلها.

### 2-2-1-5- الموقفية (Positivisme): ويقصد به تلك "العوامل التي تجعل النص

مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه. ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب

<sup>1</sup>- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 103.

<sup>2</sup>- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 50.

<sup>3</sup>- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 104.

الموقف وأن يغيره"<sup>(1)</sup>، فمن خلال الموقف الذي يرتبط ارتباطا مباشرا بالنص المنتج يمكن أن تفهم أفكاره فهما صحيحا، وهذا بالنظر إلى أن وضوح الدلالة يكون بوضوح الموقف الذي اتصل بالبناء اللغوي. والموقف "قد يكون مباشرا يمكن إدراكه من البيئة أو غير مباشر، ويمكن استنتاجه بواسطة التأمل. وهذا العنصر يفترض وجود اثنين يتعاملان مع النص، أحدهما مرسل والثاني مستقبل."<sup>(2)</sup> وهذا يعني أن الموقف له دور كبير في فهم واستيعاب أفكار النص، والموقف لا يكون واضحا في كل النصوص، بل في كثير منها يبذل المتلقي جهدا كبيرا لربطها بالمواقف التي تناسبها وتناسب مقاصد منتجها، ولا يكون ذلك إلا عن طريق التأمل والاستنتاج.

### 2-2-1-6- التناسل (Intertextualité): وهو ما تضمن "العلاقات بين نصّ ما

ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بواسطة أم بغير واسطة."<sup>(3)</sup> وهو اعتماد نصّ ما على نصوص أخرى سابقة له، دون إغفال وجوب اطلاع متلقي النصّ على هذه النصوص لكي يتمكن من فهم أفكاره، والتناسل "ترحال للنصوص وتداخل نصّي، ففي فضاء نصّ معين تتقاطع وتتتافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"<sup>(4)</sup>، فكأن الاعتماد على التناسل في بناء النصّ إعادة إحياء نصوص سابقة ووضعتها في قالب جديد، وإطار فكري موحد، كما أن التناسل "عملية استبدال من نصوص أخرى، ففي فضاء النصّ تتقاطع أقوال عديدة، مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه"<sup>(5)</sup>، ومعنى ذلك أن التناسل هو عبارة

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 104.

<sup>2</sup> - يوسف نور عوض، علم النصّ ونظرية الترجمة، ص 50.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 104.

<sup>4</sup> - جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، ط2، الدار البيضاء:

المغرب، 1997م، ص 21.

<sup>5</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النصّ، ص 212.

عن تتابع وتوال لمجموعة من النصوص السابقة، وهو أيضا تعالق نص حدث بكيفيات مختلفة، وتلك الكيفيات تنحصر في نمطين أساسيين:

أولهما: يقوم على العفوية وعدم القصد، إذ يتم التسرب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي، وثانيهما: يعتمد على الوعي والقصد، بمعنى أن الإشارة إلى الخطاب الغائب تكون واضحة وضوحا كاملا يصل إلى درجة التوصيف.<sup>(1)</sup> التناص إذا معيار أساسي في بناء النصوص وتركيبها، وآلية من آليات وضوح الأفكار وجلائها، فمن خلاله نزن مصداقية أفكار النصوص، وبه يبلغ المنتج ذروة مقاصده، وغيابه قد يؤدي بالمتلقي/القارئ إلى عدم قبول أفكار النص.

### 2-2-1-7- الإعلامية (الإخبارية) "Informatif": وهي "العامل المؤثر بالنسبة

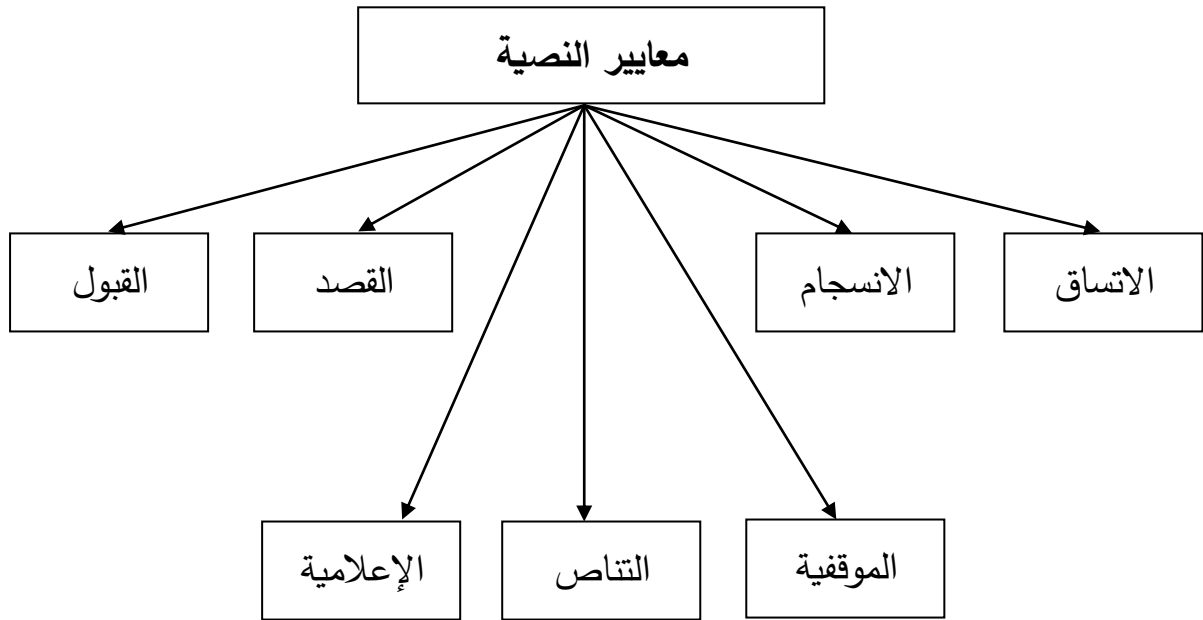
لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم النص في مقابلة البدائل الممكنة. فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبدل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع.<sup>(2)</sup> بمعنى أن معيار الإعلامية معيار أساسي في كل النصوص، حيث إن درجة الإخبار تختلف من نص إلى آخر بحسب نوعه وغايته، ولكن الأمر المؤكد أن كل نص يجب أن يشتمل على مقدار معين من المعلومات الإخبارية.<sup>(3)</sup> هذا بحسب طبيعة المتلقي/القارئ الذي يطلع على معلومات النص، حيث يحتاج المنتج إلى طريقة ونسق معين يعرض به معلوماته، وهذا النسق يوجب تسلسلا في الأفكار والأحداث، هذا ما يجعلنا ندرك أن كل المعايير السابقة تتضافر وتتكامل لتحقيق مفهوم نصية النص، حيث إن غياب معيار واحد منها يؤدي إلى انتقاص هذا المفهوم.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد عففي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة: 2001م، ص 82.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 105.

<sup>3</sup> - ينظر: يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 51/50.

نستنتج مما سبق أن معايير النصية السبعة التي حددها "دي بوجراند" و"درسلر" هي معايير تتحكم في إظهار الصورة المثالية للنص، وخلوه منها أو من أحد عناصرها يجعل المتلقي/القارئ يبحث عن وسائل معرفية للاستعانة بها في فهم المضمون (هذا بشكل عام)، لكن لو ركزنا على معياري الاتساق والانسجام لوجدنا أن غيابهما يعني غياب النص، وهذا ما سنحاول إظهاره بالتفصيل والتمثيل في الفصلين الثاني والثالث. ويمكن أن تجمع معايير النصية في المخطط التالي:



المخطط رقم: 02

### 2-3- أنواع النصوص:

تعتبر مسألة تحديد أصناف النصوص في علم النص مسألة خلاف بين علماء النص، حيث تباينت آراؤهم واختلفت من خلال تلك المحاولات المتعددة التي طرحت لوضع مختلف النصوص في إطاراتها المنهجية الخاصة، هذا التباين في الآراء بين علماء النص نتج من خلال طرح مجموعة من التساؤلات نذكر منها: هل يمكن الاعتماد على الجانب الشكلي (الجانب الخارجي) في تصنيف النصوص؟ أم الاعتماد على جانب المضمون (الجانب الداخلي) في هذا التصنيف؟ أم أن تصنيف النصوص يكون بالتوفيق بين الجانبين؟

من جهة أخرى نجد أن مجموعة من علماء النص أبوا الخوض في مسألة تصنيف النصوص وذهبوا "إلى ضرورة إرجاء البحث عن الشكل النصي، إذ نرى "شتمبل" (W.P. Stempel) يتبنى الرأي القائل بأن بحث الأشكال النصية يجب أن يؤجل من أجل وصف مواضع المكونات في الاتصال وتنظيم إمكانات تكوينها (أي وضعها في منظومة)؛ ومن ثم فقد عني أساسا بتقديم آراء عدة عن المكونات النصية المختلفة." (1) فرأي "شتمبل" يدعو إلى البحث في مكونات النص والمعايير التي نحتكم إليها للفصل بين مختلف النصوص قبل البحث في أنواع النصوص، كأنه يقول: ما هي الفائدة التي نجنيها من تصنيف النصوص ولم نضع القواعد التي تبنى عليها النصوص. أما "سوينسكي" فإنه يرى أنه "بينما حوّل ريزر B.Rieser وبتوفي J.Petofi - على سبيل المثال - نماذج نحوية نصية ذات درجة شيوع عالية إلى تتابعات شكلية توليدية، دون مراعاة علامات فارقة للأشكال النصية، فقد طور كומר W.Kummer نموذجا نصيًا من خلال ربط بين مكونات جمالية من ناحية منطقية، وتداولية." (2) من هذا يتبين لنا أن مسألة تصنيف

<sup>1</sup> - سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص 65.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

النصوص تراوحت بين مؤيد للبحث فيها، بنهج طريق يعتمد على أسس منهجية معينة، وبين منكر يرى أن مسألة البحث في تصنيف أنواع النصوص مسألة ثانوية، أما الأصل فهو "محاولة إيجاد نموذج نحوي نصي يمكن أن يقدم تصورات أساسية للوصف والتحليل، أو محاولة التوصل إلى نظرية نصية كلية قادرة على استيعاب الأشكال النصية المختلفة من خلال تقديم أسس للتصنيف والتمييز والتفسير".<sup>(1)</sup> لكن هذا التباين في الاتجاهات والأفكار لا يجعلنا ننفي فائدة تصنيف النصوص، فكما للنموذج النحوي النصي فوائد أساسية في الوصف والتحليل، كذلك تصنيف النصوص لها فوائد في التفريق بين مختلف النماذج النصية التي تتباين في أشكالها ومضامينها؛ حيث إنه كلما اختلف نوع النص وشكله، اختلفت الضوابط التي تتحكم في تكوينه شكلا ومضمونا، وهذا ما سنحاول توضيحه أثناء عرض أنواع النصوص.

إن تصنيف النصوص ليس أمرا سهلا هينا، بل أمر تشوبه صعوبات جمة، من بين هذه الصعوبات العدد الهائل للنصوص المتداولة في المجتمع والذي لا يكاد يخضع للحصر<sup>(2)</sup>، فتباين هذه النصوص يجعل الباحث في ميدان علم النص يخص كل بنية تركيبية اجتماعية بصنف خاص بها، في شكل "المحادثات اليومية والأحاديث العلاجية والمواد الصحفية والحكايات والقصص والقصائد ونصوص الدعاية والخطب وإرشادات الاستعمال والكتب المدرسية والنقوش ونصوص القانون والتعليمات وما أشبه"<sup>(3)</sup>. ومن الصعوبات التي تعيق عملية تصنيف النصوص - أيضا - هو "أن النص الواحد مهما كان النوع أو الصنف الذي ينتمي إليه، يندر جدا أن يكون متجانسا؛ إذ غالبا ما يشتمل على مقاطع مختلفة تتراوح بين السرد والوصف والشرح"<sup>(4)</sup>، فبعض النصوص نجدها تحتوي

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 66.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد صبحي الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 105.

<sup>3</sup> - تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص 11.

<sup>4</sup> - محمد صبحي الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 105.

على أكثر من موضوع واحد "كما هو الشأن في الروايات حيث يوجد في داخلها السرد والجدل والأمر"<sup>(1)</sup>، يسمي بعض علماء النص هذا النوع من النصوص بـ "النصوص المتداخلة" لإزالة اللبس عنها، لكن هذه الصعوبات التي ذكرنا بعضها منها، لا تمنع الاجتهاد في محاولة إيجاد طريقة لتصنيف النصوص وتبويبها، فمن بين هذه المحاولات نذكر:

### 2-3-1- التصنيف الوظيفي التواصلي:

يركز هذا التصنيف على الوظيفة اللغوية المهيمنة في النص، والمرجع الأساسي لهذا التصنيف هو "رومان جاكسون" الذي ميز بين مختلف النصوص بحسب الوظيفة الأكثر بروزا فيها.

- نصوص تهيمن فيها الوظيفة المرجعية (La fonction référentielle)، وهي التي تعرض فيها المعلومات في شكل أخبار، فهي نصوص إخبارية إعلامية بدرجة أولى.
- نصوص تحمل الطابع التأثيري، وهي التي يركز فيها على سبل إقناع المتلقي والتأثير فيه.
- نصوص ذات طابع تنبيهي (Phatique) ، وهي التي تهدف أساسا إلى الحفاظ على استمرارية التواصل ومراقبة مدى فاعليته ونجاعته.
- نصوص ذات طابع معجمي أو لغوي صرف (Métalinguistique)، وهي التي يأتي التركيز فيها على وسيلة الاتصال من حيث وضوحها، وحسن أدائها لوظيفتها.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup>- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 56.

<sup>2</sup>- ينظر: محمد صبحي الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 106/107.



إن تصنيف النصوص حسب الوظائف التي حددها "جاكسون" للغة لا يعتبر تصنيفاً فعالاً في ميدان علم النص، بالنظر إلى أن الوظائف اللغوية تخص الجانب التخاطبي من اللغة، ونجاعة هذا التصنيف تقتضي توفر عوامل التواصل التي حددها "جاكسون" من مرسل ومرسل إليه ورسالة... الخ، وتوفر هذه العوامل يؤدي بنا للحديث عن الخطاب وليس النص، والفرق بين النص والخطاب معلوم، إذ إن "بعضهم يفرق بين «نص» هو كائن فيزيائي منجز، و«خطاب» هو موطن التفاعل والوجه المتحرك فيه، ويتمثل في التعبير والتأويل"<sup>(1)</sup>، وهذا الفرق الظاهر بين النص والخطاب يجعلنا ندرك أن تصنيف النصوص لا يتم إلا وفق خصائص يتميز بها النص وليس الخطاب.

### 2-3-2- التصنيف السياقي أو المؤسسي:

وهو تصنيف يعتمد فيه على الجانب الاجتماعي الذي يلاحظ في مختلف النصوص، حيث "تمخض عن هذا التصنيف ما هو متداول حالياً من تمييز بين النصوص الإعلامية والدينية والإشهارية، والإدارية وغيرها. وكما هو واضح فكل نوع من الأنواع بالإمكان رده إلى المؤسسة الاجتماعية التي يصدر عنها"<sup>(2)</sup>؛ حيث إن هذا التصنيف يفرق بين مختلف النصوص المتداولة في المجتمع الواحد حسب المجالات المعرفية التي تنتمي إليها (المجال الإعلامي، المجال الديني... الخ)، لكن هذا المقترح التصنيفي قد يوقع الباحث في ميدان علم النص في اللبس، حيث يمكن أن تتداخل عدة مجالات في نص واحد، فربما يجد الطابع السائد في بدايته طابعاً إعلامياً، وفي إحدى فقراته يسود الطابع الديني.

<sup>1</sup> - الأزهر الزناد، نسيج النص (بحث في ما يكون به المفوض نصاً)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت: 1993م، ص 15.

<sup>2</sup> - محمد صبحي الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 108.

### 2-3-3- التصنيف حسب العملية الذهنية الموظفة في النص:

يعتمد هذا التصنيف في تمييزه بين مختلف النصوص على العمليات العقلية الذهنية التي توظف في النص أكثر من غيرها، كالاستدلال أو الشرح أو العرض أو السرد أو غيرها، وهو تصنيف يتسم بالدقة والوضوح<sup>(1)</sup>، بالنظر إلى الآليات المنطقية المعتمدة في التفريق بين مختلف النصوص، فكلما كانت المعايير المعتمدة في التصنيف واضحة يمكن معاينتها وملاحظتها وتحديدها، كلما كان التصنيف دقيقا واضحا، سهل التجريب والتطبيق على مختلف النصوص. وهذا التصنيف يضم مجموعة من الأنواع يمكن تحديدها فيما يلي:

### 2-3-3-1- النص الوصفي (Le texte descriptif):

هذا النوع من النصوص يتميز بأن معظم مراكز ضبطه هي عبارة عن تصورات للشيء والموقف، حيث يتم إثراء بيئتها بكثرة الاتجاهات إلى كشف الوصلات مع تكرار وجود أنواع من الوصلات مثل: الحال، والصفة، والمثال، والتخصيص.<sup>(2)</sup> حيث يعكس الوصف واقعا فيه إدراك كلي وأني للعناصر المكونة لهذا الواقع، وكيفية انتظامها في الفضاء أو المكان الذي توجد فيه، حيث ينقل الواقع بجزئياته وتفاصيله.

ويعتمد في بناء هذا النوع من النصوص الانطلاق في الوصف من أقرب نقطة وصولا إلى الأبعد منها، مع مراعاة عدم الانتقال المفاجئ من نقطة إلى أخرى لا رابط طبيعي بينهما، ويعتمد في النص الوصفي - أيضا - على إجراء اختبارات معينة بخصوص ذكر بعض التفاصيل أو تجاوزها، كما يمكن أن يكون المنتج حاضرا من خلال التقييم أو إبداء الرأي<sup>(3)</sup> الذي لا يكون إلا بعد وصف الواقع وصفا علميا دقيقا، ومن

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص 108.

<sup>2</sup> - ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 415.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد صبحي الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 110.

مميزات النص الوصفي - أيضا - أنه لا ينم عن منهج وصفي علمي يستبعد فيه سرد الأحداث وترتيبها، بل تشخيص الظواهر ووصفها ثم التمثيل لها.

### 2-3-3-2- النص الجدلي أو الحجاجي (Le texte argumentatif):

هو نصّ تكون فيه البنية أو القصد عبارة عن "تغيير اعتقاد يفترض وجوده لدى المتلقي، باعتقاد آخر يعتقد المرسل أنه الأصح، كما أن النصّ الحجاجي ينطلق من مبدأ أن للقارئ/ السامع رأيا حول القضية المطروحة، ويهدف في النهاية إلى الإقناع." (1) أي إن النصّ الجدلي/ الحجاجي يجب أن يحتوي على وسائل إقناع تجعل المتلقي/ القارئ يتخلى عن فكرة راسخة في ذهنه، ويستبدلها بالفكرة التي طرحها منتج النصّ، وحسب "دي بوجراند" فإن الجدلية هي "قضايا كاملة تنسب إليها قيم صدق وأسباب لاعتقاد كونها حقائق، ويغلب أن يكون هناك تعارض بين القضايا التي تتصادم فيها القيمة كونها موصوفة بالصدق، وسوف تتكرر هنا أنواع الوصلات مثل: القيمة، والإفادة، والإدراك، والإرادة، والسبب، وسوف يشتمل النصّ السطحي على حشد من عبارات تحديد القيمة." (2) فمن هنا ندرك أن المتلقي/القارئ لا يكون في منزلة خالي الذهن من موضوع النصّ، بل يكون متشعبا بأفكار وقناعات توجب على المنتج تغييرها بالأفكار المطروحة في النصّ، وهذا التغيير - كما ذكرنا سابقا - يقتضي الاعتماد على آليات حجاجية إقناعية يتقبلها المتلقي/ القارئ ويؤسس بالاعتماد عليها تنظيمًا فكريًا جديدًا.

<sup>1</sup> - Bernard Combettes, Quelques jalons pour une pratique textuelle de l'écrit, CRDP Cefisem, Clermont - Ferrand : 1989, p 181.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند، النصّ والخطاب والإجراء، ص 416/415.

### 2-3-3-3- النّص السردى (Le texte narratif):

يحيل النص السردى على واقع يتضمن مجموعة من الأحداث تجري في زمن معين، حيث " يبيّن فيه الذي يحكى كيف تتحول فيه الأحداث، وكيف تتغير وتتطور عبر الزمن، كما أن النص السردى يشتمل على ثلاثة مراحل: الحالة الأولى، التحولات الممكنة، والحالة النهائية، كما يضم تدرجا خاصا محددًا تفرضه مجريات الأحداث وتواليها".<sup>(1)</sup> والنص السردى لا يقتضى توالي مجموعة من الأحداث فحسب، بل يجب على منتج أن يربط هذه الأحداث بزمن ومكان معينين لكي يطلع المتلقي/القارئ على كل ما يتعلق بهذه الأحداث وكيفية حدوثها، والنص السردى يتضمن تكرر ورود أنواع من الوصلة مثل: العلة، والسبب، والتمكين، والغرض، والمقاربة الزمنية، وسيعكس النص السطحي كثافة مماثلة للتكافلات التفرعية.<sup>(2)</sup>

إذا النص السردى هو ذلك الإطار المعرفى الذى يضم مجموعة من الأحداث المرتبة والمتتالية، التى تخضع لعاملى الزمان والمكان، ولشروط البناء السطحي التى تختلف فى تركيبها عن الشروط المتوفر فى أنواع النصوص الأخرى.

### 2-3-3-4- النّص الإعلامى (Le texte informatif):

يصبو هذا النوع من النصوص إلى "تقديم معلومات ومعارف ومفاهيم حول موضوع محدد يفترض أن المتلقي جاهل لها، أو له معلومات ناقصة حولها"<sup>(3)</sup>، حيث يلتزم منتج النص بتضمين نصه معلومات شاملة حول الموضوع المعالج فى النص، ليبلغ المتلقي/القارئ أكبر قدر ممكن من المعلومات الجديدة التى تتسم بصفة الترابط والتدرج

<sup>1</sup> - Coirier (P) et autres, *Psylinguistique textuelle (Approche cognitive de la compréhension et de la production des textes)*, Armand Colin – Masson, Paris : 1996, p 43.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 416/415.

<sup>3</sup> - Bernard Combettes, *Quelques jalons pour une pratique textuelle de l'écrit*, p 181.

في عرضها، أي الانتقال في عرضها من البسيط إلى المركب، ومن الأصل إلى الفرع، وهذا لكي لا يقع المتلقي/القارئ في مشكلة التشتت الفكري.

وعلى المنتج - أيضا - أن يضمن نصّه "مهارة ذهنية أخرى هي الشرح، وما يتطلب من تقديم للحجج والأدلة والأمثلة التوضيحية."<sup>(1)</sup> حيث إن بعض المفاهيم والأفكار الواردة في النص تحتاج إلى شرح وتفسير وتمثيل من طرف المنتج الذي يسعى إلى تحقيق الهدف الذي أنتج من أجله النص، وهو: تحقيق الفائدة الإعلامية.

إن هذه الأنواع النصية التي ذكرناها تعتبر نماذج تصنيفات مقترحة فقط، حيث يمكن أن تصنف النصوص إلى أنواع أخرى مغايرة لها، وذلك حسب المعايير التي ينطلق منها المصنف، لكن يظل كل تصنيف اجتهاد يمكن أن ينفيه اجتهاد آخر.

### 3- مقارنة الجملة بالنص:

حاولنا فيما سبق أن نحيط بمفهوم الجملة والنص؛ حيث بحثنا في تطور مفهوميها كل منهما بشكل منفرد، وبحثنا في بنائهما وأنواع كل منهما، فتوصلنا إلى أن بين الجملة والنص تداخلا وتكاملا؛ حيث إن الجملة سواء كانت بسيطة أو مركبة، كبرى أو صغرى يمكن أن تتصل بجملة أخرى في سياق معين وموضوع جامع فتكوّن باتصالها نصا، وهذا النص المشكّل يقتضي توفر تلك المعايير التي سبق وأن أشرنا إليها، وهذا التداخل الحاصل بين الجملة والنص هو الذي جعل بعض الدارسين يعرفون النص على أنه عبارة عن متتالية من الجمل المتصل بعضها ببعض، وقد سبقت الإشارة إلى هذا في الحيز الذي خصصناه لرصد مفاهيم النص، وسنحاول في هذا الجزء من البحث أن نعقد مقارنة عامة بين الجملة والنص، وذلك برصد أهم الفروقات الموجودة بينهما، وهي كالاتي:

<sup>1</sup>- Coirier (P) et autres, *Psylinguistique textuelle*, p 43.

- إن اللسانيات تميل إلى الخلط بين التخطيط الاختياري والتخطيط الإجباري، فالجملة لا تمثل إلا تركيباً يمكن في إطاره تخطيط الوحدات الدلالية والتداولية. فكثير من الصفات المنسوبة إلى الجملة تنتمي في الواقع إلى هذه الوحدات (الدلالية والتداولية)، لهذا يصعب النظر في مسألة الكيفية التي يعزم بها الإنسان على تخطيط شيء ما لغاية بعينها، لذلك يجب أن يكون الكيان اللغوي المتعدد المستويات هو النص المشتمل على أجزاء يمكن لها أن تتركب في صورة جمل.<sup>(1)</sup> ومن ذلك فالمنتج في اللغة لا يجب أن يتقيد بالجملة التي لا يمكن أن تظهر فيها كل مستويات اللغة، كما أن الجملة الخاضعة لنظام قواعدي خاص، الحاملة لمعنى معين لا تكون ذات دلالة جامعة إلا إذا ارتبطت بجملة أخرى تشترك معها في السياق والموقف، وتشترك معها في الموضوع الشامل الذي أنتجت من أجل خدمته.
- يعتبر النص نظاماً فعالاً، في حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضي<sup>(2)</sup> مشترك تحدده مجموعة من القواعد، إذا فالنص يضم مجموعة من القواعد المتغيرة غير الثابتة المتحكم فيها عوامل متعلقة بالنص ذاته، وعوامل أخرى متعلقة بمنتجه، أما العوامل المتعلقة بالنص فهي كل ما يخص بناءه ومضمونه، منها كيفية ارتباط الجمل بعضها ببعض ارتباطاً لفظياً أو بيانياً لخدمة موضوع النص، وأما العوامل المتعلقة بالمنتج ففي القصد الذي أنتج من أجله النص والأسلوب الذي اعتمد عليه في إظهار أفكاره ومشاعره وانفعالاته، غير أن الجملة لا تمثل إلا إسقاطاً لقاعدة من قواعد النظام الافتراضي المشترك بين أفراد المجتمع اللغوي. لكن هذا لا يعني أن النص لا تظهر فيه هذه القواعد، بل المقصود أن إنتاج الجمل لا يكون إلا لإظهارها وتبيان كيفية تطبيقها، وما يمكن أن يظهر عليها من

<sup>1</sup> - ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 89.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص ن.

عدول في مستوى الاستعمالات المختلفة، أما وجودها في النص فأمر متفق على ثبوته، لأن من مميزات النص التبليغ والتواصل بين منتج ومتلقيه، ولا يحدث ذلك إلا إذا اشتركا في معرفة هذه القواعد؛ فأغلب مستعملي اللغة يعرفون القواعد التي تميز مستويات نظام اللغة، ويفترضون حيث يتحدثون أن المستعمل الآخر للغة يعرف القواعد ذاتها (تقريبا)، ويستطيع أن يفعل وفقا لها، كأن يجيب من خلال ذلك على سؤال مثلا.<sup>(1)</sup> وهذا باعتبار أن النصوص تمثل حالة من حالات التواصل الاجتماعية.

• إن الجملة عبارة عن "كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب. أما النص فحقه أن يعرف تبعا للمعايير الكاملة للنصية."<sup>(2)</sup> وهذا يعني أن الجملة التي اهتم بها علماء اللغة منذ القديم هي تمثيل لقاعدة نحوية معينة تتحقق من خلالها مختلف العلاقات الإسنادية، وظهور الجمل - كما أشرنا إلى ذلك سابقا - لا يكون إلا تطبيقا لحكم نحوي معين، سواء تعلق الأمر بإظهار الأصل في ترتيب عناصرها، أو إظهار حالة من حالات التقديم والتأخير بين عناصرها، أو إظهار الخلاف بين النحاة في حكم من أحكامها، إذا فهي لا يمكن أن تخرج من حلقة النحو وأحكامه. أما النص فيتحكم في نصيته مجموعة من العناصر التي حددها وحصرها علماء النص في سبعة معايير وهي: الاتساق والانسجام والقصد والقبول والموقفية والتناص والإعلامية، وغياب عنصر من هذه العناصر يخرج النص من نصيته، فالنص باجتماع هذه العناصر وتآزرها يظهر ككتلة واحدة، أو كبناء واحد لا يمكن للمتأمل أن يتصور كماله بغياب لبنة من لبناته المكوّنة له.

<sup>1</sup> - تون فان دايك، علم النص، ص 40.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 90.

• يمكن التغلب على قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النص بواسطة ما يفرضه سياق الموقف من تحفيزات؛ فالعناصر التي يمكن فهمها من الموقف من خلال الإدراك الحسي يمكن تجاوزها دون وقوع ضرر على الطاقة الاتصالية للنص، وهكذا لا ينبغي للصواب النحوي أن يعد قانوناً، بل أن يعد تعويضاً، أي معياراً يلجأ إليه عند غياب القرائن فقط.<sup>(1)</sup> يفهم من هذا أن القواعد التي تتحكم في بناء الجمل المكونة للنص يمكن أن تذوب في نصية النص، وذلك لارتباط النص بسياق يجمع بين جملة ويفرض على المنتج أن يكون تلك الجمل بالنظر إلى الظروف المحيطة بالنص، وبالنظر إلى ما يوجد في الموقف من مدركات حسية يمكن أن يشار إليها دون ذكرها. ولا يحتكم إلى القواعد إلا إذا غابت القرائن الدالة الموضحة للمعاني.

• يمكن النظر إلى الجملة على أنها وحدة بناء النص، وهذه الوحدة يمكن أن تتكون من كلمة واحدة مثل: حريق! والنجدة، كما يمكن للنص أن يتكون من جملة واحدة مثل: ممنوع الدخول إلى موقع البناء؛ فمعناها يتحدد في إطار شروط موقفية معينة، إلا أن مثل هذه الوحدات لا يمكن أن تقوم بوظيفة النصوص بالمعنى التواصلية، فمفهوم النص في نحوه يظهر في تلك النصوص التي تظهر فيها درجة أعلى من التعقيد، سواء من الناحية النحوية أو الناحية الموضوعية، وبذلك تتشكل النصوص التي تتحقق بوصفها تتابعات من الجمل.<sup>(2)</sup> حيث يمكن القول إن الجملة لا تتحدد وفق طول معين أو عدد من الألفاظ المرتبطة، بل تتحدد وفق المعنى الذي تحمله، فيمكن للكلمة الواحدة أن تكون جملة باعتبار ما أدته من معنى، والأمر نفسه بالنسبة للنصوص؛ حيث يمكن للجملة الواحدة أن تظهر ما

<sup>1</sup> - ينظر المرجع السابق، ص ن.

<sup>2</sup> - ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص 35.



يمكن أن يحمل النص من معان ودلالات إذا وضعت في موقف مناسب لما أنتجت من أجل تبليغه. إلا أن مفهوم النص وشروط النصية التي حددها علماء النص لا يمكن أن تظهر في المثال السابق (ممنوع الدخول إلى موقع البناء)، وكما أشرنا سابقا أن غياب شرط من شروط النصية يفقد النص مصداقيته ولو استعان المنتج بأرقى العبارات في نسجه وبنائه، فماذا يقال في نص تكوّن من جملة واحدة؟ هل يمكن أن نلمس فيها شرطا واحدا من شروط النصية؟ والجواب عن هذه التساؤلات تحدده طبيعة هذه الجملة التي ارتبطت بسياق ما فجعلت المنتج يكتفي بها لتبليغ قضية ما، وهذه الجملة أيضا جعلت المتلقي يستعين بالسياق لإعادة صياغة المعاني والدلالات المتصلة بهذه الجملة، وهذا ما يجعلنا ندرك أن هذه الجملة في حقيقتها اختصار في الأصل لمجموعة من الجمل المتتالية التي غابت في شكلها التركيبي الموضوعي، وحضرت في شكل معان يوضحها السياق.

• إن التمييز بين ما يطابق القواعد وما لا يطابقها تمييز تقابلي ثنائي، فالحكم على تركيب ما بأنه «جملة» حكم يرتبط بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية. أما التمييز بين ما يعد نصا وما لا يعد نصا فلا يتم بهذه المقارنة الآلية، فكون النص مقبولا أو غير مقبول يتم بحسب درجة معقدة لا بحسب التقابل الثنائي.<sup>(1)</sup> وذلك أنه "يمكن التفريق بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة بواسطة القوانين التي يحددها النحو، ولكن التفريق بين ما هو نص وما هو غير نص لا يخضع لمثل هذه الصرامة الميكانيكية"<sup>(2)</sup>، معنى هذا أن الجملة تركيب يخضع للقاعدة النحوية أكثر من خضوعه لأمر آخر، وخير دليل على ذلك

<sup>1</sup> - ينظر: روبرت دي بوجرند، النص والخطاب والإجراء، ص 90.

<sup>2</sup> - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 46

أنا إذا أردنا أن نصدر حكماً على تركيب معين نحتكم إلى القاعدة النحوية الذهنية التي يفترض أن التركيب نسج وفقها، وربما نقارنها بتركييب أخرى (جمل) اشتركت معها في القاعدة، وبهذا التقابل الذهني الثنائي يمكننا أن نصنف التراكيب إلى جمل صحيحة وجمل غير صحيحة نحويًا، أما النصوص فلا يمكننا أن نخضعها لهذا المعيار القواعدي كونها معقدة في تركيبها، فلو أخضعنا النصوص إلى معيار القاعدة النحوية التركيبية لأهملنا الجانب الدلالي منها، ولحكمتنا على بناءات لغوية بأنها نصوص إلا أنها في الأصل لا تتوفر فيها الشروط النصية التي حددها علماء النص.

• من خصائص النص اتصاله "بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف. أما التركيب الداخلي للنص سياق البنية. ويمكن للمرء من جهة أخرى أن يخطط جملاً لا يمكن أبداً أن ترد دون تكلف، إما لكونها أطول أو أعقد أو أكثر توابعا أو أكثر ابتداءً مما يتم قبوله، أو لكونها فارغة من المعنى أو غير ذات أثر عملي في الأداء." (1) إذا فالنص يجب أن "يتوافق مع الموقف، ذلك أن الموقف هو الذي يحدد نوع الاستراتيجيات الفعالة، كما هو الذي يساعد على إنشاء التوقعات والمعرفة المطلوبة، والتي يطلق عليها مفهوم السياق الذي لا بد أن يكون موجوداً من أجل أن يخدم النص غرضه الاتصالي، ويطلق على النص دائماً مصطلح النص المصاحب، وذلك لكونه يتبع السياق دائماً." (2) ويفهم مما سبق أن الغرض التواصلية الذي أنتج النص من أجل تحقيقه لا يتحقق إلا إذا ارتبط بموقف معين تُفسر عبارات النص انطلاقاً منه، ويمكننا في هذا المقام أن نشبه النص والموقف

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 91.

<sup>2</sup> - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 46.

بالورقة وقفاها، حيث لا يمكن الفصل بينها بأي حال من الأحوال، وإذا حدث الفصل غابت عن النص قيمته التواصلية التي أنتج من أجل تأديتها، في حين نجد أن الجمل لا يشترط في ظهور معانيه وبيانها ارتباطها بموقف محدد.

• إن النص عبارة عن "توالٍ من الحالات. فالحالة المعلوماتية والحالة الانفعالية والحالة الاجتماعية... الخ، لمستعملي النص عرضة للتغير بواسطة النص. ويأتي إنتاج النص وفهمه في صورة توالٍ من الوقائع. وفي كل نقطة من نقاط هذا التوالي تطبق الضوابط السائدة التي تدعو ضرورة ما إلى كونها من قبيل المبادئ التجريدية للصياغة. فضوابط بدايات النصوص على سبيل المثال تختلف عن ضوابط استمرارها ونهاياتها. وفي المقابل يجري النظر إلى الجمل بوصفها عناصر من نظام ثابت مترامن." (1) فالنص ينظر إليه على أنه تتابع من الحالات المختلفة (عاطفية واجتماعية واقتصادية ونحو ذلك)، وهو دون شك يخضع لمجموعة من الضوابط التي تجعل إمكانية التغيير داخله متاحة، وهذه الضوابط لا يمكن تشبيهها بقوانين النحو المجردة التي تنطبق على المكونات «السنكرونية» التي تمثلها الجمل المنعزلة. (2) من خلال هذه المقارنة بين الجملة والنص ندرك أن النص عبارة عن جملة من الحالات المختلفة التي تعبر عن أحداث متباينة حسب ما يفرضه المجال الذي يدرج فيه النص، وتباين هذه الحالات يكون خاضعا لمجموعة من الضوابط والقوانين التي تمنح للمنتج إمكانية التغيير في حدود معينة، عكس ما نجده في الجملة التي تصاغ وفق قوانين ثابتة لا يمكن للمنتج الخروج عنها أو مخالفتها.

• تعتبر "العوامل النفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل. فالجملة من حيث الصياغة الذهنية شكل استكشافي بجانب أمور أخرى تعين على الغايات الشاسعة للاتصال، كالتعبير وتذكر المعلومات أو السعي إلى غاية ما. أما حدود الجملة فيتم تعيينها فيما بعد أثناء إنتاج النص، ثم يستغنى عنها في المراحل الأولى

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 92.

<sup>2</sup> - ينظر: يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 47.

للفهم.<sup>(1)</sup> ومبرر هذا الفرق الظاهر بين الجملة والنص، أنّ الجملة في شكلها العاكس للقاعدة النحوية، المحدد في صورته المقيدة، لا يمكن أن يحمل مثلما يحمله النص من معان مختلفة ناتجة من تفاعلات نفسية مرتبطة بمنتج النص.

• يقتضي "علم النص صرف البحث عن إيجاد قوانين ثابتة لتكوين النصوص، إلى مجموعة الإجراءات الواجبة لإنشاء النصوص في بيئة اجتماعية تستند في الأساس على ظروف الموقف. ويعني ذلك أنه ليست هنالك قوانين صلبة لتكوين النصوص، وإنما هنالك عمليات تتناسب مع إستراتيجية التخطيط والسياق تساعد على إنشاء النصوص، ذلك أن مهمة النص هي أن يخلق بيئة اتصالية وليس أن يبرز الكيفية التي تستخدم بها القواعد اللغوية كما هو الشأن في اللغويات التي تستند على دراسة الجملة."<sup>(2)</sup> إذا فالمنهج المتبع في علم النص يختلف عن منهج دراسة الجملة؛ حيث إن نحو الجملة يعني البحث في القواعد التي تضبط بناءها وتركيبها، بينما نحو النص لا يرتبط بمجوع القواعد التي تتحكم في شكله التركيبي فحسب، بل يرتبط أيضا بالسياق وظروف الموقف الذي تفسر معاني النص من خلاله.

• إنّ النصوص باعتبارها فضاءات (D'espaces) تجتمع فيها مجموعة من الجمل، فهي تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل. ويعتمد متعلمو اللغة في استخداماتهم للجمل على معرفة القواعد من حيث هي نظام افتراضي عام. أما من أجل استعمال النصوص فإنّ الناس بحاجة إلى معرفة عملية بالأحداث الجارية بخصوصها.<sup>(3)</sup> فإذا نظرنا إلى الجملة وحاولنا التأمل في كيفية بنائها، وجدناها إسقاط لقاعدة نحوية افتراضية ذهنية، ويمكننا بواسطة تلك القاعدة إنتاج عدد لا متناه من الجمل، كما يمكن لمتلقي هذه الجمل أن يفهم معناها إذا أدرك القاعدة التي ركّبت انطلاقا منها. أما النصوص فيقتضي

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 93.

<sup>2</sup> - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 47.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 94/93.

إدراك مضامينها وفهم معانيها إحاطة المتلقي بكل الظروف التي أنتجت فيها، وأن يكون على دراية بالنصوص التي أشارت إليها، وهذا ما يسمى بالتناص، ومعناه إشارة نص ما إلى نص آخر سبق له في زمن إنتاجه، يشترك معه في فكرة من أفكاره، لذلك يجب على متلقي النص أن يكون مطلعاً على النص السابق المشار إليه، ومدركاً لكل أفكاره ومعاني جملة، إدراكاً يمكنه من المقارنة بينها وبين الأفكار المطروحة في النص الجديد.

حاولنا في هذا الجزء من البحث أن نركز على أهم الفوارق التي يمكن للباحث في مجال لسانيات النص أن يسجلها بين الجملة والنص، لكن هذا لا يعني عدم وجود فوارق أخرى بينهما، بل الذي منعنا من ذكرها كلها هو عدم سعة المجال لذلك أولاً، ورغبة منا في التركيز على جوانب أخرى تخدم البحث أكثر ثانياً؛ حيث سنحاول في الفصل الموالي الولوج في صلب موضوع البحث بالإحاطة بأحد معايير النصية، وهو المعيار الذي يتعلق بالجانب السطحي التركيبي للنص، والمعروف عند علماء النص بالاتساق.

# الفصل الثاني: الاتساق النصي

● مفهوم الاتساق

● أدوات الاتساق

### تمهيد:

انتشر مصطلح "الاتساق" انتشاراً واسعاً في حقل الدراسات اللسانية النصية، ودلت عليه مصطلحات كثيرة اختلف علماء لسانيات النص في أيها أنسب لمقابلة المصطلح الأجنبي (Cohésion)، وهذه المصطلحات هي: السبك، والتنضيد، والتناسق، والتضام، وغيرها من المصطلحات التي تباينت وتتنوع بسبب الترجمة، وغياب الضابط المفهومي والإجرائي الذي يحتكم إليه مستعمل المصطلح في حقل اللسانيات النصية، وهذا الأمر في حد ذاته يحتاج إلى دراسة منفصلة يبحث من خلالها عن الآليات العلمية التي تضبط المصطلحات العلمية في ميدان اللسانيات بشكل عام.

لقد اخترنا في هذا البحث مصطلح "الاتساق" دون غيره من المصطلحات الأخرى بسبب انتشاره وتداوله عند كبار علماء لسانيات النص، وبسبب التناسب الذي لاحظناه بين دلالاته ودلالة المصطلح الأجنبي، وذلك من خلال البحث في مفهومه المعجمي.

### 1- مفهوم الاتساق (Cohésion):

#### 1-1- الاتساق لغة:

إذا عدنا إلى المعاجم العربية للبحث عن المعنى الذي يمكن أن يلتمس من الجذر (وَسَقَ) فإننا نجد معناه يقارب مفهوم الاكتمال والتمام، حيث جاء في لسان العرب لـ "ابن منظور" (ت 811هـ): "اتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة، وقال الفراء: إلى ست عشرة فيهن امتلاؤه واتساقه؛ وقال أبو عبيدة: وما وَسَقَ أي وما جمع من الجبال والبحار والأشجار كأنه جمعها بأن طلع عليها كلها، فإذا جَلَّ الليل الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له فقد وَسَقَهَا..."

والوَسَقُ: ضمّ الشيء إلى الشيء. وفي حديث أُحد: اسْتَوَسَقُوا كما يَسْتَوَسِقُ جرب الغنم أي استجمعوا وانضموا... وَوَسَقْتُ الحنطة تَوَسِيقاً أي جعلتها وَسَقاً وَسَقاً. الوَسِيقَةُ القطيع من

الإبل يطردها الشّلال، وسمت وسيقةً لأن طاردها يجمعها ولا يدعها تنتشر عليه فيلحقها الطلب فيردّها، وهذا كما قيل للسائق قابض، لأن السائق إذا ساق قطيعاً من الإبل قبضها أي جمعها لئلا يتعدّر عليه سوقها، لأنها إذا انتشرت عليه لم تتتابع ولم تَطْرِدْ على صوب واحد.<sup>(1)</sup>

أما "الفيروزآبادي" (ت 817هـ) فقد أورد في معجمه (القاموس المحيط) جذر (وَسَقَ) فقال: "وَسَقَهُ يَسْقُهُ: جَمَعَهُ وَحَمَلَهُ، وَمِنْهُ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق:17]، وَطَرَدَهُ، وَمِنْهُ: الْوَسِيقَةُ، وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ كَالرُّفْقَةِ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا سَرَقَتْ طَرَدَتْ مَعَهَا، وَالنَّاقَةُ: حَمَلَتْ وَأَغْلَقَتْ عَلَى الْمَاءِ رَحِمَهَا فَهِيَ وَاسِقٌ... وَاسْتَوَسَقَتِ الْإِبِلُ: اجْتَمَعَتْ، وَالْمِيسَاقُ: الطَّائِرُ يَصْفِقُ بِجَنَاحِيهِ إِذَا طَارَ."<sup>(2)</sup>

ورود في معجم مختار الصحاح أن "الوسق ستون صاعاً، قال الخليل: الوسق حمل البعير والوقر حمل البغل والحمار. والاتساق الانتظام."<sup>(3)</sup>

وجاء في متن اللغة: "اتسق ويتسق ويأتسق الشيء: انضم وانتظم.. واتسقت الإبل: اجتمعت، واتساق القمر: امتلأ واستوى ليالي الإبدار، والمتسق من أسماء القمر."<sup>(4)</sup> ووزن اتسق: أفتعل، وهو مشتق من الوسوق، ويقال اتسق: استوى.<sup>(5)</sup>

ما يمكن أن يلاحظ من التعريفات اللغوية السابقة أنها تتفق في تعريفها للاتساق (جذر: وَسَقَ) على أنه يحمل معني الضم والانتظام والجمع والاكتمال والتمام، فالجمع

<sup>1</sup> - ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج10، ص 379.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 928.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، دط، بيروت، لبنان: 1986م، ص 300.

<sup>4</sup> - أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت: 1380هـ/1960م، مج5، ص 755.

<sup>5</sup> - جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد النجاوي، دار الفكر العربي، (دط)، مصر: 1973م، ص 570.



والاكتمال والتمام نجدها في قولهم: اتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه واكتماله، اتسق القمر: استوى ليالي الإبدار، والوسيقة: القطيع من الإبل، وسميت وسيقة لأن طاردها يجمعها ولا يدعها تنتشر. أما الضم والانتظام، فنجدها في قولهم: وسقت الحنطة توسيقا، أي جعلتها وسقا وسقا.

### 1-2- الاتساق اصطلاحا:

يركز علم اللغة النصي أو لسانيات النص على دراسة ما يعرف بالترابط الشكلي للنصوص، وقد اختلف الباحثون اللغويون في وضع المصطلح الخاص بالترابط، فمنهم من سماه السبك أو التماسك، ومنهم من سماه الربط. غير أن مصطلح الاتساق هو أكثر المصطلحات استعمالا وتداولاً؛ وذلك لدقته في الدلالة على التماسك الشكلي.

فوجد "هاليداي" و"رقية حسن" يعرفان الاتساق بأنه "مفهوم دلالي يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص".<sup>(1)</sup> فكل جملة في النص تحدث نوعا من الترابط مع الجملة التي تسبقها، والجملة التي تلحقها.

والاتساق هو ذلك الربط الحاصل بين عناصر النص في المستوى السطحي الخارجي، مما يحقق ترابط أجزاءه من خلال علاقات الترابط اللفظية، وهي تلك العلاقات النصية الرابطة أو الواصلة بين وحدات النصوص عبر الوسائل الخطية أو القرائن اللفظية.<sup>(2)</sup>

والاتساق من منظور "محمد خطابي" هو ذلك "التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته. ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النص يسلك

<sup>1</sup>– Halliday M.A.K and Roquaya Hassan, Cohesion English, p 4.

<sup>2</sup>– أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 164.

المحلل والواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك وهلم جرا. وكل ذلك من أجل البرهنة على أن النص/الخطاب (المعطى اللغوي بصفة عامة) يشكل كلا متأخذا. (1)

فنحن نحصل على نصّ ما عندما يمتلك هذا النصّ مجموعة الوسائل الاتساقية؛ فيكون له بذلك درجة من التنسيق والتنظيم الداخلي الموجه نحو غاية خاصة به، والأمر المؤكد أن هذه الوسائل الاتساقية تشمل على انتقالية الكلمات إلى جمل، والجمل إلى نصوص.

وبهذا فإنّ الاتساق هو ذلك "الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة." (2) حيث تتآزر التراكيب والعناصر لتشكل وحدة متألّفة متناسقة، متسقة، بما تلعبه مختلف الروابط من دور في تلاحم الجمل بعضها ببعض، لأنّ اجتماع العناصر الأصول، والعناصر النحوية والكلمات والجمل اجتماعا عاديا بالمفاهيم أو بمجموعات من المفاهيم التي يتعلق بعضها ببعض في أنظمة متماسكة هو نفسه حقيقة اللغة. (3)

كما يشير هذا المصطلح (الاتساق) إلى "الأدوات الكلامية التي تسوس العلاقات المتبادلة بين التراكيب ضمن الجملة، أو بين الجملة لاسيما الاستبدالات التركيبية التي تحافظ على هوية المرجع، ولكنها تحافظ أيضا على التوازي وعلى التكرار أو على الحشو." (4)

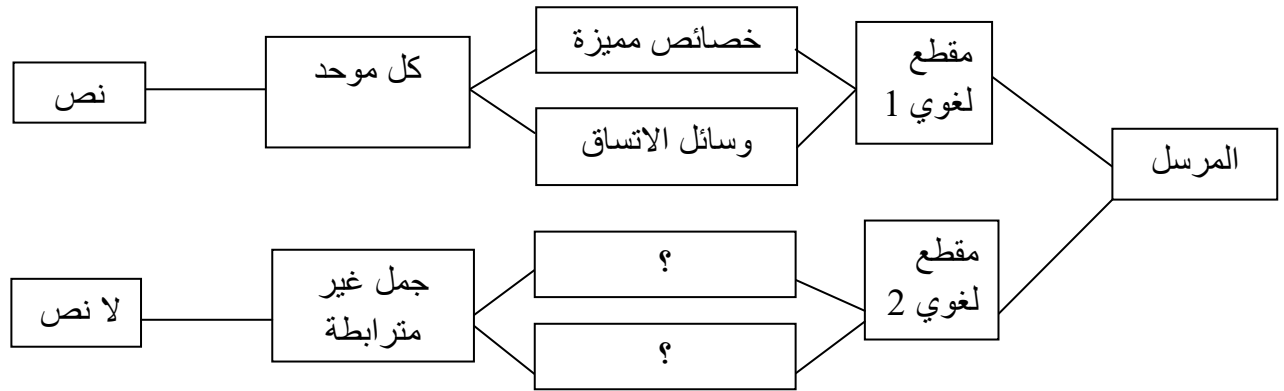
<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 5.

<sup>2</sup> - بشير إبرير، استراتيجية الانسجام في قراءة النص الأدبي (قصة سميرة عزام، دموع البيع نموذجاً)، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، ص 3.

<sup>3</sup> - إدوارد سايبير، اللغة (مقدمة في دراسة الكلام)، تر: المنصف عاشور، سلسلة مساءلات، الدار العربية للكتاب، (دط)، تونس: 1995م، ج1، ص 52.

<sup>4</sup> - منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص 132.

ولكي يشكل مقطع لغوي ما كلا موحدًا يجب أن تتوفر فيه "خصائص معينة تعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها." فالهدف هو الكشف عن هذه الخصائص، ثم الكشف عما يميز النص عن متتالية مكونة من جمل غير مترابطة. ولتوضيح ذلك يُقترح الرسم التخطيطي الآتي<sup>(1)</sup>:



### المخطط رقم: 03

يتضح من الرسم السابق أن النص عبارة عن متتالية من الجمل المكوّنة من طرف المرسل، وهذه الجمل المتتالية يربط بينها ما يعرف بوسائل الاتساق، وتتميز بمجموعة من الخصائص المميزة التي تجعلها مترابطة ومنسجمة ومتسقة، فإن غابت هذه الوسائل والخصائص يغيب الاتساق عن المقطع اللغوي الذي لا يمكن أن يسمى نصًا بأي حال من الأحوال.

علق "محمد خطابي" على الرسم السابق بقوله: "وإذا كان هناك من نقص في هذا الرسم فهو الجانب المتعلق بالمتلقي، مستمعًا كان أو قارئًا. وهو جانب لم يهتم به الباحثان (هاليداي ورقية حسن) رغم ما له من أهمية بالغة، غير أن ما يشفع لهما في ذلك هو وروده ضمناً بمجرد إشارتهما إلى السامع/القارئ. بيد أن الإشارة بحد ذاتها

<sup>1</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 12.

ليست لها قيمة ما لم يكن الباحثان واعيين بالدور الأساسي الذي يقوم به المتلقي في اعتبار معطى لغوي متسقا (نصا) أو غير متسق (ليس نصا).<sup>(1)</sup>

يضيف "محمد خطابي" إلى جملة الوسائل المتحكمة في اتساق بنية النص وتكاملها، ما يمكن أن يساهم في إظهار المقطع اللغوي على أنه كل متكامل، وهو المتلقي؛ حيث يعتبر المتلقي شريكا لمنتج النص، أو منتجا ثانيا لجمله، ولاكتمال هذا التقابل والتكامل يجب أن يكون المتلقي شريكا للمنتج في "مجموعة المعارف والمدارك"<sup>(2)</sup> التي تتوفر في موقف تواصلية معين.<sup>(3)</sup> إضافة إلى هذا يجب على المنتج أن ينتج النص لمتلقي كائن في ذهنه لكي يحقق النص المنتج فائدة التواصل، والتواصل لا يكون ناجحا إلا "إذا خلا الخطاب من كل ما يمكن أن يحول بين المخاطب وبين تأويله."<sup>(4)</sup> إذا فالتواصل الأمثل يقتضي اشتراكا بين المنتج والمتلقي في مجموع المعارف والمدارك، كما يقتضي حرصا من المنتج على أن يكون النص خاليا من معيقات الفهم والتأويل المتعلقة بالمتلقي.

وبالعودة إلى الاتساق وأهميته في الدراسات اللغوية النصية فهو يعد أيضا من "الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص"<sup>(5)</sup>؛ ويقصد بظاهر النص: مجموع الأحداث اللغوية يُنطق بها أو تُسمع في تعاقبها الزمني، وهذه الأحداث والمكونات

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 13.

<sup>2</sup> - تنقسم المعارف أو المدارك إلى معارف آنية: وهي المدركات الحسية المتواجدة في موقف التواصل، وإلى معارف عامة ويقصد بها: ما يشكل مخزون المتخاطبين المعرفي الذهني حين التخاطب، ويشمل هذا المخزون كل ما يعرفه المتكلم والمخاطب عن عالم الواقع، وعن عوالم ممكنة أخرى. (ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب: 1427هـ/2006م، ص 23).

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 28.

<sup>5</sup> - خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، ط1، عمان، الأردن: 2009م، ص 57.

ينظم بعضها بعضا تبعا للمباني التركيبية، غير أنها لا يمكن أن تكون نصا إلا إذا تحقق لها من وسائل الاتساق، ما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته.<sup>(1)</sup>

كما نجد أن "روبرت دي بوجراند" يرى أن غاية الاتساق هي أن يحقق الترابط الرصفي<sup>(2)</sup> للنصوص؛ لأن الاتساق يترتب على إجراءات تظهر من خلال عناصر النص السطحية، في شكل وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث تحقق الترابط الرصفي، ووسائل التضام تشمل على التراكيب والجمل في شكل هيئة نحوية متكاملة، بالإضافة إلى التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة والحذف.<sup>(3)</sup> فهذه الوسائل تجعل النصوص متماسكة، حيث يشمل الاتساق على مجموعة إجراءات تُحقق الترابط النصي وتزيد من تماسك عناصره.

<sup>1</sup> - ينظر: زاهر مرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير، ط1، عمان، الأردن، 2010م، ص 38.

<sup>2</sup> - الترابط الرصفي: هو كل نشاط، وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توالٍ زمني. (روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 136)

<sup>3</sup> - ينظر: عزة شبل محمد، علم النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، مصر: 2009م، ص 100.

### 2- أدوات الاتساق النصي:

يحدث الربط بين الجمل في النص عن طريق مجموعة من الوسائل والأدوات المختلفة التي تختلف حسب دلالاتها ووظائفها، وهذا الاختلاف يعود إلى تنوع العلاقات الداخلية التي تحكم النص، فهذه العلاقات "إذا توافرت في نص ما، تجعل أجزاءه متآخذاً مشكلة بذلك كلا موحداً"<sup>(1)</sup>، لذلك فمن الربط ما يتم بوسائل دلالية أو معنوية مثل التكرار والاستبدال والحذف وغيرها، ومنه ما يتم بواسطة الحروف مثل الواو والفاء وغيرها.<sup>(2)</sup> وسنعرض فيما يلي أهم الوسائل التي يقوم عليها الاتساق النصي:

### 2-1- الإحالة (Référence):

عرف "دي بوجراند" الإحالة بأنها "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات."<sup>(3)</sup> ويشير "جون لاينز" في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة بقوله: "إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل إلى المسميات."<sup>(4)</sup> الإحالة إذا علاقة معنوية بين ألفاظ أو أسماء معينة وما تشير إليه من مسميات أو أشياء (داخل النص أو خارجه) يدل عليها السياق أو المقام، عن طريق ألفاظ أو أدوات محددة. والإحالة هي عبارة عن علاقة ذات قطبين، القطب الأول هو المحيل، أما الثاني فهو المحال عليه، وتتحقق العلاقة بين هذين القطبين من خلال العناصر العائدة.

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 16.

<sup>2</sup> - ينظر: صبحي محمد الأخضر، مدخل إلى علم النص، ص 80.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 172.

<sup>4</sup> - ج. ب. براون، ج. بول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطيف الزليطي ومنير التريكي، دط، جامعة الملك سعود، الرياض: 1997م، ص 36.

وتظهر الإحالة في النصوص من خلال عناصر الربط، والتي تخص ربط السابق باللاحق، والتي يسمها الأزهر الزناد بالعناصر الإحالية، وهي من منظوره "قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر من عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب. فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر."<sup>(1)</sup>

أما التصور الذي قدمه "كلماير" (Kallmeyer, w) عن الإحالة فمضمونه أن "الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة)، وضمائر يطلق عليها (صيغ إحالة)، وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسر أو العائد عليه."<sup>(2)</sup>

ويذهب آخرون إلى أن العناصر الإحالية تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فبعض هذه العناصر يقوم بدورين (وظيفتين) في اللغة:

- تشير وتعين المشار إليه في المقام الإشاري، فهي غير ذات صلة بما يخرج عن مقام ورودها، ويكتفي سامعها بها في تحليلها.
- تعوض المشار إليه، فتحيل عليه وتربط به، وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد أو إدراك حس أو غيره.<sup>(3)</sup>

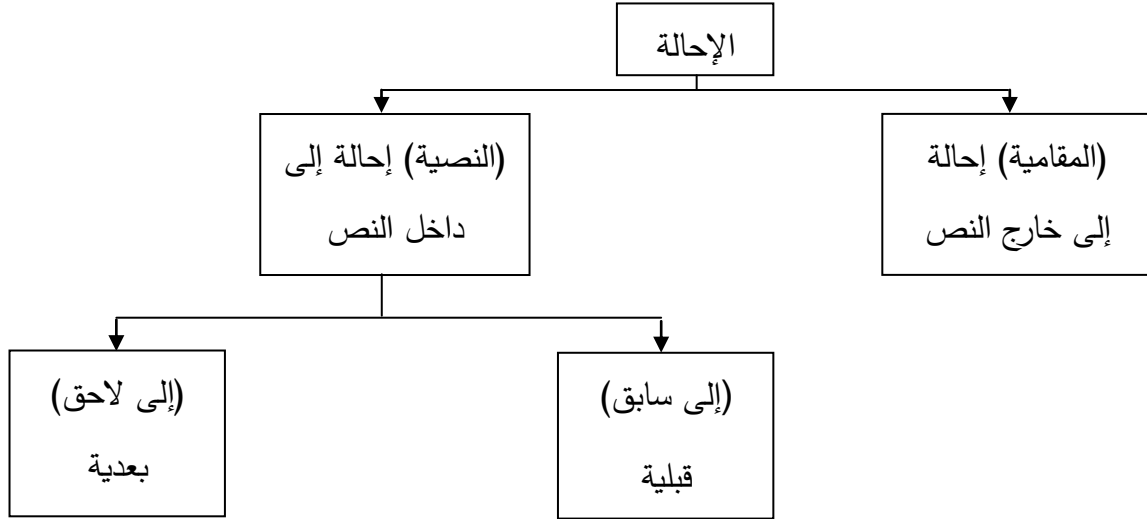
كما تعد الإحالة من أهم الوسائل التي تحقق للنصّ التحامه، وذلك بالوصل بين أوصل مقطع ما، أو الفصل بين مختلف مقاطع النصّ، والإحالة نوعان: "الإحالة المقامية

<sup>1</sup> - الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ص 118.

<sup>2</sup> - سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة: 1429 هـ . 2005م، ص 98.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

والإحالة النصية. وتتفرع الثانية إلى إحالة قبلية، وإحالة بعدية<sup>(1)</sup>، والرسم الآتي يوضح ذلك<sup>(2)</sup>:



### المخطط رقم: 04

يقول "محمد خطابي" معلقاً على الرسم السابق: "كقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، فإذا كانت نصية يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق، أي أن كل العناصر تملك إمكانية الإحالة. والاستعمال وحده هو الذي يحدد نوع إحالتها، ورغم الاختلاف الملحوظ بين نوعي الإحالة المقامية والنصية، فإن ما يعد أساسياً بالنسبة لكل حالة من الإحالة هو (وجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما). لكن هل معنى هذا أن نوع الإحالة (المقامية والنصية) متساويان بحيث تلغى جميع الفروق بينهما؟ يذهب هاليداي ورقية حسن، بهذا الخصوص، إلى أن الإحالة المقامية (تساهم في خلق النص، لكونها تربط

<sup>1</sup> محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 17.



اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر)، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص.<sup>(1)</sup>

الإحالة بنوعيتها - من منظور محمد خطابي - تساهم في ترابط النص واتساق عناصره، إلا أنه ركز على الإحالة النصية، كونها تربط عناصر المقطع اللغوي ربطاً مباشراً، أما الإحالة المقامية فهي أيضاً تساهم في اتساق النص لكن بدرجة أقل من الإحالة النصية.

أما "الأزهر الزناد" فقد خالف "محمد خطابي" في تصنيفه لأنواع الإحالة النصية، حيث صنفها إلى ثلاثة أنواع<sup>(2)</sup>: النوع الأول هو الإحالة داخل النص أو داخل اللغة: هي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، وهذا النوع بدوره ينقسم إلى قسمين:

أ) إحالة على السابق أو إحالة بالعودة: وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به.  
ب) إحالة على اللاحق: وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، من ذلك ضمير الشأن في العربية.

أما النوع الثاني فهو الإحالة على ما هو خارج اللغة: ويقصد بهذا النوع من الإحالة أنها إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم.

أما النوع الثالث فهو الإحالة النصية: ويقصد بها إحالة عنصر معجمي على المقطع الملفوظ أو النص.

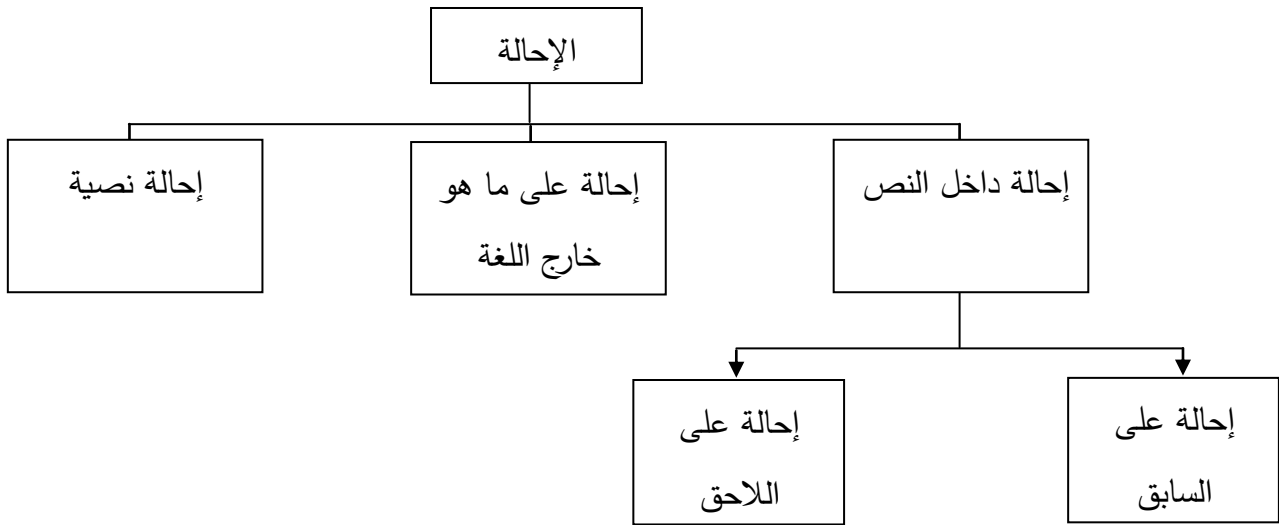
من خلال ما تقدم لا يمكن الفصل بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي؛ حيث إن "العنصر الإشاري قسيم العنصر الإحالي؛ إذ لا يمكن أن يكون للأخير قيمة دون الأول،

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 18/17.

<sup>2</sup> - ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، ص 119/118.

## الفصل الثاني: الاتساق النصي

الذي يبيّنه ويوضحه ويزيل الإبهام، ويجب أن يتقدم أو يتأخر واضحا حتى يمكن الإحالة إليه؛ لأنه إذا عادت صيغة الإحالة إلى أكثر من عنصر إشاري سوف يشيع الاضطراب، ويختل النص، ويستحيل الفهم، فلا قيمة لدرس عنصر دون الآخر في ظاهرة الإحالة.<sup>(1)</sup> كما يمكن أن تمثل أنواع الإحالة - من منظور الأزهر الزناد - في الرسم الآتي:



### المخطط رقم: 05

بعد عرض "الأزهر الزناد" لأنواع الإحالة الممكنة، جمعها في قسمين كبيرين وهما:

- **إحالة معجمية:** وهي التي تجمع بين كل الحالات التي تعود على مفسر دال على ذات أو مفهوم مفرد، وهي متوفرة في كل النصوص.
- **إحالة مقطعية أو نصية:** وهي التي تجمع بين كل الحالات التي تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (جملة، أو نص، أو مركب نحوي)، وهي تتوفر في نصوص دون الأخرى.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص 101/100.

<sup>2</sup> - ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ص 119.

من خلال هذا التقسيم، فصل الأزهر الزناد بين الوحدات المعجمية والوحدات الإشارية، فالوحدات المعجمية تقوم بوظيفة العنصر الإشاري، وهي تضم كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن؛ حيث يمثل العنصر الإشاري مؤشرا لذاته، لا يقوم فهمه على غيره. وتمثل فيه العناصر الإشارية في جملة الذوات تكون العناصر الأساسية الدنيا في عالم الخطاب، فهي ترتبط ارتباطا أنيا محدودا مباشرا، لا تتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل، وهي بذلك تقابل العناصر الإحالية التي تتصل بالمقام وملابساته.<sup>(1)</sup>

من خلال ما سبق نلاحظ أن الأزهر الزناد فرّق بين الوحدات المعجمية والوحدات الإشارية، فالوحدات المعجمية هي تلك التي تضم كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن، وهذه الوحدات ترتبط ارتباطا مباشرا بالمقطع اللغوي؛ فهي تساهم في ربط عناصره بعضها ببعض؛ أي إنها متصلة بالجانب الشكلي اللفظي للمقطع اللغوي، أما العناصر اللغوية التي جعلها "الزناد" في مقابل الوحدات المعجمية، فهي تساهم أيضا في ترابط المقطع اللغوي واتساقه، غير أنها لا تتصل به اتصالا مباشرا، بل تتصل بالمقام أو الموقف وما يتعلق به من ملابسات.

### 2-1-1- وسائل الإحالة:

تتفرع وسائل الترابط الإحالية إلى الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة<sup>(2)</sup>، والتي سيأتي التفصيل فيها كما يلي:

<sup>1</sup> - ينظر: سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص 101.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 118.

### 2-1-1-1 الضمائر (pronoms):

يتفق علماء لسانيات النص على أن للضمائر دورا فعالا في تحقيق الاتساق؛ حيث يعد الضمير من أقوى عناصر الربط، وذلك لصعوبة الاستغناء عنه أو حذفه إلا بدليل يدل عليه، والضمير يشير إلى عنصر سابق أو عنصر خارج عنه.<sup>(1)</sup>

وتتفرع الضمائر إلى "وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن... الخ. وإلى ضمائر الملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا... الخ."<sup>(2)</sup>

أو بعبارة أخرى فالضمائر تنوزع على ثلاثة أنواع: "الضمائر الدالة على المتكلم (أنا وفروعها)، والضمائر الدالة على المخاطب (أنت وفروعها)، والضمائر الدالة على الغيبة (هو وفروعها)."<sup>(3)</sup>

فإذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، يمكن أن نميز فيها بين أدوار الكلام ( rôles de discours ) التي تضم كلّ الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب؛ بحيث تعتبر إحالة خارج النص، ولا تكون إحالة داخل النص إلا في الكلام المستشهد به، أما الضمائر التي تؤدي دورا هاما في اتساق النص، فهي تلك التي يسمها "هاليداي ورقية حسن" أدوارا أخرى (autres rôles)، وتتدرج ضمنها ضمائر الغيبة أفرادا وتثنية وجمعا (هو، هي، هم، هن، هما)، وهي على خلاف الأولى، تحيل قبلها بشكل نمطي وترتبط أجزاء النص، وتصل بين عناصره.<sup>(4)</sup>

إذا الضمائر تنقسم إلى قسمين كبيرين، قسم الضمائر التي تحيل إحالة خارج النص، وهي ضمائر المتكلم والمخاطب، وقسم الضمائر التي تؤدي دورا كبيرا في

<sup>1</sup> - ينظر: محمود عكاشة، تحليل النص، دراسة في الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، القاهرة: 1435هـ/2014م، ص 223.

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 18.

<sup>3</sup> - أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 78.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 18.

الاتساق النصي، وهي ضمائر الغيبة؛ حيث إنها تساهم مساهمة فاعلة في الربط بين أجزاء النص.

ويطلق على الضمير عند بعض الباحثين التعيين الاسمي البديل، وهو "إعادة نصية لاسم ما من خلال الضمير [...]" وعادة ما تتعاون في النص الضمائر مع الأسماء المتكررة، وتشكل معا شبكات اسمية إحالية، أو ضفيرة اسمية إحالية. وعندما يضم نص ما عدة شبكات اسمية فإنّ واحدة منها في الغالب هي موضوع النص.<sup>(1)</sup>

والضمير البارز حين يستعمل للربط بين أجزاء النص، يكون حكمه حكم الأداة، فالنحاة شبهوا الضمائر بحروف المعاني، وذلك للتشابه الحاصل بينها من حيث وظيفتها في الربط، إلا أن الضمير البارز يعتمد على إعادة الذكر، أما حروف المعاني فتعتمد على معانيها الوظيفية التي تحدد نوع العلاقة المنشأة، كأدوات الشرط والعطف وغيرها. ومن أمثلة الربط بالضمير البارز: (هذا رجل قلبه رحيم)، فالهاء ضمير ربط بين النعت الجملة والمنعوت، وتقدير الكلام هنا: (هذا رجل، قلب الرجل رحيم)، لأن الأصل عند النحاة هو المظهر والمضمر فرعه.

ومن المعلوم أن الغرض من الربط بالضمير هو الاختصار وأمن اللبس بالتكرار وإعادة الذكر؛ فوجود الضمير يظهر أن الجملة الثانية متعلقة بصاحب الضمير، ولولا وجود الضمير لنشأ لبس في فهم الانفصال بين الجملتين، ولأدى ذلك إلى لبس آخر في فهم أن (الرجل) في الجملة الثانية غير (الرجل) في الجملة الأولى.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة: 1424هـ/2003م، ص 126/125.

<sup>2</sup> - ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 153/152.

ونجد أيضا أنّ "جلال الدين السيوطي" (ت 911هـ) يبيّن دور الضمائر في الاختصار حيث قال: "أصل وضع الضمير للاختصار، ولهذا قام قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:35] مقام خمسة وعشرين كلمة لو أتى بها مظهرة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور:31]، قال مكي: ليس في الكتاب آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، فإن فيها خمسة وعشرين ضميرا، ومن ثم لا يعدل إلى المنفصل إلا بعد تعذر المتصل، بأن يقع في الابتداء، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أو بعد (إلا) نحو: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:23].<sup>(1)</sup>

أما الضمير المستتر فالأمر فيه يختلف عن البارز، في كونه لا يحتل مكانة لفظية ظاهرة في الكلام؛ لأن فكرة الضمير المستتر هي من اختراع النحاة، وذلك حين رأوا أن الفعل لا بد له من فاعل يستند إليه ويذكر بعده، فإن لم يظهر الفاعل ولم يشر إليه ضمير بارز، وجب تقدير ضمير مستترا. وقولنا زيد ضَرَبَ، يقول المذهب البصري: لما ابتدأت فذكرت زيدا، ثم جئت بعده ب (ضَرَبَ)، لم يكن بدُّ أن تتوي ضميرا له، إذ لو لم تفعل ذلك لم تكن قصرته على (زيد) وكان غير مختص به دون غيره، ثم إن الفعل يحتاج إلى فاعل، وزيد إذا تقدم لم يكن فاعلا له، وإذا خلا من ضمير بقي بلا فاعل.<sup>(2)</sup>

هذا الكلام يدل على أن الضمير المستتر حتى وإن لم يكن موجودا لفظا في الكلام، فهو ضرورة لا بد من العودة إليها أثناء تجزئة الكلام وتقسيمه، والبحث عن روابطه وعناصر اتساقه، "قلو افترضنا أن الضمير المستتر لا وجود له في اللغة، لأصبح من المحال

<sup>1</sup> - جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ص 399.

<sup>2</sup> - مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 154/153.

تفسير نشوء العلاقة بين جملتين منفصلتين في الأصل، نحو: (جاء الرجل يسعى)، فالبنية المضمره هنا: (جاء الرجل. يسعى الرجل)، وتطبيقا لمبدأ الإيجاز لم تجد العربية ضرورة دلالية لإعادة ذكر (الرجل) فأضمرته. ولو لم يكن الضمير المستتر هنا موجودا في العقل لظلت الجملتان منفصلتين ولم يؤتمن اللبس؛ إذ الأصل في الجمل الانفصال لولا نشوء الارتباط والربط.<sup>(1)</sup>

كما سبق وأن ذكرنا فالضمير المستتر يختلف عن البارز في الحضور والغياب اللفظيين، ويتفق معه في كونه وسيلة من وسائل الربط الإحالي؛ حيث إن الضمير المستتر يساهم في ربط عناصر النص ربطا محكما، ومن أشكال هذا الربط مثلا: الربط بين جملتين متجاورتين مكانيا ومنفصلتين دلاليا، والربط بين عنصر وعنصر آخر سابق له. أو بعبارة أخرى: الضمير المستتر في بعض الأحيان "يأتي رابطا للجملة التي يستتر فيها بالجملة التي قبلها نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس:20]، فالضمير المستتر في (يسعى) ربط الجملة بما قبلها.<sup>(2)</sup>

إذا الضمائر سواء أكانت بارزة أم مستترة إنها تشبه في دورها داخل النص أدوات الربط الأخرى كحروف المعاني، ووجه الشبه بين هذين الطرفين هو تحقيق الترابط؛ حيث إن الضمائر تعمل على ربط أطراف النص وأجزائه ربطا يظهره على أنه بناء واحد، أما الاختلاف الملحوظ بين الضمائر وحروف المعاني، فهو أن الضمائر تعتمد على إعادة الذكر، أما حروف المعاني فتعتمد على معانيها الوظيفية.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 154.

<sup>2</sup> - نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمير ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر، ع1، مجلد: 13، غزة: 2011م، ص 1068.

### 2-1-1-2- أسماء الإشارة (Noms Démonstratifs):

يرى علماء لسانيات النص أن أسماء الإشارة هي ثاني وسيلة من وسائل الاتساق الداخلية، حيث " يذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...) أو المكان (هنا، هناك...) أو حسب الحياد (The)، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا)".<sup>(1)</sup>

وهذا التصنيف الذي خصه الباحثان لثاني وسيلة من وسائل الإحالة الداخلية، يسهل على الدارس مهمة البحث في عناصر الإحالة الداخلية، حيث يمكنه أن يتتبع مدى استعمال صاحب النص لهذه العناصر بإحصائها وتصنيفها.

وأسماء الإشارة تدلّ دلالة وظيفية على مطلق حاضر، ولا تدلّ على مسمى مثلما تدلّ الأسماء؛ أي أنّ دلالتها تتحدد بعنصر خارج عن ألفاظها، ولهذا سميت بالمبهمات.<sup>(2)</sup> هي إذا أسماء مبهمة الدلالة، ترتبط بألفاظ أخرى تندمج معها في سياق معين؛ حيث تتحدد دلالتها بهذا الارتباط.

واتصاف أسماء الإشارة بالإبهام ليس معناه: الغموض والإغراب، وإنما يعني: شيوع الدلالة وإجمالها، وإمكان إطلاقها على مسميات عديدة، مع حاجتها المستمرة إلى ما يفسرها، سواء أكان هذا المفسر محسوسا أم مذكورا، فمتى وجد هذا المفسر ابتعد اسم الإشارة عن عروض الالتباس، وزال عنه الإبهام.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 19.

<sup>2</sup> - ينظر: مليحة بنت القحطاني، أنماط الإحالة في القصص القرآني، قصة موسى عليه السلام نموذجا، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، ع3، جامعة سطاتم بن عبد العزيز، السعودية: دت، ص 390.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 391.



وأسماء الإشارة ألقاظ لا تختص بنوع معين من الدلالات، بل هي ألقاظ عامة في دلالتها، يمكن أن تدلّ على محسوس (قريب أو بعيد) ، كما يمكن أن تدل على ما يستحيل إحساسه أو مشاهدته، والفاصل في دلالتها السياق اللغوي الذي وردت فيه.

فالمحسوس القريب كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:31]، والمحسوس البعيد يظهر في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:63]<sup>(1)</sup>.

وأسماء الإشارة "مقيدة بدلالاتها الإشارية التي تتضمنها وتحتاج لما يساندها من علاقات نحوية داخلية تمنحها قوّة الضمير الإحالية، وتضاف عليها قوّة أخرى إشارية يحتاجها السياق."<sup>(2)</sup>

يمكن أن تدل أسماء الإشارة على القرب أو البعد؛ حيث أشار "سيبويه" (180هـ) إلى أن (ذلك) بمنزلة (هذا)، إلا أن (ذلك) تنبيه إلى شيء بعيد. وأشار "المبرد" (286هـ) إلى طريقة استعمال أسماء الإشارة والتفريق بينها، فهذا يستعمل إذا كان المشار إليه مما يدنو منك، والأصل (ذا)، و(ها) للتنبيه، أما الأنتى فيشار إليها ب: ذه، وته، وتا. أما "الفراء" (207هـ) فقد تنبه إلى أن هذا الفصل بين دلالة البعد والقرب غير دقيق، ومثل لذلك بقوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان:11]، وجعل (هذا) بمعنى (ذلك)، وكذلك جعل (ذلك) بمعنى (هذا) في قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَّعُ ط﴾  
وَأَسْتَقِمَّ ﴿ [الشورى:15]، وكذلك جعل (تلك) بمعنى (هذه) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ

<sup>1</sup> - ينظر: مهدي صالح الخفاجي، وباسمة عبد العزيز علي، إحالة أسماء الإشارة في النحو العربي، مجلة كلية التربية الأساسية، ع87، مج 21، الموصل: 2015م، ص 130.

<sup>2</sup> - حمادة عبد الإله حامد، التماسك النصي بالإحالة، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة، دار الكتب المصرية، ع9، ج6، حوالية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر: 1436هـ / 2015م، ص 5096.

حُدُودُ اللَّهِ ﴿[النساء:13]﴾. أما "الزجاج" (310هـ) فقد وقف عند قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ﴾ [الأعراف:43]، ورد (تلكم) إلى معنى البعد، وإن كان يجيز استعمالها للقرب، ويرى أن (هذا) و(هؤلاء) لما قرب منك، و(ذاك) و(تلك) لما بعد عنك، رأيته أم لم تره. كما يمكن أن يحلَّ اسم الإشارة محل الاسم الموصول، فيقوم بوظيفته، ويكون في معناه، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:17]، وكذلك جعل "الزجاج" (هؤلاء) الواردة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة:85] بمعنى (الذين)، وجعل (تقتلون) صلة لهؤلاء، فيصير القول: ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم.<sup>(1)</sup>

يمكن الاستنتاج مما سبق أن أسماء الإشارة تملك قدرة كبيرة على تحقيق الترابط بين أجزاء الجمل، بل تتجاوز قدرتها ذلك لتحقيق التسلسل على مستوى النص بأكمله؛ حيث يمكن أن ترد في مواضع مختلفة لتحقيق الارتباط بين السابق واللاحق حسب السياق الموظفة فيه، أما عن الأسماء التي يمكن أن تعوضها، فهذا عائد إلى الخطاب أو النص نفسه، وما يمكن أن يحمله من دلالات عامة أو جزئية.

كما يمكن لاسمي الإشارة (هذا) و(ذلك) أن تتوبا عن ضمير الغائب (هو)، ففي مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة:06]، فاسم الإشارة (ذلك) يشير (يحيل) إلى عظيم، وهو الخالق - سبحانه وتعالى - والذي تقدّم ذكره في بداية السورة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

<sup>1</sup> - ينظر: محمد أحمد خضير، الأدوات النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم، مكتبة الانجلو المصرية، (دط)، القاهرة: 2001م، ص 91/90.

[السجدة:04]؛ حيث ساهم اسم الإشارة في تأكيد دلالة التعظيم والتفخيم، بالإضافة إلى المساهمة في الربط التركيبي، وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ<sup>ط</sup> وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف:102]، يوحي اسم الإشارة (ذلك) بعظم الحدث وهوله، ودوره في إبراز مغزى القصة، ويساهم في الوقت نفسه في تحقيق الترابط التركيبي والمعنوي مع الآيات السابقة. ومثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ<sup>ط</sup> ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ<sup>ط</sup> مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ<sup>ط</sup> وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:17]، فاسم الإشارة الوارد في هذه الآية حقق الترابط والتسلسل الذي لم يكن ليتحقق لولا القيمة الإحالية والدلالية التي يحملها.<sup>(1)</sup> حيث يمكن أن يعوض اسم الإشارة (ذلك) في الآيات السابقة بالضمير (هو) دون أن يخل المعنى، فالتقدير في المثال الأول: هو عالم الغيب والشهادة، وفي المثال الثاني: هو من أنباء الغيب، وفي المثال الثالث: هو من آيات الله، والذي يتغير في هذا التعويض وهو نوع الإحالة فقط؛ أي من إحالة ضميرية إلى إحالة إشارية.

وكذلك اسم الإشارة الوارد في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥٣﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ<sup>ط</sup> لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٥﴾

<sup>1</sup> ينظر: نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، ص 1093.

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ<sup>ط</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهْيِ ﴿ [طه:54/49]، قد أحال إلى خطاب كامل بجمل متتالية، حيث اتسع ليشمل مجالات متعددة من الأرض والسبل والسماء، حيث ساعد اسم الإشارة بوصفه عنصرا إحياليا على الاقتصاد في الكلام وعدم التكرار. ويقوم اسم الإشارة بوظيفة الربط بين نصّ ونصّ آخر، كما في قوله تعالى: ﴿فَغَلِبُوا هنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ [الأعراف:119]، فالمشار إليه ما تقدّم من قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمْوَسِي إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خُنُ الْمَلِكِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ الْقَوَا<sup>ط</sup> فَلَمَّا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ<sup>ط</sup> فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الأعراف:118/113]، وقد وقعت الإحالة باسم الإشارة (هنالك) إلى مكان وقوع السحر. (1)

فأسماء الإشارة سواء دلت على البعد أو القرب، أو وردت في موضع يمكن أن تعوض فيه بضمير الغائب المنفصل أو أن تعوض باسم موصول، فهي تحقق في مجملها الترابط والاتساق بين أجزاء النصّ، وهذا الترابط يتحقق بإحالتها على عناصر سبق وأن ذكرت في النصّ.

**2-1-1-3- الاسم الموصول (Nom Relatif):** تعتبر الأسماء الموصولة من الأسماء المبهمة مثلها مثل أسماء الإشارة، فهي تحتاج إلى ما يفسرها، والأسماء الموصولة "لا تحتمل دلالة خاصة وكأنها جاءت تعويضا عما تحيل إليه، وهي أيضا تقوم

<sup>1</sup> - ينظر: مليحة بنت محمد القحطاني، أنماط الإحالة في القصص القرآني، قصة موسى عليه السلام نموذجا، ص 392.

بالربط الاتساقى من خلال ذاتها، ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطاً مفهوماً بين ما قبل (الذي) وما بعده.<sup>(1)</sup>

والاسم الموصول يعتبر من الأدوات التي تشد من أرز التلاحم النحوي بين ما تقدم وتأخر، بالإضافة إلى الصلة التي تزيل عنه إبهامه وتساهم في إحكام هذا الترابط، فتكون الإحالة بالموصول إحالة مزدوجة يقوم بها الاسم الموصول بالاشتراك مع صلته.

من هنا يعتبر علماء لسانيات النص الاسم الموصول من وسائل التماسك النصي؛ لأنه يستلزم وجود جملة بعده، وهو في الوقت ذاته أداة من أدوات الإحالة، نظراً لذلك الارتباط بمذكور سابق، والاسم الموصول يندرج مع اسم الإشارة ضمن العناصر الإحالية التي تحدث عنها الأزهر الزناد في قوله: "تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى، مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور في مقام آخر، فهي إذن مزدوجة الدور في اللغة:

- تشير وتعين المشار إليه في المقام الإشاري.
- تعوض المشار إليه، فتحيل عليه، وترتبط به، وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد، أو إدراك حسي، أو غيره.

<sup>1</sup> - أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر: (دت)، ص 28/27.

وبعض العناصر الإحالية يكتفي بوظيفة التعويض مثل الأسماء الموصولة، وهذه يزدوج دورها كذلك، ولكن من زاوية أخرى؛ إذ تعوض، وتربط ربطاً تركيبياً، وهي بحكم إبهامها تحتاج إلى صلة تفسرها.<sup>(1)</sup>

أما ما ذكره الزناد فيما يخص مبدأ التماثل، فهو نسبي يختص ببعض الأسماء الموصولة دون غيرها؛ حيث إن الأسماء الموصولة تنقسم إلى: "اسم موصول عام، واسم موصول خاص ويقوم الثاني منهما على مبدأ التماثل والتطابق فيما هو موجود، نحو: (الذي والتي والذين... إلخ)، على عكس الأول العام الذي لا يتحقق فيه مبدأ التماثل، نحو: (ما ومن) وهي - أيضاً - تقوم بالربط الدلالي من خلال ذاتها وما يرتبط بها بعدها"<sup>(2)</sup>، فالأسماء الموصولة تنقسم إلى نوعين، نوع عام لا يحقق مبدأ التماثل، ونوع مختص يحقق مبدأ التماثل، ويمكن التفصيل فيما سبق كالآتي:

**2-1-1-3-1- الاسم الموصول المختص: وهو ما كان نصاً في الدلالة على بعض الأنواع دون الأخرى، فللمفرد المذكر ألفاظه الخاصة، وللمفردة المؤنثة ألفاظها الخاصة بها، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة:68]، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة:71]<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:41]، وقوله: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف:23]، فالاسم الوصول في الآيات السابقة دل على المفرد المذكر بلفظ (الذي)، ودل على المفرد المؤنث بلفظ (التي).**

<sup>1</sup> - ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص 118.

<sup>2</sup> - حمادة عبد الإله حامد، التماسك النصي بالإحالة، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة، ص 5097.

<sup>3</sup> - ينظر: حسين علي هادي، الإعجاز التعبيري في سورة الواقعة (التماسك النصي أمودجاً)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العراق: 2017م، ص 111/110.

2-1-1-2- الاسم الموصول العام: وهو ما ليس نصا في الدلالة على بعض الأنواع دون الأخرى، وأشهر الألفاظ الخاصة بهذا القسم: (من وما)، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة:58]، وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة:63]<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18]، وقوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ﴾ [يوسف:48]، ف (ما) الواردة في الآيات الكريمة السابقة اسم موصول بمعنى (الذي)، وهو من الأسماء التي تحمل فائدة الشمول.

أمثلة الأسماء الموصولة في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة، نقتصر في هذا المقام على ذكر البعض منها فقط، منها قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿المؤمنون:1/11﴾، فالملاحظ لهذا النص القرآني يستنتج أن الاسم الموصول (الذين) قد تكرر بصورة واحدة للدلالة على لفظ سابق (المؤمنون) محدثا نسقا واحدا للنص كله.

<sup>1</sup> - ينظر المرجع السابق، ص 111.

والمتأمل لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام: 97/99]، يلاحظ أن تعبير (هو الذي) تكرر عدة مرات عبر مراحل متفاوتة، فكان بمثابة الرابط الذي يصل بين السابق واللاحق، وهذا التعبير يحيل إلى الله سبحانه وتعالى.

والمتأمل لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿21﴾ [البقرة: 21]، يلاحظ أيضا أن الاسم الموصول (الذي) قد أحال إلى مذكور سابق (ربكم)، أما جملة الصلة المتصلة بالذي (خلقكم) فقد وضحته وأزالت عنه الإبهام، والعائد فيها هو الضمير المستتر (هو)، أما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿24﴾ [البقرة: 24]، فنلاحظ أن الإحالة كانت بالاسم الموصول المفرد المؤنث (التي)؛ حيث أحيل به إلى مذكور سابق (النار)، وجاءت الصلة جملة اسمية (وقودها الناس والحجارة)؛ حيث إن العائد فيها هو الضمير المتصل (ها).



كما يمكن للاسم الموصول أن يحيل إلى مذكور لاحق، ويظهر هذا جليا في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:237]، فالمذكور اللاحق للاسم الموصول هو ﴿بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، والرابط الذي ربط الاسم الموصول بصلته هو الضمير المتصل الهاء في قوله: ﴿بِيَدِهِ﴾.

### 2-1-1-4 أدوات المقارنة (Outils de Comparaison):

وهي وسيلة لا تقل أهمية عن بقية الوسائل الإحالية السابقة في الربط بين مختلف عناصر النص الواحد، والمساهمة في إحكام تماسكه دلاليا، وتنقسم المقارنة إلى "عامة يتفرع منها التطابق، ويتم استعمال عناصر مثل: (Same)، والتشابه، وفيه تستعمل عناصر مثل: (Similar)، والاختلاف باستعمال عناصر مثل: (Otherwise, Other)، وإلى خاصة تتفرع إلى كمية تتم بعناصر مثل: (More)، وكيفية: (أجمل من، جميل مثل...)، أما من منظور الاتساق فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة اتساقية.<sup>(1)</sup> إذا فالفاظ المقارنة تصنف إلى صنفين كبيرين: صنف يسمى "الفاظ المقارنة العامة" ويشمل ألفاظ التشابه مثل: (شبيه، مشابه...)، كما يشمل ألفاظ الاختلاف مثل: (مخالف، مغاير...)، ويشمل أيضا ألفاظ التطابق مثل: (نفسه، عينه، مكافئ، مساوٍ، مماثل...). أما الصنف

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 19.

الثاني فهو "ألفاظ المقارنة الخاصة"، والتي تتفرع أيضا إلى ألفاظ تعبير عن الكمية مثل: (أكثر، أكبر...)، وألفاظ تعبر عن الكيفية مثل: (أجمل من، أحسن من...).

كما أنّ أدوات المقارنة تتميز بكونها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يجعل منها وسيلة مهمة من وسائل التماسك النصي، لذلك فأينما وردت هذه الألفاظ كان لزاما على المخاطب أن ينظر إلى ما أحالت إليه ليصل إلى كشف المعاني وفهمها. وكما كان مع الضمائر وأسماء الإشارة يحتمل أن يكون المرجع خارجيا، كما يحتمل أن يكون داخليا، فإذا كان داخليا فإما أن يكون متقدّما أو متأخرا<sup>(1)</sup>، وهذا يكون بحسب طبيعة الألفاظ المستعملة، والتنوع في استعمالها يشبه تماما ذلك التنوع في استعمال الضمائر.

ويمكن التمثيل لأدوات المقارنة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57]، قال

"الزمخشري" مفسرا هذه الآية: "فإن قلت كيف اتصل قوله ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بما

قبله؟ قلت: إنّ مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على إنكار البحث وهو أصل

المجادلة ومدارها، فحجوا بخلق السماوات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها،

وبأنّها خلق عظيم لا يقادر قدره، وخلق الناس بالقياس إليه شيء قليل مهين، فمن قدر

على خلقها مع عظمها كان على خلق الإنسان مع مهانته أقدر، وهو أبلغ من الاستشهاد

بخلق مثله.<sup>(2)</sup> ومن هذا ندرك أنّ لفظ "أكبر" قد ربط الجملة الثانية بالأولى؛ لأنّه لا يكون

الشيء أكبر إلا بموازنته بشيء آخر أكبر منه، ولا يعرف الشيء الآخر إلا بالرجوع إلى

ما سبق في الآية، وبهذا يكون قد تحقق اتصال عناصر النص الواحد ببعضها ببعض،

<sup>1</sup> - Halliday M.A.K and Roquaya Hassan, Cohesion English, p: 78.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 355.

وانعدام إمكانية استغناء أحدها عن الآخر، وإلا لا يمكن أن يلاحظ ذلك التعالق والارتباط الذي يميّز العناصر المكوّنة للنّص الواحد.

### 2-2- الاستبدال (Substitution):

هو آلية من آليات الاتساق النصي وهو عبارة عن "عملية تتم داخل النّص، إنه تعويض عنصر في النّص بعنصر آخر، ويعد الاستبدال شأنه شأن الإحالة، علاقة، اتساق، إلا أنّه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى - المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي، ويعتبر الاستبدال من جهة أخرى، وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النّص"<sup>(1)</sup>؛ أي إن الاستبدال يشبه الإحالة في كونه يربط أجزاء النّص بعضها ببعض، إلا أن الإحالة تختلف عن الاستبدال في المستوى الذي تحقق فيه الرّبط، وهو المستوى الدلالي، عكس الاستبدال الذي يربط بين عناصر النّص ربطا تركيبيا نحويا، كما أن "معظم حالات الاستبدال النّصي قبلية، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدّم."<sup>(2)</sup> والاستبدال يختلف عن الإحالة أيضا في أنّه يكون بوضع لفظ مكان لفظ آخر، لزيادة الصلة بين هذا اللفظ وذاك الذي يكون مجاورا له، وذلك اللفظ الذي تقدّم ذكره، أما الإحالة فيمكن أن تحيل على شيء غير لغوي. ويظهر الاستبدال في عبارة « سيارتي قديمة يجب أن أشترى أخرى جديدة »؛ حيث إنّ كلمة (أخرى) عوّضت كلمة (سيارة) وقامت مقامها، مما جعل الجملة الثانية متعلقة بالجملة الأولى، وهذا استبدال يتم على المستوى المعجمي، أما الاستبدال الذي يتم على المستوى النحوي، فهو استعمال تركيب نحوي بدل تركيب نحوي آخر، وهذا ما يظهر جليا في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النّص، ص 19.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

أَتْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا<sup>ط</sup> قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ<sup>ط</sup> كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مَافْسِدِينَ ﴿البقرة:60﴾، فقد وقع الاستبدال هنا بتعويض جملة جواب الطلب (فضرب الحجر بعصاه)، بجملة أخرى (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)، والارتباط الحاصل بين الجملتين كان بعلاقة سببية.<sup>(1)</sup> إذا فالاستبدال من العمليات النصية التي تحدث داخل بنية النص بشكل يمكن أن يشبه بالإحالة، إلا أن بين الآليتين اختلافا يجعل منهما وسيلتين منفصلتين في الوظيفة والمضمون.

**2-2-1- أنواع الاستبدال:** يقسم الاستبدال من منظور علماء لسانيات النص إلى ثلاثة أنواع: استبدال اسمي، واستبدال فعلي، واستبدال قولي.

**2-2-1-1- الاستبدال الاسمي:** وهو مجموع المقولات الاسمية التي يمكن أن تحل محل الاسم لتأدية وظيفة تركيبية، وتتم بواسطة مجموعة من العناصر مثل: واحد، واحدة، آخر، أخرى، آخرون، نفس وغيرها، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَاتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِي شِعْتُمْ<sup>ط</sup> وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ<sup>ج</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ<sup>ط</sup> وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿البقرة:223﴾، فقد حدث استبدال اسمي في الآية الشريفة بين لفظ (نساؤكم)، ولفظ (حرثكم)، وذلك على سبيل التشبيه، فالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان، كما أن الأرض زرع ما به بقاء النبات.

وعلاقة الاستبدال علاقة تعويض تقتضي التحديد والاستبعاد؛ فالتعويض في هذا المثال حاصل بين عنصري الاستبدال (المستبدل والمستبدل منه)، فهما يدلان على الشيء نفسه وهو سبب بقاء النوع، بلفظين مختلفين، وقد استبعد لفظ (نساؤكم) وجيء بما

<sup>1</sup> - ينظر: محمد الأخضر صبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 91/92.

يقابله (حرتكم) لحكمة أشار إليها "الزمخشري"، وهي أنها من الكنايات اللطيفة والتعويضات المستحسنة في القرآن الكريم. ويظهر الاستبدال الاسمي أيضا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ [آل عمران:136]، حيث إنه وقع بين اللفظ (أجر) واللفظ (جزاء).<sup>(1)</sup> وقد قال الزمخشري في هذه الآية: "قال ﴿أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ بعد قوله ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ لأنهما في معنى واحد، وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك جزء واجب على العمل، وأجر مستحق عليه... وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد [البسيط]:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلِكِ مَسَالِكَهَا      إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك، يعني المغفرة والجنات.<sup>(2)</sup> والاستبدال في هذا المثال وقع بتعويض اسم (جزاء) باسم آخر (أجر) وذلك لوجود تماثل اسمي بينهما؛ حيث إنهما يدلان على الشيء اللغوي نفسه، غير أنهما يختلفان في اللفظ. ومن هنا نستنتج أن الاستبدال ساهم في ترابط النص واتساقه، من خلال تلك العلاقة البارزة بين عنصر لغوي متقدم وعنصر آخر متأخر؛ إذ يكون هذا العنصر المتأخر بديلا عن ذلك المتقدم.

**2-1-2-2- الاستبدال الفعلي:** وهو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل لتأدية وظيفة تركيبية؛ حيث يأتي إضمارا لفعل أو حدث أو عبارة فعلية ليحافظ على

<sup>1</sup> ينظر: تراث حاكم الزياي وعقيل محمد العنكوشي، الاستبدال في جملة التذييل في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص، مجلة أروك للعلوم الإنسانية، ع363، العراق: 2017م، ص 9/8.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 630.

استمرارية محتوى الفعل/العبرة الفعلية، ويجوز استبدال الفعلين المترادفين مثل: (أنهى) بـ (أنجز) لتزادف المعنيين، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءِآنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران:113/115]، إذ ورد الاستبدال الفعلي باستبدال الكلمات التي تصف الأفعال وهي (يتلون، يؤمنون، يأمر، ينهون، يسارعون) بكلمة (يفعلوا) التي شملت كل أفعالهم؛ حيث إن كلمة (يفعلوا) اختزلت الكلمات السابقة وعوضت تكرار الأفعال للحفاظ على استمرارية الفعل/العبرة الفعلية.

ومن أمثلة الاستبدال الفعلي قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:114]؛ حيث يتجلى الاتساق في عملية الاستبدال الفعلي الحاصلة في هذه الآية، إذ استبدل الفعل (أمر) بلفظ (يفعل)<sup>(1)</sup>، وتفسير هذه الآية يظهر دلالة المستبدل والمستبدل به؛ إذ إن "ذكر الأمر بالخير يدل على فاعله، لأنه إذا دخل الأمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل. ثم قال ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم، ويجوز أن يراد: ومن يأمر بذلك، فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال."<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: تراث حاكم الزيايدي وعقيل حاسم العنكوشي، الاستبدال في جملة التذييل في القرآن الكريم، ص 11/10.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 149/148.

فالاستبدال في هذا النص قد شكل بديلا لفظيا أدى إلى نشوء رابطة بين الجمل من خلال علاقة التعويض بين الفعلين (أمر، يفعل)؛ فهما قد ساهما في ترابط وتلاحم النص من خلال ذلك التماثل الوظيفي الذي يقتضي التحديد والاستبعاد، والإيجاز والاختصار.

### 2-2-1-3- الاستبدال القولوي: هو استبدال جملة بكاملها، ويتم باستبدال وحدة لغوية

بشكل يشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على الشيء غير اللغوي في نفسه، ومن أمثلة الاستبدال القولوي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ

الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ

مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا

يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

عمران: 55/58]، فالاستبدال القولوي وقع بين اسم الإشارة (ذلك)، وبين الآيات السابقة.<sup>(1)</sup>

قال الزمخشري في لفظ (ذلك) الوارد في الآيات السابقة: "إشارة إلى ما سبق من نبا

عيسى وغيره"<sup>(2)</sup>، إذ حل اسم الإشارة هنا محل مجموعة من الوحدات النصية تماثلا

واختصارا، وبذلك يكون قد حقق نوعا من التماسك النصي والترابط التركيبي.

ومن أمثلة الاستبدال القولوي أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿١٧٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى

<sup>1</sup> ينظر: تراث حاكم الزيادي وعقيل حاسم العنكوشي، الاستبدال في جملة التذييل في القرآن الكريم، ص 12.

<sup>2</sup> الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 562.

وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٧﴾ [آل عمران: 137/138]، فالاستبدال حاصل بين اسم الإشارة (هذا) والقول السابق في الآية (137)، والاستبدال هنا ليس مجرد وسيلة أو علاقة نحوية معجمية فقط، بل علاقة دلالية كذلك؛ فاسم الإشارة يعود إلى ما تقدّم هذه الآية الكريمة من أوامر ونواه، واسم الإشارة (هذا) حقق ترابطاً نصياً من خلال اختزاله لتركيب نحوي، ولو ذكر بدلاً من اسم الإشارة لحصل تكرر في النص، وانقطعت استمراريته، ولتفكك تلاحمه وترابطه.<sup>(1)</sup>

يتبين مما سبق أن الاستبدال يمثل ذلك التعويض اللفظي الحاصل بين عنصرين لغويين متفقين في المعنى ومختلفين في اللفظ، وهو عملية يستشف منها الاستغناء عن إعادة الوحدات النصية وتكرارها، وبهذا فالاستبدال يؤدي إلى الإيجاز الذي يؤدي بدوره إلى سهولة المعنى وقرب فهمه وتفسيره.

### 2-3- الحذف (Effacement):

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها كل اللغات الإنسانية، وتبدو مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحاً، وثبات هذه الظاهرة في العربية يفوق غيرها من اللغات، وذلك لميل العربية إلى الإيجاز<sup>(2)</sup> والاقتصاد في اللفظ.

<sup>1</sup> - ينظر: تراث حاكم الزيايدي وعقيل حاسم العنكوشي، الاستبدال في جملة التذييل في القرآن الكريم، ص 14/13.  
<sup>2</sup> - ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، دط، الإسكندرية، 1998م، ص 9.



وينتج الحذف في كل اللغات عن الاستعمال وما يقتضيه من تخل عن بعض الألفاظ والعبارات التي تستشف بقرائن مقالية<sup>(1)</sup> أو حالية<sup>(2)</sup>. والحذف علاقة داخلية من علاقات النص التي تساهم في اتساق عناصره وترابطها، حيث يذكر "محمد خطابي" أن "هاليداي ورقية حسن" حددا الحذف على أنه: "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أن الحذف علاقة قبلية. والحذف كعلاقة اتساق لا تختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول استبدالاً بالصفير<sup>(3)</sup>، أي: إن علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، في حين علاقة الحذف لا تخلف أثراً؛ ولهذا فإن المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، مما يمكن من ملء الفراغ الذي يخلف الاستبدال، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغاً بنوياً يهتدي القارئ إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق."<sup>(4)</sup> أي إن الحذف يشبه الاستبدال في كونه علاقة نصية رابطة بين عناصر النص، إلا أنه يختلف عنه في أن الاستبدال هو عملية تعويض لعنصر بعنصر آخر، بينما الحذف هو غياب عنصر من عناصر البناء اللغوي، والحذف

<sup>1</sup> - القرائن المقالية تنقسم إلى قسمين: قرائن مقالية متصلة: وهي عناصر لغوية إما بكلمات أو جمل سابقة أو لاحقة تكشف عنصراً لغوياً آخر غير معروف، وتقع معه في السياق نفسه، وهذا ما يسميه المحدثون بالسياق الأصغر. أما القرائن المقالية المنفصلة فهي عناصر لغوية تكشف مدلول عنصر لغوي غير معروف ولا تقع في مساقه، وهذا ما يطلق عليه المحدثون مصطلح السياق الأكبر. ينظر: موسى بن مصطفى العبيدان، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، دار الأوائل، ط2، سوريا: 2002م، ص 256.

<sup>2</sup> - القرائن الحالية: سياق الحال عند "فيرث" نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وهذا يعني أن سياق الحال يمثل الوسط الذي له علاقة بالوحدة الكلامية. ينظر المرجع نفسه، ص 262.

<sup>3</sup> - يسمى الحذف أحياناً بـ "الاكتفاء بالمبنى العدمي"، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالباً بعكس ما قد تبدو في تقدير الناظر، وفي النظريات اللغوية التي تضع حدوداً واضحة للصواب النحوي أو المنطقي يتكاثر بحكم الضرورة نظرها إلى العبارات بوصفها مشتملة على حذف بحسب ما يقتضيه مبدأ حسن السبك. ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 340.

<sup>4</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 21.

ضرورة لابد منها في تأليف الكلام ونسجه، لأنه "من غير المعقول بالنسبة للناس أن يحولوا كل شيء يقولونه أو يفهمونه إلى جمل كاملة، فلو فعلوا ذلك لكان أولى بهم أن يفضلوا أن يتكلموا بجمل تامة أكثر كثيرا مما يفعلون، فالاكتمال النحوي ينتج تراكيب لا فائدة فيها ولا وضوح."<sup>(1)</sup> فبالإضافة إلى أن الحذف يساهم في ترابط النص الواحد، هو أيضا خاصية من خصائص اللغة التي يحتاجها مؤلف الكلام وناظمه حين يتعلق الأمر بذكر الألفاظ التي يقتضيها المقام اللغوي أو الموقف؛ حيث "يتسامح الناس في الظروف العادية مع الكثير من الحذف طبقا لما يقدرونه من مطالب الموقف، ويمكن التنشيط الموسع وحده أن يسمح بحذف ما هو محدد والتواصل النموذجي، كما أن الاستبدال يمكن أن يطبق عندما تدعو إليه الحاجة"<sup>(2)</sup>، والحذف لا يختلف مفهومه كثيرا عند علماء العربية في القديم، حيث نجد "سيبويه" يقول في الحذف في باب ما يكون في اللفظ من الأعراض: "اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير سقطا."<sup>(3)</sup> فكلام "سيبويه" دليل على أن الأصل في الكلام غير الحذف، أي أن يذكر، والحذف عارض يعرض فيه.

أما "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471 هـ) فقد قال إن الحذف "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسكر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للفائدة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين."<sup>(4)</sup> ويضيف في السياق نفسه "فما من فعل أو اسم تجده قد حذف، ثم أصيب

<sup>1</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص 341.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 344.

<sup>3</sup> - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنير سيبويه، الكتاب، تع: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة: 1416هـ/1996م، ج1، ص 25/24.

<sup>4</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

به موضعه، وحذف في حال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به.<sup>(1)</sup> فالتأمل لكلام الجرجاني يدرك أن هذا العالم الفذ الفطن قد أحاط بظاهرة الحذف، واعتبرها ضرباً من ضرب الجمال في العربية؛ فكثيراً ما نجد أنّ حذف بعض الكلام يزيد من حسنه ورونقه، ويضفي على ما بقي بلاغة لا يمكن أن تظهر عليه إذا ذكر ما حذف.

وقد اتفق النحاة العرب مع علماء اللغة الغربيين في موضع المحذوف، ف "ابن هشام" (ت 761هـ) يذهب في كتابه "مغني اللبيب عن كتب الأعراب" إلى أنه "إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً فيكون ثانياً أولى"<sup>(2)</sup>، وذلك لأن التجوز في أواخر الجملة أسهل، ويذهب "هاليداي ورقية حسن" إلى أن الحذف يكون من اليمين ويتحرك دائماً ليكون في الكلمة الأخيرة، ومفهوم أن يمين الجملة الإنجليزية هو آخرها، بخلاف الجملة العربية، إذ آخرها هو الشمال، وذلك من أقوى العوامل التي يتحقق بها التماسك النصي، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا<sup>٥</sup> لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ<sup>٦</sup> وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ<sup>٧</sup> وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ<sup>٨</sup>﴾ [النحل:30]، حيث حذف العنصران من التركيب الثاني والتقدير: (أنزل ربنا خيراً)، وذلك بالعودة إلى سبق ذكره في التركيب الأول.<sup>(3)</sup> والحذف لا يكون في الكلام إلا بوجود دليل يدل على العنصر المحذوف في الكلام السابق، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾، وقع الحذف لوجد دلالة على المحذوف في قوله: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 153/152.

<sup>2</sup> - ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص 395.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 224.

### 2-3-1- مرجعية الحذف:

العلاقة بين الحذف والمرجعية علاقة شديدة الوضوح، وهي من الجوانب التي تؤكد أهمية الحذف في تحقيق التماسك والترابط النصيين، نظرا لتوفر دليل أو قرينة مصاحبة تساهم في تقدير المحذوف، وأغلب الأمثلة تشير إلى أن مرجعية الحذف تكون إلى عنصر سابق، وقد تكون مرجعية الحذف إلى خارج النص، وليس لهذه الأخيرة دور في تحقيق التماسك؛ لأن أكثر المواضع التي ترد فيها تكون على مستوى الجملة الواحدة، وليس للجملة الواحدة مذكور يدل على المحذوف في أغلب الحالات، كي يمكن لاحقا أن يتماسك العنصر المحذوف مع ما يدل عليه في الجملة، ومن ثمة فالمرجعية الخارجية تدور غالبا في مستوى الجملة الواحدة، ولا يتحقق من خلالها التماسك، وأغلب الأمثلة التي تتجسد فيها أهمية المرجعية في تحقيق التماسك من خلال الحذف، تظهر في الجمل الاستفهامية بين الاستفهام وجوابه<sup>(1)</sup>؛ فمرجعية الحذف في أغلب الحالات التي تساهم في اتساق النص وتماسكه، هي المرجعية على عنصر سابق ذكره في النص.

والحذف يمكن أن يقسم بحسب مرجعيته إلى قسمين:

أولهما: حذف مرجعيته داخلية، وهذا النوع يشترط وجود دليل مذكور يساهم في تقدير المحذوف.

ثانيهما: حذف مرجعيته خارجية، وهذا النوع يعتمد على سياق الحال، الذي يمدنا بالمعلومات التي تساهم في تفسير المثال.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، ط1، القاهرة: 1431هـ/2000م، ج2، ص 201.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 224.

وللتمثيل لمرجعية الحذف نورد بعض الأمثلة من القرآن الكريم: "قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف:152]، أي: اتخذوا العجل إليها. فمرجعية الحذف - هنا - مرجعية داخلية سابقة، بدليل قوله تعالى من السورة نفسها: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف:138]"<sup>(1)</sup>، فالتأمل للآية الكريمة التي وقع فيها الحذف، يدرك أن فيها غيابا لعنصر لغوي في بنيتها السطحية، وهذا راجع إلى أنه مذكور في بنية سابقة، وهي الآية التي سبقت الآية التي وقع فيها الحذف، وبذلك حدث الترابط والاتساق بين الآيتين.

ومن أمثلة الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۗ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:172]. والتقدير: ومن يستكف ويستكبر، بدليل التقسيم بعده. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:173] فمن الواضح أن الحذف - هنا - مرجعيته مرجعية لاحقة؛ لأن الحذف جاء قبل دليل التقسيم.<sup>(2)</sup> وهذا ما يسمى بالحذف بمرجعية بعدية، حيث يتأخر فيها الدليل عن العنصر المحذوف، مثل قول الشاعر قيس بن الخطيم:

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 226.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 227.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف<sup>(1)</sup>

معنى ذلك أنه "أراد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض"<sup>(2)</sup>

حيث إن العنصر المحذوف في الجملة الأولى (راضون) والعنصر المذكور في الجملة الثانية (راض) وعلاقته مرجعية بعيدة.

### 2-3-2- أنواع الحذف:

قسم "هاليداي" و"رقية حسن" الحذف إلى ثلاثة أقسام: حذف اسمي، وحذف فعلي، وحذف قولي.<sup>(3)</sup>

**2-3-2-1- الحذف الاسمي:** وهو "يعني حذف اسم داخل المركب الاسمي"<sup>(4)</sup> أو هو

الذي " لا يقع إلا في الأسماء المشتركة ومثاله: أي الطريقتين ستأخذ؟ هذا هو الأسهل."<sup>(5)</sup> فالحذف الاسمي هو إسقاط اسم من التركيب الاسمي لدليل يدل عليه في الجملة السابقة، حيث يسد هذا الدليل تلك الفجوة البنوية، وغياب الدليل يقتضي عدم الحذف؛ حيث إن الكلام دونه يلفه الغموض والإبهام، ويفتقد الإفادة التي تعتبر شرطاً أساسياً لإنشائه.

ويمكن الاستدلال على الحذف الاسمي بأمثلة من القرآن الكريم، من ذلك "قوله

تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا<sup>ط</sup> فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل

عمران:13] والتقدير: إحداهما فئة بدليل قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾، فالمرجعية هنا

مرجعية لاحقة.

<sup>1</sup> - ديوان قيس بن الخطيم، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر، دط، بيروت، دت، ص 115.

<sup>2</sup> - أبو العباس المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، القاهرة: 1399هـ/1979م، ج4، ص 73.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 22.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 22.

<sup>5</sup> - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 93.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿[الهمزة: 6/5]. والتقدير: الحطمة نار الله الموقدة، فالمرجعية هنا مرجعية سابقة.<sup>(1)</sup> ففي الآيتين الكريمتين وقع حذف للاسم بدليل دل عليه، سواء سابقا أو لاحقا، وهذا الحذف أدى إلى ارتباط دلالي بين الجملة الواقع فيها الحذف، والجملة السابقة أو اللاحقة.

**2-2-3-2- الحذف الفعلي:** ويقصد به "الحذف داخل المركب الفعلي"<sup>(2)</sup>؛ أي التخلي عن الفعل في التركيب الذي يتصدره الفعل، مثل: "فيم كنت تفكر؟ المشكلة التي أرقنتي، والتقدير: أفكر في المشكلة التي أرقنتي."<sup>(3)</sup> والأفعال لا تحذف في الكلام إلا بوجودها في الكلام السابق له، ويكثر هذا في الجمل التي تكون جوابا للاستفهام، مثلا: ماذا ترسم؟ زهرة، والتقدير: أرسم زهرة، ومن أمثلة حذف الفعل في القرآن الكريم "قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴿[الأعراف: 160]. والتقدير: فاضرب فانبجست."<sup>(4)</sup>

فسر "الزمخشري" الآية السابقة فأورد: "فهلا قيل: فاضرب فانبجست؟ قلت: لعدم الالتباس، وليجعل الإنبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر؛ للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن إتباع الأمر، وأنه من انتفاء الشك عنه، بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به."<sup>(5)</sup> فالعلاقة الموجودة بين لفظ (ضرب) ولفظ (انبجس)، ووجود الدليل الذي يدل على معنى الضرب في الكلام، أدى إلى حذفه لتحقيق الترابط والتماسك النصيين.

<sup>1</sup> - أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 227/228.

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 22.

<sup>3</sup> - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 93.

<sup>4</sup> - أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 229.

<sup>5</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 522.

2-3-2-3- الحذف القولِي: أو الحذف "داخل شبه الجملة"<sup>(1)</sup> مثل قولك "كم ثمنه؟

عشرون ديناراً. والتقدير: ثمنه عشرون ديناراً"<sup>(2)</sup>، فحذف التركيب (ثمنه) لوجود ما يدل عليه في جملة الاستفهام، هذا ما أدى إلى ارتباط الجملة الثانية بالأولى، وغياب هذا

العنصر في الكلام أبلغ من حضوره لوجود ما يدل عليه فيه، ومثال ذلك من القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ

يُنزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[الأنعام: 81/82]. والتقدير: (فريق الذين آمنوا)، والمرجعية هنا سابقة والدليل: الفريقين.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 12]. والتقدير: قل ما في السماوات والأرض لله. فالمحذوف: (ما

في السماوات والأرض)، والدليل مرجعية سابقة، حيث ورد في الجملة السابقة جملة

الاستفهام: لمن ما في السماوات والأرض؟<sup>(3)</sup>

نخلص من الأنواع السابقة للحذف، أنه سواء تعلق الحذف بالاسم أو الفعل أو القول، فإنه

يعود على التركيب بفائدة الاتصال والترابط والاتساق، الذي لا يستشف بحضور العنصر

المحذوف.

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 22.

<sup>2</sup> - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 93.

<sup>3</sup> - أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 229.



### 4-2- الوصل (Liaison):

يعتبر الوصل مظهرا من مظاهر اتساق النص، "وهو مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق، وذلك لأنه لا يتضمن إشارة موجهة إلى مفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف"<sup>(1)</sup>، فالوصل هو الجمع بين جملتين متتاليتين، ويكون ذلك برابط لفظي منطقي، وهذا النوع من الربط لا يشبه الأنواع الأخرى في كونه لا يحيل على عنصر مذكور في النص، إما في السابق أو في اللاحق، والوصل "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم، معنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص."<sup>(2)</sup> ويتم الوصل بين الجمل بالعطف (Conjonction) أو بغيره من الأساليب التي تحقق الترابط (Cohésivité) بين الجملتين المتتاليتين، وانطلاقا من هذا يمكن تقسيم الوصل إلى عدة أنواع، وصل إضافي وعكسي وسببي وزمني.

**أ- الوصل الإضافي:** وهو ذلك النوع من أنواع الربط الذي اصطلح عليه "دي بوجراند" بـ (مطلق الجمع)، حيث "يربط مطلق الجمع صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينها، إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين، وتؤدي إلى تكثيف الدلالة، والتخيير يربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار، إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين."<sup>(3)</sup> ويمكن من خلال هذا التصور أن

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 22.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

<sup>3</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 346.

تدرج بعض أدوات العطف<sup>(1)</sup> في اللغة العربية في باب الوصل الإضافي، حيث يكون الربط بهذه الحروف في أغلب الحالات، قرينة لأمن اللبس في فهم الاتصال، وذلك في نحو: جاء زيد وعمرو، وجاء زيد وذهب عمرو، حيث تقوم واو العطف<sup>(2)</sup> في المثالين بالربط بين مشاركة زيد وعمرو في المجيء في المثال الأول، والربط بين مشاركة زيد وعمرو في المجيء للأول، والذهاب للثاني، حيث ينتفي الاتصال والمشاركة عند حذف الواو؛ حيث إن جملة: (جاء زيد) جملة فعلية مستقلة، وجملة: (ذهب عمرو) جملة فعلية مستقلة، وبزيادة حرف العطف يتحول التركيبان المستقلان إلى تركيب واحد.<sup>(3)</sup> وما أكثر العطف بالواو في النصوص المنشأة في اللغة العربية عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، وسنختار بعض الآيات للاستشهاد بها في هذا المقام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٠٦﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: 4/3]، جاء في تفسير "الزمخشري": "فإن قلت: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أهم غير الأولين أم هم الأولون؟ وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك: هو الشجاع والجواد؛ وفي قوله [من المتقارب]:

<sup>1</sup> - استعمل الفراء مصطلحات عديدة ومتنوعة في كتابه "معاني القرآن" للتعبير عن العطف بالحرف، منها مصطلح التَّمَقُّق. لكنّه لا يلتزم بهذا المصطلح وحده في التعبير عند العطف بالحرف، وإنما سمّاه أحياناً "الرَّدِّ". والمعطوف يسمّيه "المزْدود"، وأحياناً أخرى نجده يطلق عليه -العطف بالحرف- اسم "العطف"، وهي التسمية التي تداولها البصريون وكذلك نجده عبّر عنه بكلمة "الإثباع"، وكذا بكلمة "الكرّ". (ينظر: الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة: 1955م، ج1، ص44).

<sup>2</sup> - معنى الواو إفادة مطلق الاشتراك والجمع في المعنى بين المتعاطفين، حيث نجد "ابن جنّي" (ت392 هـ) قد عبّر عنها بقوله: فمعنى الواو للاجتماع، نقول: قام زيد وعمرو أي: اجتمع لهما القيام، ولا يدري كيف ترتب حالهما فيه. (ينظر: أبو الفتح عثمان بن جنّي، اللّمع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، ط1، الكويت: 1972م، ص91).

<sup>3</sup> - ينظر: حسام البهنساوي، أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحليلية، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، مصر: 1423هـ/2003م، ص23.

إلى الملكِ القَرْمِ وابنِ الهَمَامِ      وليثِ الكَتِيبَةِ في المُرْدَحَمِ

[...] فيكون المعطوف غير المعطوف عليه، ويحتمل أن يراد وصف الأولين، ووسط العطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه.<sup>(1)</sup> فالمتأمل للآيتين السابقتين يدرك أن الاتساق بين أجزائها ظهر في عدة مظاهر، أبرزها وأكثرها العطف بالواو، حيث تجلى العطف فيها على صورتين: عطف آية على آية أخرى، أي وصل الآية الثانية بالآية الأولى، والصورة الثانية: عطف بين جمل الآية الواحدة، الذي ظهر في كلتا الآيتين، فبالإضافة إلى صور الاتساق الأخرى الموجودة في هذا النص القرآني، ساهم العطف في إحكام الربط المنطقي بين أجزائه.

كما أن العطف بالواو يحقق الجمع بين جمل النص الواحد، لتظهر على أنها بناء واحد موحد، لا يمكن الاستغناء عنها فيه، وإلا ظهر مفكك الأجزاء، غامض الدلالة، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ ﴿٥٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٥٧﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمان: 5/7]، فسر "الزمخشري" هذه الآيات بذكر سبب الوصل بينها بقوله: "فإن قلت: أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما بعاطف؟ قلت: إن الشمس والقمر سماويان، والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل، وأن السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين، وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله، فهو مناسب لسجود النجم والشجر."<sup>(2)</sup>

ويظهر العطف بالواو أيضا في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٥﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج1، 156/155.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج6، ص 6.

لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿[الأنفال:13/14]﴾، قال الزمخشري: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾: عطف على (ذلكم) في وجهيه، أو نصب على أن الواو بمعنى: مع، والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهر موضع الضمير<sup>(1)</sup>؛ من هذا نجد أنّ الاتساق ظهر في الآيتين السابقتين بعدة أدوات، منها الإحالة باسم الإشارة في (ذلك، ذلكم)، والإحالة بالضمير في (بأنهم، شاقوا، رسوله، فذوقوه)، والإحالة باسم الموصول في (من)، أما أداة الوصل فظهرت كوسيلة رابطة بين جمل الآيتين القرآنتين، فالعطف بالواو أحكم الجمع بين مختلف تراكيب النص القرآني، ليظهر الاتساق النصي في أكمل صورته، وأرقى مظاهره.

كما يظهر العطف بالواو - على سبيل التمثيل لا الحصر- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[الفرقان:32]، ورد الوصل الإضافي في هذه الآية في صورتين:

1- ربط الآية بما سبقها من آيات قرآنية ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وصل لأنه قيل من أقوالهم، فعطف على ما تقدم من مثله<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ج2، ص 563/564.

<sup>2</sup>- عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس (مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير)، تح: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، ط1، الجزائر: 1430هـ/2009م، مج2، ص 53.

2- ربط بين جمل الآية "﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ﴾: الأصل: أنزلناه كذلك، فأوجز بحذف المتعلق لوجود ما يدل عليه في اعتراضهم، وفصل لأنه جواب عن اعتراضهم. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾<sup>(1)</sup>: وصل لأنه معطوف على (أنزلناه) المحذوف.<sup>(2)</sup>

المتأمل للآية السابقة يدرك أن الترابط الحاصل بين أطرافها، والاتساق بين عناصرها، كان نتيجة تضافر مجموعة من الأدوات، من بينها الوصل في بدايتها وفي آخرها، فالرابط الأول أحكم اتصالها بالآيات السابقة لها، والرابط الثاني جمع أول الآية بآخرها.

يتحقق الوصل الإضافي بحرف العطف "و" - سابق الذكر - كما يتحقق بالعاطف "أو" (يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأدوات "و" و"أو")<sup>(3)</sup>، وهذان الحرفان يتفقان في وظيفتهما، وهي الربط، ويختلفان في طريقة الربط في ذاته، ف"أو" معناها "أن تكون لأحد الشئيين، أين كانت وكيف تصرفت فهي عندنا على ذلك، وإن كان بعضهم قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال، حتى دعاها إلى نقلها عن أصل بابها."<sup>(4)</sup> فمعنى هذا أن بعض النحاة كانوا ينسبون لـ "أو" دلالات يفهمونها من خلال قرائن السياق مقالا ومقاما.

ومن منظور "ابن جني" - أيضا - أن "معنى "أو" الشك تقول: قام زيد أو عمرو، وتكون تخييرا تقول: اضرب زيدا أو عمرا؛ أي: أحدهما، وتكون إباحة، تقول: جالس الحسين أو ابن سيرين؛ أي: قد أبحاثك مجالسة هذا الضرب من الناس، وأين وقعت "أو" فهي لأحد

<sup>1</sup> - ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾ معطوف على الفعل الذي تعلق به، كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه. ومعنى ترتيله: أن قدره آية بعد آية، ووقفه عقبه ووقفه. ويجوز أن يكون المعنى: وأمرنا بترتيل قراءته. (ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 348).

<sup>2</sup> - عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، ص 53.

<sup>3</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 23.

<sup>4</sup> - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، ص 457.

الشَّيئين<sup>(1)</sup>؛ أي إن معنى "أو" في الكلام يفهم من السياق اللغوي الواردة فيه، فتارة تفيد الشك، فالأمر محتمل في ضربين، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:147]، أي قد بلغت عدتهم إلى أن يقول حازرهم حين يحزرهم مائة ألف أو يزيدون، وقول من قال إن أو تأتي بمعنى الواو، فليس بشيء إنما تأتي ليكون الإبهام على المخاطب<sup>(2)</sup>، بمعنى أنها تقع ليكون المخاطب في شك وحيرة، هل يختار الأول أم الثاني، "﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾" في مرأى الناظر؛ أي: إذا رآها الرائي، قال: هي مائة ألف أو أكثر، والغرض: الوصف بالكثرة<sup>(3)</sup>، وهذا ما يثبت أن الناظر أو المخاطب يقع في الشك والإبهام وعدم قدرته على إحصاء العدد الثابت، واختيار الطرف المتأكد منه يقينا.

وتارة تفيد التخيير بين هذا أو ذاك، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:112]، والتقدير: من يكسب أحد هذين ثم يرم به بريئاً<sup>(4)</sup>، أي التخيير بين أمرين حكمهما واحد وهو البهتان، كما جاء على لسان "الزمخشري" في تفسير هذه الآية: "﴿خَطِيئَةً﴾: صغيرة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو كبيرة، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾: كما رمى طعمة زيدا، ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا﴾: لأنه بكسب الإثم (آثم) وبرمي البريء (باهت) فهو جامع بين الأمرين<sup>(5)</sup>. وتارة أخرى

<sup>1</sup> - ابن جني، اللمع في العربية، ص 92.

<sup>2</sup> - ينظر: أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، تح: إبراهيم بن محمد أبو عبادة، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، دط، المملكة العربية السعودية: 1411هـ/1990م، ج1، ص 578.

<sup>3</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج5، ص 231.

<sup>4</sup> - ينظر: أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، ج1، ص 578.

<sup>5</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 147.

تفيد الإباحة، فالفعل مشروع بوجهيه، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: 135]، ولم يقل (الله) أولى به على ما يقتضيه أصل "أو" من أنه لأحدهما، ومن هذا ما أنشد أبو ذئيب الهذلي<sup>(1)</sup>:

وَكَانَ سَيِّانٍ أَلَّا يَسْرَحُوا نَعْمًا      أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا وَاعْبَرَتِ السُّوْحُ

فجاءت الآية لإباحة الجهاد للفقير والغني، وذلك بتسويته بين درجتيهما، "أي: بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما، ولولا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها... فإن قلت: لم تثنى الضمير في ﴿أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ وكان حقه أن يوحد لأن قوله ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا﴾ في معنى إن يكن أحد هذين؟ قلت: قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا﴾ لا إلى المذكور، فلذلك تثنى ولم يفرد، وهو جنس الغني وجنس الفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير، أي: بالأغنياء والفقراء."<sup>(2)</sup>

من خلال ما سبق ندرك أن أداة العطف "أو" بمعناها النحوي، تعتبر من وسائل الوصل، الذي يساهم في شد أطراف النص، وإحكام الربط بين عناصره، فاختلاف حالاتها في تحديد المعنى من خلال السياق اللغوي والتركييب اللفظي، يمد النص تماسكا وتلاحما منطقيًا لا يمكن أن يظهر بالشكل نفسه في وسيلة وصل أخرى.

ويتحقق الوصل الإضافي بالفاء، التي تعتبر من حروف العطف؛ فهي "تفيد الترتيب والتعقيب بلا مهلة"<sup>(3)</sup>، فوقع الثاني بعد الأول لا يكون إلا وفق ترتيب ثابت، لا يمكن أن يتقدم عليه، لأنه يليه من حيث الزمن، وبهذا فالثاني تابع للأول متعلق به، إذا

<sup>1</sup> - ينظر: أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، ج1، ص 578.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 162.

<sup>3</sup> - أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 173.

فالفاء "تجئ لتقدم الأول واتصال الثاني فيه"<sup>(1)</sup>، ومن أحكام الفاء العاطفة أنها لا تنفصل عن معطوفها بفواصل اختياراً، فلا بد من اتصالهما اتصالاً مباشراً، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا<sup>ط</sup> وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:57]، فالفاء في هذه الآية أفادت التعقيب في قوله: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾؛ أي إن الإعراض جاء بعد التذكير، ولا فاصل يفصل بينهما، ومثال ذلك - أيضاً - قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٦٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً<sup>ط</sup> قَالُوا لَا تَخَفْ<sup>ط</sup> وَنَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجَهَّهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:26/29]، من خلال هذه الآيات القرآنية يمكننا تتبع الفاءات العاطفة وما أفادته من معانٍ من خلال سياق النص القرآني، فمن ذلك نجد أنها قد أفادت الترتيب والتعقيب في كل موضع وردت فيه، وبذلك تكون قد حققت الاتساق بين جمل هذا النص، وربطت بين أجزائه ربطاً خطياً دلالياً.

ومن الأدوات التي تحقق الوصل الإضافي "ثم"، التي تفيد "الترتيب والمهلة أو التراخي؛ أي: أن الحكم يكون للمعطوف عليه أولاً، ثم يكون للمعطوف على وجود فترة غير وجيزة؛ مثل: حضر زيد ثم عمرو، فأفادت "ثم" هنا حضور زيد أولاً، وحضور عمرو بعده بفترة؛ أي: مع شيء من التراخي"<sup>(2)</sup>، ف"ثم" تشبه الفاء في ترتيبها لعناصر الكلام، وإيرادها وفق سلم منطقي يحكمه التوالي في ذكر الجمل، وتتفرد "ثم" بميزة التراخي؛ أي

<sup>1</sup> - أبو بكر محمد بن السري البغدادي بن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الأعظمي، (دط)، بغداد، 1973م، ج2، ص 56.

<sup>2</sup> - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المسيرة، ط3، عمان، الأردن، 1431هـ/2010م، ص 397.



إن الجملة الأولى متباعدة في زمنها عن الثانية، ويمكن التمثيل لهذا من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:28]، فسر "الزمخشري" هذه الآية بقوله: "فإن قلت: لم كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بثم؟ قلت: لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء، والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت - إن أريد به النشور - تراخيا ظاهرا، وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء - أيضا - متراخ عن النشور؛ حيث إن الوصل بـ "ثم" - التي أفادت التراخي - في الآية السابقة، اختلف اختلافا ظاهرا عن الوصل بالفاء، التي وردت للدلالة على الترتيب بغير تراخ، وبذلك فثم ساهمت في اتساق النص وتلاحم أجزائه، من خلال تحقيقها لخاصيتي الترتيب والتراخي.

وقد تفيد "ثم" الاستبعاد؛ أي استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وقد يعبر عن هذه العلاقة بالتفاوت، أي بتفاوت مرتبة ما بعدها عما قبلها<sup>(1)</sup>، ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَيْرِكُمْ ثُمَّ أَقَرَّرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة:84/85]، ورد على فريقا منكم من ديرهم تظهِرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿ [البقرة:84/85]، ورد على لسان "الزمخشري" في تفسير هاتين الآيتين: "﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْلَاءٌ﴾ استبعاد لما أسند إليهم، من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم، والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون، يعني أنكم قوم آخرون"<sup>(2)</sup>، فالاستبعاد يعني ارتباطا بين الجملتين

<sup>1</sup> ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 176.

<sup>2</sup> -الزمخشري، الكشف، ج1، ص 291/292.

المتتاليتين في لفظهما، وترتيباً لفظياً منطقياً لعناصرهما، وبعداً بينهما في المضمون والدلالة.

ويتحقق الوصل الإضافي - أيضاً - بواسطة "علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل... وعلاقة الشرح التي تتم بتعابير مثل: أعني، بتعبير آخر... وعلاقة التمثيل، المتجسدة في تعابير من مثل: مثلاً، نحو..."<sup>(1)</sup>؛ حيث يمكن أن يتحقق الوصل الإضافي وفق التماثل الدلالي بأدوات من شاكلة "كما" التي تظهر التوافق الدلالي بين جملتين مستقلة كل واحدة منهما في معناها عن الأخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامِنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ۗ فَأَلَّهٗ خَيْرٌ حَافِظًا ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف:64]، ورد في تفسير "الزمخشري" قوله: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يريد: أنكم قلتم في يوسف، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: كما تقولون في أخيه، ثم خنتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك"<sup>(2)</sup>؛ أي تأمين يعقوب على بنيامين مع إخوته مثل تأمينهم على يوسف باستخدام أداة التشبيه "كما".

ويتحقق الوصل الإضافي في علاقة الشرح أو التفسير أو التوضيح، وهي علاقة دلالية تربط بين الجملتين المفسرة والمفسرة، حيث توضح الجملة اللاحقة الجملة السابقة، ويعبر عنها باستعمال أدوات معينة مثل "أي" و"أن"، ومن الأمثلة التي يمكن أن يستشهد بها من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْدْنَاكَ أَوْلُوا أَلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:86]، فإن

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 23.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 303.

"أن" مفسرة لما في الإنزال من معنى القول والوحي<sup>(1)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:68]؛ نجد أن "الزمخشري" في سياق تفسيره للآية يشير إلى وظيفة "أن" بقوله: "وقرأ يحيى بن وثاب (إلى النحل): بفتحيتين، وهو مذكر كالنحل، وتأتيه على المعنى: ﴿أَنْ اتَّخِذِي﴾ هي: أن المفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول"<sup>(2)</sup>، فعلاقة التفسير الظاهرة في الآيتين السابقتين حققت الوصل الإضافي، الذي يبرز دوره في تحقيق التماسك والترابط بين أجزاء النص، وغيابه يعني التفكك والانقسام بين جمل وعبارات البناء اللغوي الواحد.

**ب - الوصل العكسي:** وهو النوع الثاني من أنواع الوصل، وهو "الذي يعني عكس ما هو متوقع"<sup>(3)</sup>؛ أي يأتي بجملة تالية لجملة أخرى مرتبطة بها بأداة معينة، لكن هذا الربط لا يشبه النوع السابق؛ حيث إن الربط في الوصل العكسي يتم بإيراد جملة مختلفة في معناها عن الجملة السابقة، أو بمعنى آخر تعني عكس الجملة الأولى، ومن الأدوات التي تحقق الوصل العكسي في اللغة العربية: "بل" و"لكن"، أما الأداة "بل" التي تعني "الإضراب عن الأول، والإثبات للثاني؛ تقول: قام زيد بل عمرو"<sup>(4)</sup>، فكأنك باستعمالك لهذه الأداة تنفي وقوع الأول (السابق لها موضعاً)، وتثبت وقوع الثاني (التالي لها موضعاً)، لكن اختلف النحاة العرب في كون الأول (قيام زيد) منفيًا أو مثبتًا، "فجماعة يقولون بنفيه، وجماعة لا يقولون فيه بشيء، ويقولون بل لترك قصة إلى قصة أخرى كقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 188.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 450.

<sup>3</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 23.

<sup>4</sup> - أبو الفتح عثمان بن جني، اللّمع في العربية، ص 93.

[الكهف:48]، (بل) ها هنا ترك القصة الأولى وأخذ في الثانية، ومثل قوله تعالى: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا<sup>ط</sup> بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:66]، وصفهم بالكل من هذه الخصال على سبيل ترك الأولى إلى الثانية، وترك الثانية إلى الثالثة.<sup>(1)</sup>

وقد تحقق "بل" علاقة دلالية أخرى، وهي الإضراب، ويقصد به إما إبطال حكم سابق أو الانتقال إلى غرض آخر<sup>(2)</sup>، ومعنى الإضراب ترك شيء سابق في الكلام والأخذ بشيء آخر يليه، وسيبويه وضح ذلك في قوله: "أما (بَلْ) فَلِتَرْكِ شَيْءٍ مِنْ الْكَلَامِ وَأَخْذٍ فِي غَيْرِهِ. قَالَ الشَّاعِرُ حَيْثُ تَرَكَ أَوَّلَ الْحَدِيثِ، وَهُوَ أَبُو ذُوَيْبٍ:

بَلْ هَلْ أَرِيكَ حُمُولَ الْحَيِّ غَادِيَةً      كَالنَّخْلِ زَيْتَهَا يَنْعُ وَأَفْضَاخُ

أينع: أدرك. وأفضح: حين تدخله الحمرة والصفرة، يعني البسر.<sup>(3)</sup>

ومما سبق يمكن تقسيم الإضراب إلى نوعين: إضراب إبطالي؛ وهو نفي حكم سابق في الكلام قبل "بل"، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ<sup>ط</sup> وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمَ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ [الأنبياء:5/4]، يقول "الزمخشري" في معرض تفسيره للآيتين السابقتين: "أضربوا عن قولهم سحر إلى أنه تخاليط أحلام، ثم إلى أنه كلام مفترى من

<sup>1</sup> - أبو الحسن علي بن علي الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، ج1، ص 581/580.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 177.

<sup>3</sup> - سيبويه، الكتاب، ج4، ص 223.

عنده، ثم إلى أنه قول شاعر، وهكذا الباطل لجلج، والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد.<sup>(1)</sup>

ويظهر الإضراب الإبطلائي أيضا في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ<sup>ج</sup> بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:26]، فالجملة الأولى في الآية الكريمة السابقة لـ "بل" ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ نفتها الجملة التي جاءت بعد "بل" ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وأبطلت حكمها.

أما القسم الثاني فهو الإضراب الانتقالي؛ ويقصد به الترك والانتقال من غير إبطال، وهذا ما قال به "ابن مالك" (ت 672هـ) في شرح الكافية، فإذا كان الواقع بعدها جملة فهي للتنبية على انتهاء غرض واستئناف غيره<sup>(2)</sup>؛ أي الإضراب الانتقالي لا يُنفى فيه الشيء السابق بل يُنتقل به إلى شيء آخر يليه، ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق:2/1]، ففي قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: تبدأ الجملة بأداة دالة على الإضراب، والإضراب هنا يفيد الانتقال؛ حيث إن "العكبري" (ت 616هـ) قال في "بل" أنها تقيد الخروج من قصة إلى قصة، وهذا الإضراب لا يعني انقطاع النص، بل هو لليقظة والاهتمام على بدأ حديث كأنه جديد عن عجبهم واستنكارهم لما جاءهم به رسولهم في القرآن المجيد من أمر البعث والخروج.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 129.

<sup>2</sup> - ينظر: الحسين بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، لبنان: 1413هـ/1992م، ص 236/235.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 179.

إن الأداة "بل" أداة تعمل على تحقيق الوصل العكسي في الكلام، سواء أفادت الإضراب الإبطلائي أو الإضراب الانتقالي، فأيرادها في بناء لغوي ما لتحقيق الترابط بين جملة سابقة وجملة تالية لها، وهذا الترابط والتلاحم بين الجملتين لا يتحقق على مستوى البناء اللفظي فقط، وإنما يتحقق على المستوى الدلالي أيضا، فالجملة التالية لـ "بل" إما أن تكون مرتبطة دلاليا مع الجملة السابقة وفق علاقة النفي المحققة بالأداة "بل"، وإما أن يكون الرابط الدلالي بين الجملتين هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر.

ومن الأدوات اللفظية التي تحقق الوصل العكسي "أم" المنقطعة التي تشبه الأداة "بل" في كونها تفيد الإضراب، ويظهر الإضراب من تسميتها (منقطعة)، والانقطاع هو "الإضراب عن كلام سابق واستئناف كلام جديد"<sup>(1)</sup> ويمكن التمثيل لـ "أم" من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل:20]، فالنبي سليمان - عليه السلام - "نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره، فقال: ﴿مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لستار ستره أو غير ذلك، ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له. ونحوه قولهم: إنها لإبل أم شاء"<sup>(2)</sup>، إن "أم" في النص تحقق ذلك الترابط المحكم بين جملتين، إحداهما سابقة والأخرى لاحقة لها، وهذا الترابط الحاصل بين الجملتين يظهرهما على أنهما بناء واحد موحد، رغم أن معنى الأولى منقطع عن معنى الثانية.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 181.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 445.

ويتحقق الوصل العكسي - أيضا - بالأداة "لكن" التي تفيد الاستدراك<sup>(1)</sup>، وهو "يعني تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه، أو رفع ما يتوهم من الكلام السابق رفعا تشبيها بالاستثناء، ومن ثم قدر الاستثناء المنقطع بـ (لكن)"<sup>(2)</sup>، فالأداة "لكن" توضع بين شيئين متنافيين متضادين في دلالتها، وبذلك يربط الشيء بعكسه، وتتم الصلة بين الجملتين، ويتحقق المعنى الذي لا يتحقق إلا بهذه الأداة، وقد وردت "لكن" في عدة مواضع في القرآن الكريم نختار منها قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِدًا﴾ [النساء: 165/166]، فالرابطة اللفظية التي حققت الوصل العكسي في هذه الآية هي الأداة لكن، التي عبرت عن العلاقة الدلالية المتمثلة في الاستدراك، وقد فسر "الزمخشري" معناها في الآية السابقة بقوله: "فإن قلت: الاستدراك لا بد له من مستدرك، فما هو في قوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب بإنزال الكتاب من السماء وتغننوا بذلك واحتج عليهم بقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال: (لكن الله يشهد)، بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد"<sup>(3)</sup>، فالملاحظ للآيتين السابقتين، وتفسير "الزمخشري" يدرك أن "لكن" وردت لتحقيق نفي الشهادة عن أهل الكتاب وثبوتها في الجملة التي بعدها (الله يشهد)، وبذلك تحقق ربط السابق باللاحق، وظهر الاتساق بوسيلة من وسائله، في صورة مثالية جامعة لأمرين متضادين.

<sup>1</sup> - يأتي النظر إلى الاستدراك في ضوء التعارض، ولكنه أضعف من التخيير في هذا الصدد، وذلك أن الموقفين أو الحديثين أو أي أمرين آخرين يعدان في ذواتهما غير قابلين أن يجتمع أحدهما بالآخر ولكنهما مع ذلك يوجدان في عالم نص واحد. (ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 329).

<sup>2</sup> - أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 182.

<sup>3</sup> - الزمخشري، الكشف، ج2، ص 180.

ج - الوصل السببي: هو النوع الثالث من أنواع الوصل، وهو الذي "يمكّننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر... وتندرج ضمنه علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط"، وهذه العلاقات المنطقية تولد بين الجملتين تلاحما واتصالا بغير الأدوات اللفظية، فمثلا النتيجة - المضمّنة في الجملة الثانية - لا تكون إلا بوجود السبب - المضمّن في الجملة الأولى - فهما وجهان لا يتم الوصل السببي إلا بهما، وما سمي سببيا إلا لهذه العلة.

والنتيجة أو الترتّب علاقة دلالية رابطة بين الجمل يمكن التمثيل لها من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:89]، فالجملة في قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ نتيجة لما قبلها مترتبة عليها، كما تظهر النتيجة - أيضا- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ فوقلهم الله شر ذلك اليوم ولقنهم نضرة وسرورا [الإنسان:11/10]، فالفاء في قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ﴾ سببية، أي: فبسبب خوفهم وقاهم الله: أي دفع عنهم شر ذلك اليوم.<sup>(1)</sup>

إذا العلاقة الموجودة بين الجملتين المترابطتين في الوصل السببي (السبب والنتيجة)، هي علاقة النتيجة بسببها؛ حيث إن المتأمل للآيتين السابقتين يدرك أن الجملة الأولى ترتبط بالجملة الثانية ارتباطا دلاليا منطقيا، استغني فيه عن الرباط اللفظي الخطي لوجود علاقة اتصال أقوى في ربطها منه.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 186.



كما يتم الوصل السببي عن طريق علاقة الشرط، إما بأدوات الشرط اللفظية<sup>(1)</sup>، وهي الكلمات التي تستعمل في الشرط إما حروف أو أسماء منها: (إن، إذما، لو)<sup>(2)</sup>، والشرط هو عبارة عن "أسلوب لغوي، يبنى على جزأين، الأول: منزل منزلة السبب، والثاني: منزل منزلة المسبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول"<sup>(3)</sup>، إذا فجملة الشرط تتكون من عبارتين تتصل الثانية بالأولى اتصالاً تاماً، لا يمكن الفصل بينهما وإلا اختل المعنى وفسد، حيث تسمى الأولى شرطاً، وتسمى الثانية جواباً. وأمثلة أسلوب الشرط في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة نكتفي في هذا المقام بإيراد مثال واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة:23]، فسر "الزمخشري" هذه الآية بقوله: "ف قيل: إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدرّج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجماً فرداً من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات، وهذه غاية التبكيت، ومنتهى إزاحة العلل"<sup>(4)</sup>، فأداة الشرط التي جاءت في مطلع الآية هي التي جعلت أسلوبها شرطياً يقتضي وجود الشرط والجواب والرابط المتمثل في الفاء التي ربطت الشرط بجوابه، وبهذا ظهر التلاحم والاتصال بين الجملتين المتتاليتين.

وقد تُضمن علاقة الشرط في الكلام دون حاجة إلى أدوات لفظية تدل عليها؛ حيث إنها تقوم بين عنصرين في السياق النصي تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط

<sup>1</sup> - حروف الشرط تقتضي جملتين إحداهما مترتبة على الأخرى. (ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف وأحمد مختار عمر ومصطفى النحاس زهران، النحو الأساسي، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة: 1417هـ/1997م، ص 223).

<sup>2</sup> - ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، ط2، الإسكندرية: 1420هـ/2000م، ص 71.

<sup>3</sup> - مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان: 1406هـ/1986م، ص 284.

<sup>4</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 218.

للعنصر الأول وإن خلا العنصر الثاني من العلامات اللفظية الدالة على هذه العلاقة<sup>(1)</sup>؛ أي إن الجملة الثانية مرتبطة بالجملة السابقة لها ارتباطاً دلالياً غير لفظي، وهذه العلاقة الرابطة تجعل بين الجملتين تلازماً يشبه في ذلك العلاقة الموجودة بين الشرط وجوابه، ومن الأمثلة الدالة على هذه العلاقة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:153]. أي: إن استكبرت ما سألوه منك يا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد سألو موسى أكبر من ذلك.

وتظهر هذه العلاقة - أيضاً - في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:219]. أي: إذا سألوك يا محمد عن الخمر والميسر فقل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما.<sup>(2)</sup>

من خلال ما سبق يمكن القول أن الوصل السببي يُتوسل لتحقيقه بوسائل لفظية خطية، أو يتحقق بعلاقات دلالية تربط بين الجمل ربطاً بيانياً دون الحاجة إلى ألفاظ خاصة في ذلك.

د - الوصل الزمني: هو آخر نوع من أنواع الوصل، وهو عبارة عن "علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً"، حيث يتم الربط بين الجملتين المتتاليتين برابط لفظي زمني، وهذا الرابط يحدد الزمن الذي تدرج فيه المتتالية الجمالية، ويمكن القول - أيضاً -

<sup>1</sup> - تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة: 1428هـ/2007م، ص 311.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 251.

إن علاقة العليّة والزمانية مهمتان في الترابط النصي، فهي علاقة سببية وعلاقة زمنية من ناحية أخرى، وكثرة التلاحمات الدالة على العليّة والزمانية تظهر أهمية هاتين العلاقتين لتنظيم النص.<sup>(1)</sup> ويتم هذا الوصل باستعمال أدوات خاصة من مثل: حين، وقت، ساعة، يوم... إلخ.

ومن أمثلة الوصل الزمني في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة:101]، في الآية الكريمة ربط اللفظ "حين" الجملة السابقة بالجملة التالية له، ووضعها في إطار زمني معين، فالجملة الأولى لا يتم معناها الدلالي إلا باقترانها بالجملة الثانية، ويظهر الوصل الزمني - أيضا - في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل:06]، حيث يظهر الترابط النصي في هذه الآية في مظهرين: الأول يكمن في اللفظ "حين" الذي حقق الوصل الزمني بين جملة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ وجملة ﴿تُرْتَحُونَ﴾، والمظهر الثاني يكمن في تكرار لفظ "حين" الذي عاد على النص بشد لأطرافه وتأكيد لدلالته ومعاني جملة. كما يظهر الوصل الزمني بلفظ آخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَقَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا أَسْتَرْلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:155]، حيث ربط لفظ "يوم" بين جملة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ وجملة ﴿آتَقَى الْجَمْعَانَ﴾ ربطا لفظيا زمانيا. والأمر نفسه يظهر أيضا في قوله

<sup>1</sup> - ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 350.

تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 03]؛ حيث إن اللفظ "يوم" وضع النص في إطاره الزمني المحدد، وربط جملة ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ بما يليها ربطا زمنيا خطيا.

يتبين لنا مما سبق أن الوصل باختلاف أنواعه يعتبر وسيلة مهمة من وسائل الاتساق النصي؛ حيث إن جمل النص الواحد تجمع بواسطة نوع من أنواع الوصل، فلا يمكن أن تجد نصا يخلو منه؛ إذ إن النصوص وإن اختلفت أنواعها وأغراضها ودلالاتها، إلا أنها تشترك في بعض آليات تماسكها، والنص الواحد تجد فيه تباينا في أنساق جملة وأشكال تراكيبه، وهذا التباين يستدعي تنوعا في آليات التماسك والترابط المُعتمَد عليها، فتارة يكون المنتج في حاجة إلى الوصل والعطف والإضافة، وتارة أخرى يكون في حاجة إلى الوصل بالاستدراك أو بالإضراب أو بالانقطاع أو بغيرها من الآليات اللفظية وغير اللفظية.

### 2-5- الاتساق المعجمي (Cohésion Lexicale):

يعد الاتساق المعجمي آخر وسيلة من وسائل الاتساق إلا أنه مختلف عن الوسائل السابقة "إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترض والعنصر المفترض كما هو الأمر سابقا، ولا عن وسيلة شكلية نحوية للربط بين عناصر النص"<sup>(1)</sup> الواحد، أو البناء اللغوي الذي يقتضي تنوعا لفظيا وداليا لإحكام ترابط عناصره وأجزائه بعضها ببعض، فيختار المؤلف (الكاتب أو الملقى) من جملة المظاهر ما يراه مناسبا لنصه أو خطابه، والاتساق المعجمي يظهر في مظهرين متباينين، وهما: التكرار والتضام.

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 24.

### 2-5-1- التكرار (Reiteration):

يعدّ التكرار من بين أهم الأبواب التي طرقها وبحث فيها العرب قديما وحديثا، وذلك لما له من أهمية في تحسين المباني وتبليغ المعاني؛ حيث إن من علماء العربية من درجه في علم البلاغة، وفسره كظاهرة بلاغية لها قواعدها ودلائلها، ومنهم من درجها في علم النحو، ففسرها تفسيراً نحويًا فيما يعرف بالتوكيد اللفظي، فهذا "ابن الأثير" (ت 630هـ) يعرف التكرار في "المثل السائر" على أنه " دلالة اللفظ على المعنى مرددا"<sup>(1)</sup>، وذلك "أبو هلال العسكري" (ت 395هـ) يحاول التفريق بين التكرار والإعادة تفريقاً علمياً منطقيًا بقوله: الفرق بين الإعادة والتكرار، أن التكرار يقع على إعادة الشيء مرة وعلى إعادته مرات، والإعادة للمرة الواحدة، ألا ترى أن قول القائل أعاد فلان كذا، لا يفيد إلا إعادته مرة واحدة، وإذا قال كرر هذا، كان كلامه مبهما لم يدر أعاده مرتين أم مرات، وأيضا فإنه يقال أعاده مرات ولا يقال كرره مرات، إلا أن يقول ذلك عامي لا يعرف الكلام"<sup>(2)</sup>، والتكرار من خلال هذا الطرح أعم من الإعادة التي تحدد عدد المرات التي ظهر فيها الكلام باللفظ نفسه، أما عن فائدة التكرار في الكلام، فهو يوضح ويؤكد ويربط بين عناصر الكلام، أما التوضيح والتأكيد فيكمنان في تفسير وتبيان وتأکید صور المعلومات الظاهرة في البناء اللغوي، أما الربط فيحدث باتصال صور المعنى الواحد بألفاظه المختلفة وذلك حسب ما يقتضيه السياق.

أما التكرار في لسانيات النص الحديثة فيعد مظهرا من مظاهر الاتساق المعجمي وهو يساهم في ربط السابق باللاحق، وإحكام ربطهما ربطا لفظيا معجميا، والتكرار

<sup>1</sup> - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تع: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، دط، القاهرة، دت، ج3، ص03.

<sup>2</sup> - أبو هلال الحسن بن عبد الله سهيل العسكري، الفروق اللغوية، تع: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان: 2003م، ص 51.

"يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما"<sup>(1)</sup> فالوحدة المعجمية المكررة تشكل إعادة للفظ سابق إما بعينه؛ أي بلفظه ومعناه، وإما بمرادفه الذي يختلف عنه في لفظه ويتفق معه في معناه، وإما بلفظ مطلق يمكن أن يدرج فيه اللفظ السابق بشكل عام، وإما بلفظ عام أو اسم عام يمكن أن يدرج في معناه العام اللفظ السابق.

والتكرار لا يكتفي بربط السابق باللاحق ربطا مباشرا، وإنما يورد أيضا ليؤكد الاقتران الدلالي بين الجملتين اللتين ورد فيهما اللفظان. وما لا يمكن إغفاله في هذا المقام أن بعض الدارسين يطلقون على التكرار تسمية "الإحالة التكرارية"<sup>(2)</sup>، حيث يعتبرونه ضربا من أضرب الإحالة، وذلك لوجود علاقة دلالية بين الوحدة المعجمية الأصلية الواردة في السابق، والوحدة المكررة عنها في اللاحق، لكن هذا الطرح يبقى وجهة نظر لا يمكن أن تعتبر أساسا في إيضاح مفهوم التكرار الذي يختلف اختلافا كبيرا عن الإحالة؛ حيث إنه يتميز بكونه يحقق الترابط - في الأساس - على مستوى ظاهر النص، وذلك بالاقتران التام أو غير التام بين وحدتين معجميتين، وهذا الاقتران هو الذي يوّد الاتساق والترابط بين عناصر النص الواحد، ويمكن التمثيل لذلك بالمثال الذي ساقه "هاليداي" و"رقية حسن" وهو: (اغسلي وانزعي نوى ست تفاحات، للطبخ ضعي التفاحات في صحن يقاوم النار)، فالترابط قد تم في هذا التركيب من خلال تكرار كلمة تفاحات.<sup>(3)</sup> ويظهر التكرار - أيضا - في المثال الذي ساقه "محمد خطابي" لتبيان دور التكرار في اتساق النص وتماسكه<sup>(4)</sup>:

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 24.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 106.

<sup>3</sup> - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 90.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 24.

I turned to the ascent of the peak { the ascent  
the climb  
the task  
the thing } is perfectly easy

شرعت في الصعود إلى القمة { الصعود  
التسلق  
العمل  
الشيء } سهل للغاية.

إن الملاحظ لهذا المثال يمكنه أن يدرك الحالات التي يتجسد فيها التكرار، فالحالة الأولى تكرر للفظ نفسه؛ أي تكرر اللفظ والمعنى واحد، أو يقصد به "تكرار الكلمة كما هي دون تغيير، أي تكرر تام أو محض"<sup>(1)</sup>، والحالة الثانية تكرر بلفظ مختلف عن السابق في بنائه ومتفق معه في معناه، أو ما يعرف بالترادف الذي "قد يتكرر أكثر من مرة في النص ولأكثر من كلمة، ومن ثم تتسع المساحة التي يحدث فيها سبكا"<sup>(2)</sup>، والحالة الثالثة تكرر بالاسم المطلق أو "الاسم الشامل أو المشترك، وهو عبارة عن اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدة أسماء، ومن ثم يكون شاملا لها، وذلك مثل الأسماء: الرجل، المرأة، الولد، الطفل، البنت، فهي أسماء يشملها جميعا الاسم (إنسان)"<sup>(3)</sup>، أما الحالة الرابعة فهي تكرر

<sup>1</sup> - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، مصر: 1998م، ص 79.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 82.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 83.

بالاسم العام أو الكلمات العامة التي فيها من العموم والشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في الاسم الشامل.<sup>(1)</sup>

إذا التكرار عنصر من العناصر التي تساهم في اتساق النص وترابط أجزائه، حيث لا يمكن أن يخلو أي نص من هذه الوسيلة اللفظية المعجمية، بل إن النصوص تتباين في نسبة اعتمادها على هذه الوسيلة، فلو تأملنا مثلا النص القرآني لوجدنا كثيرا من أنواع التكرار موزعة على جملة، حسب ما يقتضيه السياق اللغوي لهذا النص، وسنحاول في هذا المقام أن نسوق مجموعة من نماذج التكرار الواردة في نص القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمْ أَلْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ أَلْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ أَلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:116]، حيث تكرر في هذه الآية الكريمة لفظ "الكذب" ثلاث مرات، هذا ما أضفى على التركيب نوعا من الربط والاتصال والاتساق، وهذا النوع من التكرار يمثل الصنف الأول؛ أي التكرار التام أو المحض؛ فكثيرا ما يرد هذا النوع في النصوص عامة وفي النص القرآني خاصة، دون باقي الأنواع التي ذكرناها سابقا، ومن أمثلة ذلك - أيضا - قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه:10]، تكرر في هذه الآية لفظ "نار" الذي زاد من ترابط عناصرها ببعض، أما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ أَلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:78]، فقد تكرر لفظ "الكتاب" واسم

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص ن.



الجلالة "الله"؛ حيث إن هذين الاسمين ساهما في تشكيل الترابط النصي في الآية الكريمة، وهذا الترابط بدا ظاهرا بتكرار اللفظ دون حاجة إلى الإشارة إليه بضمير أو دال لفظي آخر يدل عليه.

### 2-5-2- التضام (Collocation):

هو قسيم التكرار في الاتساق المعجمي، ويقصد به "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"<sup>(1)</sup>، فهناك مجموعة من الألفاظ في اللغة تقع في مجال واحد يرتبط بعضها ببعض وفق علاقة دلالية مستتجة، وهذه الألفاظ رغم بعدها وتعارضها في بعض الأحيان في الدلالة إلا أنها ترد في سياق لغوي واحد، وبذلك تكثف الدلالة ويتضح المعنى، ويظهر الاتساق بين أجزاء النص الواردة فيه، وهذا ما أشار إليه "أحمد مختار عمر" بقوله: "هناك تطور هام للمفهوم العملي للمعنى تمثل في دراسة طرق الرصف أو النظم (collocation) وهو ما ركز عليه فيرث وأتباعه، وقد عرّف الرصف بأنه: الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة. أو: استعمال وحدتين منفصلتين استعمالهما عادة مرتبطين الواحدة بالأخرى."<sup>(2)</sup> وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن الكلمات التي تورد في مجال لغوي واحد (النص)، تورد أولا لعللة الاتصال الدلالي بينها، وثانيا لتحقيق الدلالة الجامعة المشترك فيها مجموع المتتاليات الجمالية، ولتوضيح هذه العلاقة نورد المثال الآتي<sup>(3)</sup>:

- Why does this boy wriggle all the time? Girls don't wriggle.

- ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوي.

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 25.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة، 1998م، ص 84.

<sup>3</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 25.

فكلمة (ولد) يختلف مرجعها عن مرجع كلمة (البنات)، ومن ثم ليس بينهما علاقة تكرر، ورغم ذلك فإن الجملتين تظهران في شكل متسق ومتماسك، والفاعل في هذا التماسك هو تلك العلاقة المعجمية الظاهرة بين اللفظتين.<sup>(1)</sup>

وحسب ما ذهب إليه "هاليداي" و"رقية حسن" فإن العلاقة التي تحكم أزواج الكلمات الواردة في نص ما (التضام)، هي علاقة التعارض، مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: (ولد - بنت)، (جلس - وقف)، (أحب - كره)، (الشمال - الجنوب)... الخ<sup>(2)</sup>، فهذه العلاقة النسقية التي تحكم أزواج الكلمات المتضادة في معناها، تساهم في اتساق النص وتلاحم جملة، وتكسب بناءه اتصالا سطحيا بين ألفاظه، واتصالا دلاليا بين معانيه، وتظهر هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:17]، حيث ورد في هذا النص القرآني تعارض بين الفعل "يهد" والفعل "يضلل"، فهما فعلا متضادان في معنييهما، إلا أنهما أضفيا على النص تماسكا واتساقا، فالتضاد اللفظي أدى إلى التضام الدلالي، والتضام حقق الاتساق المعجمي.

والتضام يتحقق أيضا وفق علاقة التلازم، التي تحدث عنها "فيرث"، حيث زعم أننا نعرف الكلمة بالمجموعة التي تلازمها وضرب مثلا بكلمة (شخص أبله ass) التي تقع مع مجموعة محددة من الصفات مثل: (أحمق silly، عنيد obstinate، غبي stupid، مرعب awful)، لكن بالنسبة لفيرث، فإن التزام الصحبة الذي يسميه (بالتضام) كان جزءا من معنى الكلمة حسب وكما رأينا، فإن المعنى يوجد أيضا في سياق الحال

<sup>1</sup> - ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، ص 108.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 25.

وفي مستويات التحليل الأخرى كلها<sup>(1)</sup>؛ فمعنى الكلمة يظهر ظهورا واضحا إذا وردت في سياق تدرج فيه كلمات مصاحبة لها، تساعد القارئ/ السامع على فهم المضمون واستنباط المعاني وربطها ربطا ذهنيا دلاليا.

وهناك علاقات أخرى تربط أزواج الكلمات المتواردة في النصوص، منها علاقة الجزء بالكل مثل: السيارة/الفرامل، الصندوق الغطاء، وعلاقة الجزء للجزء مثل: الفم/الذقن<sup>(2)</sup>، ويمكن التمثيل لعلاقة الجزء للكل من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنَّيَ أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي حُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف:36]، فالخبز الوارد في هذه الآية جزء من الطعام الوارد في الآية اللاحقة في قوله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف:37]؛ حيث إن اللفظين (الخبز - الطعام) حقا ترابطا بين الآيتين الكريمتين، وذلك بالعلاقة الدلالية التي ضمتها، وهي علاقة الجزء بالكل.

إن العلاقات التي تربط بين أزواج الكلمات المتواردة في النصوص كثيرة ومتنوعة، واختلافها راجع إلى السياق اللغوي الذي توضع فيه النصوص، "ولكن ربما يصعب تحديدها، وذلك مثل العلاقات الجامعة بين الأزواج: الضحك/النكتة، الحديقة/الحرث، المريض/الطبيب، المحاولة/النجاح، وغير ذلك. كما أن المصاحبة قد تنتسج لتشمل ما يتجاوز زوجا من الكلمات، وذلك مثل: شعر/أدب/القارئ/الكاتب/الأسلوب"<sup>(3)</sup>، وصعوبة تحديد العلاقة الرابطة بين هذه الأزواج تعود إلى طبيعة الحامل للنظام اللغوي

<sup>1</sup> - ف.ر.بالممر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، (دط)، الإسكندرية: 1995م، ص 145.

<sup>2</sup> - ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 107.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 108.

(القارئ/السامع)، ومدى تمكنه من استيعاب وفهم مختلف التراكيب المستعملة في نظام لغوي ما، ولكي يتجاوز القارئ/السامع هذه الصعوبة عليه أن يتصور "سياقا تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك، وهذا يعني أننا لا نتوفر على مقياس آلي صارم يجعلنا نعتبر هذه الكلمة أقرب إلى هذه المجموعة أو تلك، ومن ثم فكل ما نستطيع قوله هو أن هذه الكلمة أشد ارتباطا بهذه المجموعة من ارتباطها بمجموعة أخرى"<sup>(1)</sup>، ومن هذا يمكن القول أن توارد أزواج الكلمات في مختلف النصوص، أو توارد عدة كلمات تجمع بينها علاقة معينة يكون في أغلب الأحيان دون قصد من منتج النص؛ أي إن إيراد هذه الألفاظ يكون دون تكلف من المنتج، وإلا فإننا نقول أن مختلف وسائل الاتساق على غرار التّضام هي وسائل يتحكم المنتج في توظيفها والتكثيف من استعمال نوع والتقليل من استعمال نوع آخر، وهذا أمر غير منطقي بالنظر إلى أن منتج النص يطرح فكرة ما ويحاول أن يوسّعها انطلاقا من مجوع الأفكار التي يمكن أن تخدمها، دون أن يهمل الجانب التركيبي باعتباره حاملا لهذه الأفكار.

حاولنا في هذا الفصل أن نميط اللّثام عن المعيار النصي المتعلق بالجانب التركيبي للنص، كما حاولنا أن نحصر الدراسة في أهم الجوانب التي اتفق عليها علماء لسانيات النص، والتي يمكن أن تجتمع في كل نص يوصف بأنه متسق البنية، متلاحم التركيب، وابتعدنا كل البعد عن نقاط الخلاف بين العلماء الناتجة عن التوجه والانتماء إلى تيار معين، أو مدرسة لغوية فكرية معينة، وسنعمل في الفصل الوالي بالمنهجية نفسها محاولين تسليط الضوء على الظاهرة النصية المتعلقة بالجانب الدلالي أو المفهومي، وكيف تتأثر سلامة انسجامه بسلامة اتساق الجانب التركيبي؟

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 25.

# الفصل الثالث: الانسجام النصي

● مفهوم الانسجام

● آليات الانسجام

### تمهيد:

يعتبر الانسجام الوجه المقابل للاتساق؛ حيث إن أغلب علماء لسانيات النصّ شرحوا مفهومي هذين المصطلحين دون الفصل بينهما، فالاتساق يهتم بالبنية الظاهرية (الشكلية) للنصّ، والانسجام يهتم بدراسة المعنى ووصفه، كما يعد الاتساق خطوة أساسية لتحقيق الانسجام. وقد اعتبر علماء لسانيات النصّ أنّ الانسجام أعمق في دراسته والبحث في آلياته والوسائل المحققة له من الاتساق، كون الأول (الانسجام) لا يتحقق بآليات شكلية ظاهرية، بل يتحقق بوسائل متعلقة بالمعنى وكيفية ارتباط عناصره ببعضها ببعض، وهذا ما يجعل الباحث يغوص في موضوع النصّ فيبحث عن كيفية تأويل مختلف المعاني المبتوثة فيه، وهذا التأويل الخاضع لشروط معينة - التي سنفصل فيها لاحقا - يجب أن يربط بالسياق المناسب المتصل بالنصّ، ويربط أيضا بالمعرفة الخلفية التي تُفسر مختلف معاني النصّ انطلاقا منها. أما الثاني (الاتساق) فهو متصل بالبنية الخارجية للنصّ؛ حيث يمكن للباحث إحصاء وجرد أهم عناصره التي أظهرت البناء الشكلي في صورة موحدة، سواء تعلق الأمر بالإحالة أو الوصل أو الحذف...

يساهم الانسجام في تحقيق الترابط النصّي، فالإشكالية الرئيسية المطروحة في هذا الفصل من البحث هي: كيف يتحقق الانسجام النصّي؟ ويمكن أن تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات منها:

- ما مفهوم الانسجام؟

- فيم تتمثل الآليات المحققة للانسجام؟

- كيف يمكن إظهار هذه الآليات في مختلف النصوص؟

وسنحاول في هذا الفصل الإجابة عن هذه التساؤلات مستعينين بآراء علماء النصّ.

1- مفهوم الانسجام (Cohérence):

1-1- الانسجام لغة:

ورد في معاجم العرب أن مادة (س، ج، م) تحمل مجموعة من المعاني تختلف باختلاف استعمالاتها، منها ما ورد في لسان العرب: "سَجَمَتِ العَيْنُ الدَّمْعَ والسَّحَابَةَ المَاءَ تَسْجِمُهُ وَتَسْجُمُهُ سَجْمًا وَسُجُومًا وَسَجْمَانًا: وَهُوَ قَطْرَانُ الدَّمْعِ وَسَيْلَانُهُ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، وَكَذَلِكَ السَّاجِمُ مِنَ المَطَرِ، وَالعَرَبُ تَقُولُ دَمَعٌ سَاجِمٌ. وَدَمَعٌ مَسْجُومٌ: سَجَمَتَهُ العَيْنُ سَجْمًا، وَقَدْ أَسْجَمَهُ وَسَجَّمَهُ. وَالسَّجْمُ: الدَّمْعُ. وَأَعْيُنٌ سُجُومٌ: سَوَاجِمٌ... سَجَمَ العَيْنُ وَالدَّمْعُ المَاءَ يَسْجُمُ سُجُومًا وَسِجَامًا إِذَا سَالَ وَانْسَجَمَ."<sup>(1)</sup>

وجاء في القاموس المحيط: "سَجَمَ الدَّمْعُ سُجُومًا وَسِجَامًا ككِتَابٍ، وَسَجَمَتَهُ العَيْنُ، وَالسَّحَابَةُ المَاءَ تَسْجِمُهُ وَتَسْجُمُهُ سَجْمًا وَسُجُومًا وَسَجْمَانًا، قَطَرَ دَمْعُهَا وَسَالَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا."<sup>(2)</sup>

وورد أيضا في تاج العروس: "سَجَمَ الدَّمْعُ سُجُومًا كَقَعُودٍ، وَسِجَامًا ككِتَابٍ، وَسَجَمَتَهُ العَيْنُ، وَسَجَمَتِ السَّحَابَةُ المَاءَ، وَهَذَا مَجَازٌ (تَسْجِمُهُ وَتَسْجُمُهُ) مِنْ حَدِّي ضَرْبٍ وَنَصْرٍ (سَجْمًا وَسُجُومًا وَسَجْمَانًا: قَطَرَ دَمْعُهَا وَسَالَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، وَسَجَمَهُ هُوَ، وَأَسْجَمَهُ، وَسَجَّمَهُ تَسْجِمًا وَتَسْجَامًا): إِذَا صَبَّهُ... وَانْسَجَمَ المَاءُ وَالدَّمْعُ فَهُوَ مُنْسَجِمٌ: انْصَبَّ. وَانْسَجَمَ الكَلَامُ: انْتَضَمَ، وَهُوَ مَجَازٌ: وَأَسْجَمَتِ السَّحَابَةُ: دَامَ مَطَرُهَا كَأَنْجَمَتِ."<sup>(3)</sup>

فمن خلال هذا التتبع لمختلف المعاني المتعلقة بمادة (سَجَمَ) يتبين لنا أنها تتفق في القطران والصب والسيلان، والتي توحى بالتتابع والتتالي والانتظام وعدم الانقطاع، وإذا

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج12، مادة (س ج م)، ص 280.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (س ج م)، ص 1009.

<sup>3</sup> - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، مراجعة: أحمد مختار عمر وعبد اللطيف محمد الخطيب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط1، الكويت: 1421هـ/2000م، ج32، مادة (سجم)، ص 347/349.

حاولنا ربط هذه المعاني بما يوحيه الانسجام في المعنى نجد أنه توال وانتظام وعدم انقطاع وترتيب في المعاني المقابلة للألفاظ، وهذا ما سنحاول توضيحه في المعنى الاصطلاحي للانسجام.

### 1-2- الانسجام اصطلاحاً:

اختلف علماء النص في تحديد المصطلح المقابل للمصطلح الأجنبي (Cohérence)، فمنهم من قابله بمصطلح الانسجام، ومنهم من فضل الالتحام، وآخرون اختاروا مصطلح الحبك، ومنهم من اختار مصطلح التشاكل، لكن هذه الاختلافات في تحديد المصطلح لم تنعكس على تحديد مفهومه المتعلق بالبنية الدلالية للنص، فالانسجام هو ما اتصل "برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص، أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي، أي أن هذه الصفة متصلة بالمعنى وسلسلة المفاهيم والعلاقة الرابطة بينها".<sup>(1)</sup> والترابط المفهومي "يشتمل على العناصر المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات، منها علاقات منطقية كالسببية، ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث"<sup>(2)</sup>، ويشتمل الترابط المفهومي أيضاً على تنظيم الموضوعات والمواقف، والتماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، كما يتدعم الانسجام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.<sup>(3)</sup> حيث يظهر الانسجام النصي في ترابط الأفكار واتصالها في شكل موحد يقابل ترابط الجمل واتساقها، كما يظهر الانسجام في عدة مظاهر أخرى كالسياق الذي تُفسر أفكار النص في إطاره، حيث لا يمكن أن يدرك

<sup>1</sup> - أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 90.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند وولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، دار الكتاب، ط1، نابلس: 1413هـ/1992م، ص 11.

<sup>3</sup> - ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص 103.



مضمون النصّ إلا إذا ارتبط بسياق معين مناسب له، ويرتبط الانسجام أيضا طبيعة المعرفة الإنسانية أو التجربة الإنسانية، حيث يتحقق الترابط المفهومي باستحضار كل الخبرات المعرفية المتعلقة بموضوع النصّ، كما لا يمكن أن يتحقق الانسجام في غياب عنصر التأويل المتعلق بمتلقي النصّ، فهذا العنصر يتكفل بتفسير مقاصد المتكلم/الكاتب، والوصول إلى فهم المعنى الخفي الذي لا يظهر إلا بالاستعانة بعنصر التأويل.

### 2- آليات الانسجام:

لا يختلف الانسجام عن الاتساق في كون كليهما يعتمد على مجموعة من الأدوات المنطقية التي يتحقق من خلالها في مخلف النصوص، والتي لا يظهر ترابطها (التركيبية/الدالي) إلا إذا احتوت على هذه الأدوات، فالانسجام تحققه مجموعة من العناصر المتمثلة في: السياق، والتأويل، ومختلف العلاقات المنطقية كالسببية والعموم والخصوص.

### 2-1- السياق (Contexte):

يعتبر مصطلح السياق من المصطلحات العلمية التي حظيت باهتمام بالغ من طرف علماء اللغة القدامى والمحدثين، فلو بحثنا في التراث اللغوي العربي لوجدنا أنّ كبار علماء العربية (سيبويه، المبرد، ابن جني، الجرجاني...) قد أشاروا إلى السياق في مؤلفاتهم، إما إشارة مباشرة أو غير مباشرة في تحليل وتفسير مختلف الظواهر اللغوية، حيث إنهم "لاحظوا منذ القديم ظاهرة السياق من خلال مقولاتهم الدقيقة أنّ: لكلّ مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبها مقام؛ فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة السياق وربطها بالصياغة، أو بمعنى أصح ربط الصياغة بالسياق. وأصبح مقياس الكلام في باب الحُسن

والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به، أي مقتضى الحال.<sup>(1)</sup> يمكننا القول أن علماء العربية (علماء البلاغة) حاولوا حصر كل الأحوال أو السياقات التي يمكن أن ترد فيها الصياغة اللغوية، وذلك بالنظر إلى مجمل الخصائص التركيبية المنوطة بها، وحاول هؤلاء العلماء التفريق بين مصطلحين بلاغيين وهما: الحال والمقام بالنظر إلى ارتباطهما "بالبعد الزمني والمكاني للكلام، وذلك أن الأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معين، إما أن يتصل بزمن هذه الصياغة فيسمى الحال، وإما أن يتصل بمحلها فيسمى المقام؛ لأن كل كلام لا بد له من بعد زمني وبعد مكاني يقع فيه، وهنا ارتبطت فكرة الحال والمقام بالمقال، واختلاف صور هذا المقال يعود بالضرورة إلى اختلاف الحال والمقام."<sup>(2)</sup> وهذا يعني أن كلا من الحال والمقام يعبر عن السياق، لكن الاختلاف بينهما يكمن في الارتباط الواقع بين الصيغة والزمان أو الصيغة والمكان. والصيغة المقصودة هنا يمكن أن تكون جملة مكونة من كلمتين فأكثر، كما يمكن أن تكون مجموعة من الجمل التي تختلف في معانيها إلا أنها تجتمع بتلك الروابط المنطقية اللفظية أو المعنوية، وهذه الجمل تفسر انطلاقاً من السياق المقترنة به.

أما إذا حاولنا البحث عن السياق عند علماء اللغة الغربيين المحدثين فنجد أنهم أسسوا مدرسة تبنت المنهج السياقي، وهي المدرسة السياقية، حيث يعتبر فيرث (Firth) من أبرز روادها الذين نادوا بضرورة اعتبار السياق من أبرز عوامل تحديد المعنى، حيث يرى أصحاب هذه النظرية أن معنى الكلمة هو "استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه، ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة"<sup>(3)</sup>، وأكد ذلك "وتغشتين"

<sup>1</sup> - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان: 1994م، ص 305.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 306.

<sup>3</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 68.

(Wittgestein) حين قال: "لا تفتش عن معنى الكلمة وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها"<sup>(1)</sup>، أي أنّ معاني الكلمات يتحدد وفق طبيعة الكلمات التي تكون مجاورة لها، ولا يمكن - من منظور السياقيين - أن يحدد معنى الكلمة دون النظر إلى السياق الواردة فيه، كما يمكن أن يتغير معنى الكلمة بتغير الظروف المحيطة بها، حيث يرى أصحاب هذه النظرية أنّ "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى. وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها."<sup>(2)</sup> ومن هذا يمكننا القول أن دراسة الوحدات اللغوية يتطلب تحليلا لكل السياقات المحيطة بها، والتي ارتبطت بتوظيفها في مختلف المواضع الكلامية.

ما سبق ذكره متعلق بالسياق في علم اللغة عامة، أي ما تعلق بالمفردات والجمل وعلاقتها بالسياق، أما علم اللغة النصي فيعتبر أن السياق (Contexte)، والنص (Texte) وجهان لعملة واحدة، بحيث لا يمكن أن يفسر النص إلا إذا أحيط بكامل الظروف التي أنتج فيها، فالباحث اللغوي النصي (هاليداي) "ذهب إلى أن النص هو اللغة التي تخدم غرضا وظيفيا، أي هو اللغة التي تخدم غرضا في إطار سياق ما"<sup>(3)</sup>، أو بتعبير آخر: يمكن أن توظف اللغة للتعبير عن مجموعة من القضايا المختلفة المندرجة في سياق معين، وهذا التزاوج بين الجمل الحاملة لمختلف المعاني والسياق الجامع بينها يشكل النص المنسجم، إذا فالسياق عند "هاليداي" هو "النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، والنص الآخر لا يشترط أن يكون قوليا إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية، ونظرا لأنّ

<sup>1</sup> - عبد الجليل منقور، علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2001م، ص 88.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 69/68.

<sup>3</sup> - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 31.

السياق يسبق في الواقع العملي النصّ الظاهر أو الخطاب المتصل به، رأى (هاليداي) أن يعالج موضوع السياق قبل أن يعالج موضوع النصّ.<sup>(1)</sup> فالسياق من منظور "هاليداي" لا يعتبر مجرد عامل من عوامل انسجامه فحسب، وإنما يعتبر الصورة المقابلة للنصّ الظاهر، وهذه الصورة هي التي تجعل المتلقي يربط بين ما ضمه النصّ من أفكار وصور ذهنية بالبيئة الخارجية أو بالعالم المحيط بالنصّ.

إذا نظرنا إلى السياق من المنظور اللساني النصّي ندرك أننا لا يمكن أن نفصل بينه وبين النصّ في التحليل اللغوي النصّي، بل على المحلل "أن يأخذ السياق بعين الاعتبار، وأن تتوفر لديه مجموعة من المعلومات عن السياق يمكن أن يحدد الاحتياج إليها كثرة أو قلة حسب النصّ"<sup>(2)</sup>، فكل نصّ ينفرد بمميزاته الخاصة به، وكل نصّ يضم مجموعة من الوحدات اللغوية التي تحتاج منا لفهمها توفر معلومات معينة عن السياق، وهذا ما حاول "براون" (Brown) و"يول" (yule) إظهاره في قولهما: "ومن الوحدات اللغوية التي تتطلب أكثر من غيرها معلومات عن السياق لتيسير فهمها نورد الأدوات الإشارية مثل: هنا، الآن، أنا، أنت، هذا... وذلك... فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي استوجب ذلك منا - على الأقل - معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطار الزمني والمكاني للحدث اللغوي"<sup>(3)</sup>، وهذه الوحدات اللغوية التي تلزم المحلل اللغوي أن يكون مطلعاً على كل ما تعلق بها من معلومات، هي نفسها التي أشار إليها "فان دايك" (T.Van Dijk) في قوله: "توجد في المقام الأول سلسلة من أوجه الربط بين الجملة (النصّ) والسياق، التي تندرج ضمن مجال الدلالة، الدلالة السياقية، وهي التعبيرات الإشارية. ويقصد بذلك تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي

<sup>1</sup> - يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، ط1، القاهرة: 1994م، ص 83/82.

<sup>2</sup> - أحمد عفيفي، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 50.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

(يستقى تفسيرها منه)؛ وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه... أما التعبيرات الإشارية فهي: أنا، أنت، هنا، هناك<sup>(1)</sup>، ولا يمكن أن تفهم هذه الوحدات اللغوية إلا إذا ربطت بالسياق العام للنص، كونها وحدات مبهمة يرتبط معناها بما أشارت إليه في البيئة المحيطة بالنص. كما أنّ هناك وحدات لغوية أخرى "لا تحتاج إلى كبير معرفة بالسياق، وذلك مثل الأحداث العامة، والأحكام الشاملة التي تأتي في سياق الخطاب، هذا الخطاب الذي يعد إنجازا لغويا يعادل الكلام. أما النصّ الواقع على الصحيفة كما تقول (جوليا كرسيفا): يكون دائما مختلفا عن كلامنا الصوتي، فمن شأن المتكلم ألا يخبر الناس بما يفترض أنهم يعلمونه."<sup>(2)</sup> فإذا حاولنا التفريق في هذا المقام بين الكلام المنطوق المنقول عن طريق المشافهة، والكلام المكتوب في نص معين، لوجدنا أنّ الكلام المنطوق يتخلى فيه صاحبه عن ألفاظ كثيرة تدرك المعاني المعبرة عنها دون ذكرها، وهذا بالنظر إلى ما يحيط بالمتكلم/ السامع من دلائل تدل عليها، كما يمكن للمتكلم أن يعوض وحدات لغوية بوحدات أخرى تشير إليها إشارة مباشرة في المقام، أما النصّ المكتوب فيجد المنتج نفسه ملزما فيه بوضع المتلقي في إطار ما يصبو النصّ إلى تحقيقه من معان عن طريق توظيف الوحدات اللغوية المناسبة للسياق المرتبط بالنصّ.

حاول علماء اللغة أن يقسموا السياق إلى عدة أقسام، والمشهور أنهم قسموه

إلى أربعة أقسام<sup>(3)</sup>:

• السياق اللغوي Contexte Linguistique

• السياق العاطفي Contexte Emosional

<sup>1</sup> - تون فان دايك، علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات، ص 136/135.

<sup>2</sup> - أحمد عفيفي، نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 50.

<sup>3</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 69.

• سياق الموقف Contexte Situational

• السياق الثقافي Contexte Cultural

كما يمكن أن يقسم السياق إلى لغوي وغير لغوي، أما غير اللغوي فيمكن أن يضم السياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي.

### 2-1-1-1- أقسام السياق:

#### 2-1-1-1-2- السياق اللغوي (Linguistique contexte):

يتمثل السياق اللغوي في النص ذاته بجميع مستوياته اللغوية ومركباته النصية، إذ إن الكلمة لا يتحدد معناها إلا بمجاورتها كلمات أخرى تقع معها في المستوى التركيبي نفسه، والسياق اللغوي "يعتمد على عناصر لغوية في النص من ذكر جملة سابقة أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة، أو في الجملة نفسها يحوّل مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير المعروفة له"<sup>(1)</sup>، ويمكن التمثيل للسياق اللغوي بكلمة (حسن) التي يمكن أن تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لأشخاص (رجل، امرأة)، أو أشياء مؤقتة (وقت، يوم، حفلة)، أو مقادير (ماء، ملح، هواء)، فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة (رجل) كانت تعني الناحية الخلقية، أما إذا وردت وصفا للمقادير فيكون معناها الصفاء والنقاوة.<sup>(2)</sup> ندرك من خلال ما سبق أن مختلف الوحدات اللغوية الواردة في نص ما تتحكم في تحديد معانيها الوحدات التي تقع مجاورة لها في التركيب اللغوي.

<sup>1</sup> - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي)، ص 112.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 70/69.

كما يمكن أن نمثل للسياق اللغوي من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرٌ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل:01]، حيث تعد جملة ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ قرينة لغوية سياقية تصرف الفعل (أتى) عن دلالاته على الماضي إلى دلالاته على المستقبل. وصرف الفعل عن دلالاته يصرف الفاعل (أمر الله) بدوره عن دلالاته، لأن العناصر المكونة للجملة لن تبقى دون تغيير إذا صرف عنصر من عناصرها عن دلالاته الأولى بقرينة ما.<sup>(1)</sup> فالجملة أو النص عبارة عن مكونات متعاقبة، تجمع بينها مجموعة من العلاقات النحوية والصرفية، إذا ما حدث تغير أو حذف في عنصر من العناصر المكونة لها تتغير دلالة باقي العناصر الأخرى.

### 2-1-1-2- السياق العاطفي (emosional contexte):

يساهم السياق العاطفي في تحديد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا، فالكلمات في الجمل أو النصوص لا تحمل درجة الانفعال نفسها، فمثلا كلمة (love) الإنجليزية غير كلمة (like) رغم اشتراكهما في أصل المعنى، وهو الحب. وكلمة (يكره) العربية غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك.<sup>(2)</sup> ويمكن التمثيل لذلك أيضا بلفظتي (اغتيال) و(قتل) حيث إنّه "بالإضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان، فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال الذي يصاحب الفعل، فإذا كان الأول يدل على أنّ المعتال ذو مكانة اجتماعية عالية، وأنّ الاغتيال كان لدوافع سياسية، فإنّ الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول، وهي دلالات تشير إلى أنّ القتل قد يكون بوحشية، وأن آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال، فضلا

<sup>1</sup> - ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص 117/116.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 71/70.

على أنّ المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية.<sup>(1)</sup> فالاشتراك في المعنى العام لا يعني توفر إمكانية تعويض الواحد من اللفظين بالآخر، بل لكلّ لفظ دوره المناسب له في سياق تركيب الكلام. هذا بالنسبة للألفاظ، أما بالنسبة للجمل والنصوص فيمكن القول أنّ لكلّ جملة درجة انفعالية يمكن أن تتناسب مع المقام الموظفة فيه أو لا تتناسب، ومنتج النص يختار لنصّه جملاً وعبارات تتناسب مع السياق العام الذي يفسّر النص من خلاله، بحيث يفرّق بين كلّ موضع وما يناسبه من جمل.

### 2-1-1-3- سياق الموقف (situational contexte):

يقصد بسياق الموقف "الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: (يرحمك الله) البدء بالفعل، وفي مقام الترحّم بعد الموت: (الله يرحمه) البدء بالاسم. فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دلّ على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير.<sup>(2)</sup> وهذا النوع من السياق يتمثل في كل الظروف الخارجية المحيطة بالنص، والتي تجعل المتلقي يفهم دلالة كل لفظ من ألفاظه، ويربط بين معاني جملة انطلاقاً من السياق غير اللغوي الموضوعية فيه.

إن رأي "هاليداي" المتمثل في أن نظرية السياق نشأت قبل نظرية النص لم يأت من العدم، وإنما استنبطه من مفهوم سياق الموقف الذي قال به "مالينوفيسكي" (Malinoviski)، والذي عنى به البيئة الشاملة التي يدور عليها النص، وقد أدخل "مالينوفيسكي" مفهومًا آخر هو مفهوم سياق الثقافة، الذي رآه مع سياق الموقف

<sup>1</sup> - عبد الجليل منقور، علم الدلالة، ص 90.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 71.



ضروريين لفهم اللغات والثقافات البدائية، ثم أخذ المفهوم بعده "فيرث" (Firth) الذي طوره على أساس أنّ موضوع الألسنية هو دراسة المعنى، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة "هاليداي" الذي كان يتساءل دائما عن الأسباب التي تجعل الاتصال بواسطة اللغة ممكنا على الرغم من العقبات التي تقف في طريقها.<sup>(1)</sup> فهذه الأسباب تكمن في ارتباط نصّ التواصل بسياق الموقف، وسياق الموقف يشترك فيه المتكلم والسامع، أو منتج النصّ ومتلقيه، وحدث خلل في سياق الموقف أو غيابه يجعل عملية التواصل غير ممكنة، لذلك فمن الأفضل أن تراعى الظروف المحيطة بالمتخاطبين قبل الشروع في بناء الخطاب.

ومن جهة أخرى ركز "هاليداي" على ثلاثة مظاهر لسياق الموقف تؤثر تأثيرا بالغا في معالم النصّ والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

**أولاً: المجال:** ويعني به الموضوع الأساسي الذي يتخاطب فيه المشاركون في الخطاب، والذي تشكل اللغة أساسا مهما في التعبير عنه.

**ثانياً: نوع الخطاب:** وهو نوع النصّ المستخدم لإكمال عملية الاتصال. ويركز "هاليداي" هنا على طريقة بناء النصّ والبلاغة المستخدمة فيه، وما إذا كان مكتوبا أم منطوقا، وما إذا كان نصا سرديا أم أمريا أم جدليا ونحو ذلك.

**ثالثاً: المشتركون في الخطاب:** ويعني "هاليداي" بهذا المفهوم طبيعة العلاقة القائمة بين المشاركين في الخطاب ونوعها، هل هي رسمية أم غير رسمية، عارضة أم غير عارضة ونحو ذلك.<sup>(2)</sup> حيث إنّ "هاليداي" ربط نجاح العملية التواصلية بسياق الموقف، وحدده في مجموعة من المظاهر، أولها المجال أو موضوع النصّ، فغياب الوحدة الموضوعية في

<sup>1</sup> - ينظر: يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، ص 83.

<sup>2</sup> - ينظر: يوسف نور عوض، علم النصّ ونظرية الترجمة، ص 33/32.

النص يجعل منه مجرد جمل مختلفة في معانيها لا يجمع بينها جامع، وبالتالي يُحكم على هذا البناء بعدم الانسجام في أفكاره، وثانيها نوع الخطاب وطبيعته، أهو مكتوب أم منطوق؟ أهو نصّ تغلب عليه صيغة الأمر أم السرد أم العلمية؟ بالإضافة إلى طبيعة الأساليب البلاغية المستعملة فيه، وثالثها يخص طبيعة العلاقة الاجتماعية الجامعة بين المشاركين في الخطاب، هل هذه العلاقة رسمية أم غير رسمية؟ وغير ذلك من العلاقات التي يحددها المجتمع.

### 2-1-1-4- السياق الثقافي (Cultural contexte):

يقتضي السياق الثقافي "تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة. فكلمة مثل (looking glass) تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة (mirror). وكذلك كلمة (rich) بالنسبة لكلمة (wealthy). وكلمة (عقيلته) تعد في اللغة العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة (زوجته) مثلاً. وكلمة (جذر) لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات"<sup>(1)</sup>، حيث إن المحيط الاجتماعي هو الكفيل بتحديد الدلالة الخاصة للكلمة، وأنه كلما اختلفت الدرجة الاجتماعية لمستعمل اللغة تغيرت دلالة الألفاظ المستعملة في عملية التواصل، والأمر نفسه بالنسبة للنصّ الجامع لعدد معين من ألفاظ اللغة، فتأويل المعاني مرتبط بثقافة المتلقي ومخزونه الفكري، حيث يمكن أن يؤوّل النصّ الواحد عدة تأويلات مختلفة باختلاف طبيعة ثقافة المتلقي.

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 71.

وإضافة إلى كون النص أحد عناصر التفاعل الاجتماعي، فإنه يمثل ظاهرة ثقافية أيضا، يمكن أن يستخلص منها بعض الاستنتاجات الخاصة بالبنية الاجتماعية للجماعات الثقافية، كما يمكن أن نستخرج من النصوص المستعملة في مختلف المقامات حقوق وواجبات أفراد المجتمع، والأعراف السائدة بينهم<sup>(1)</sup>، وهذا ما يجعل النص يشكل رفقة سياقه غير اللغوي (الثقافي) كلا واحدا، بحيث لا يمكن أن يفهم النص بعيدا عن السياق الثقافي المعرفي المرتبط به، كما لا يمكن أن ينتج النص إلا إذا حدد المجال الاجتماعي الثقافي الخاص به.

### 2-1-2- السياق والمعنى:

لقد أصبح المعنى والسياق متلازمين خاصة إذا شاب البنية غموض، حينئذ ليس هناك بد من اللجوء إلى السياق<sup>(2)</sup>، فالمعنى يتحكم في تحديده السياق، ولا مجال لتحصيله خارج السياق، والمعنى عبارة عن "مجموعة من الملامح المفهومية، والتي بفضل بنيته الخاصة يتشكل معنى العلامة"<sup>(3)</sup>، وتظهر علاقة السياق بالمعنى في أن عددا كبيرا من الألفاظ لا يظهر معناها إلا إذا وضعت في سياقات مناسبة لمعانيها، والدليل على ذلك أننا في حالة عدم فهمنا لبعض الألفاظ نبحث عن السياقات التي يمكن أن توظف فيها، والدليل الآخر أيضا أن أغلب المعاجم اللغوية التي تحمل ألفاظ اللغة ترفق كل لفظ بالسياقات التي يمكن أن يرد فيها، وقد أشار فيرث (Firth) في عديد المناسبات إلى أنّ

<sup>1</sup> - ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء: 1421هـ/2000م، ص 88.

<sup>2</sup> - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص 105.

<sup>3</sup> - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 39.

معاني الألفاظ لا يمكن أن تظهر بشكل تام إلا إذا وضعت في سياقات مناسبة لطبيعة استعمالها.

### 2-1-3- السياق والتركيب:

إن المتأمل في طبيعة مصطلحي "المعنى" و"الدلالة" يدرك أنهما يختلفان في المقصود منهما، لأنّ الدلالة من خصائص الجملة، والجملة لا تتوفر إلا بتوفر التركيب، فإذا كان المعنى يوجد دون تركيب، فإنّه يستحيل أن توجد دلالة دون تركيب، ومن ثم فإنّ المكونين التركيبي والدلالي يدخلان في علاقة وطيدة، وغياب الأول يقتضي غياب الثاني، وإذا لاحظنا النظرية التوليدية التحويلية لـ "نوام تشوميسكي" (Noam Chomsky) ندرك أنه قد أقصى في نمودجه الأول (1957م) الدلالة هادفا إلى تأسيس نموذج صوري صرف، إلا أنه عاد ليديرج المكوّن الدلالي كموّن سياقي في نموذج (1965م)، حيث أبرز أنّ القواعد التوليدية التحويلية تنتظم من خلال ثلاثة مكوّنات، وهي: المكوّن الفونولوجي، والمكوّن التركيبي، والمكوّن الدلالي، وترتبط هذه المكوّنات جامعة بين الأصوات والمعاني.<sup>(1)</sup> وبهذا تظهر تلك العلاقة الموجودة بين التركيب والسياق، وهي علاقة اتصال وتكامل، حيث إنّه كلّما كان التركيب سليما، أي وضع في سياقه اللغوي الصحيح، وربط بينه وبين البيئة الخارجية (السياق غير اللغوي) ربطا يتوافق مع القصد والموقف، تكون الدلالة واضحة لا يشوبها أي شائب.

<sup>1</sup> - ينظر المرجع السابق، ص 44/43.

2-1-4- خصائص السياق:

يرى "براون" و"يول" أنه ينبغي أن يؤخذ السياق بعين الاعتبار في تحليل الخطاب، والسياق لديهما يتشكل من المتكلم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزمان والمكان، حيث إنّ السياق يؤدي دوراً فعّالاً في تأويل الخطاب، فظهور خطاب معين في سياقين مختلفين يؤدي إلى تأويلين مختلفين، ونجد أنّ "هيمس" (D.Hymes) حاول تصنيف السياق كما يلي:

- أ- المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- ب - المتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- ج - الحضور: وهم مستمعون آخرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- د - الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.
- هـ - المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلية، وكذلك العلاقات التواصلية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه.
- و- القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة...
- ز- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- ح - شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة...
- ط - المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة عظة حسنة، شرحاً مثيراً...
- ي - الغرض: أي أنّ ما يقصده المشاركون يجب أن يكون نتيجة للحدث التواصلية.

يشير "هايمس" إلى أنّ بإمكان المحلل أنّ يختار الخصائص الضرورية لوصف حدث تواصلية خاص، أي أنّ هذه الخصائص ليست كلّها ضرورية في جميع الأحداث التواصلية.<sup>(1)</sup> والمحلل هو من يمكنه اختيار ما يناسب الحدث الكلامي الذي هو بصدد تحليله، إلا أنّ المتأمل في هذه الخصائص يدرك أنّها لا تختلف كثيرا عن عوامل التواصل التي حددها "رومان جاكبسون" (Roman Jakobson) في ستة عوامل: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السنن، القناة، المرجع، والتي اعتبرها العوامل الأساسية في كلّ عملية تواصلية، إلا أنّ الاختلاف بين التحديدين يكمن في أنّ "هايمس" حاول وضع العناصر التي تتحكم في سلامة السياق، والتي يعود عليها محلل نصّ ما أثناء بحثه عن كلّ الملاحظات التي يمكن أن تؤثر في إنتاج النصّ، بينما نجد أنّ "جاكبسون" حاول وضع العناصر التي تقوم عليها عملية التخاطب، وأن غياب عنصر من العناصر التي حددها يؤدي إلى فشل عملية التواصل.

### 2-2- التّأويل (Interprétation):

يعتبر التّأويل من بين المفاهيم المتأصلة في مختلف الثقافات القديمة والحديثة، ففي الثقافة العربية يعد "من أبرز المصطلحات التي دار حولها جدل غير قليل العلماء قديما في مختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم التي يدعون إليها، فالتأويل ظهر جليا في أفكار ونظريات علماء الكلام أو المتكلمين، فهو عندهم علم قائم بذاته"<sup>(2)</sup>، وهذا الاهتمام بالتأويل في البيئة العربية كان نتيجة ازدهار مختلف العلوم وخاصة المتعلقة بالنصّ منها، كعلم الأصول، وعلم التفسير، وعلم الكلام، والفلسفة وغيرها من العلوم.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 53/52.

<sup>2</sup> - الطيب لعزالي قواوة، الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، ع8، بسكرة، الجزائر: 2012م، ص 68.

أما التأويل في الثقافة الغربية فيعتبر من المصطلحات التي ارتبط ظهورها برائد المدرسة الألمانية "شليير ماخر" (F.Schleiermacher)، حيث حاول نقل مفهوم التأويل من مجال الدين إلى العلوم الإنسانية، مرتكزا على قاعدة أساسية في إيضاح التأويل مفادها أنّ النص وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ، وما دامت التأويلية تبحث عن معايير للفهم، فإنّه أشار إلى ما يساعد المؤول على الوقوف عند المعنى الصحيح، ولهذا طرح اللغة عاملا وسيطا للفهم، على أساس أنّها تمثل الجانب الموضوعي، كما اهتم بفكر المؤلف المحقق في استخدامه للغة، وانطلاقا من أنّ ذاتية المؤلف تدخل في جدل مع اللغة حتى تتجزأ نصّا على كيفية خاصة، والنص الذي ارتضاه المؤلف يغدو نقطة انطلاق القارئ الذي ينهمك في فهمه لإعادة بنائه، وللوصول إلى الفهم الصحيح فقد طالب القارئ والمؤول أن يبتعد عن ذاته، وعن أفعه التاريخي الزّاهن ليفهم النصّ فهما موضوعيا، إضافة إلى مساواة نفسه بالمؤلف، وأن يحلّ محلّه أثناء عملية إعادة بناء النص. (1) إذا فالتأويل متعلق بالمتلقي أو المنتج الثاني للنصّ، حيث يعيد بناءه وفق ما تمليه عليه ثقافته ومعرفته بكل ظروف إنتاجه، وإلا كيف يمكنه تفسير وتأويل ما ليس له به علم، كما يرتبط التأويل بالفهم السليم للأحداث الكلامية الواردة في الخطاب/النصّ، بالنظر إلى أنّ الفهم هو القاعدة التي يستند إليها المتلقي/القارئ في تفسير مختلف الظواهر الفكرية التي ضمّها الخطاب/النصّ.

ويعرّف الفهم على أنّه التعرّف على قصد الكاتب من وجهة نظر المستقبلين في موقف الخطاب الأصيل، وقد فرضت الأولوية التي منحت لمقاصد المؤلف والمستقبلين أن يكون الحوار نموذجا لكل موقف فهم، وبالتالي تظل التأويلية محصورة في إطار النزعة النفسية، ففهم النصّ هو حالة خاصة من الموقف الحوارية الذي يستجيب فيه شخص ما

<sup>1</sup> - ينظر: نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط6، بيروت: 2006م، ص 23.

لشخص آخر سواه.<sup>(1)</sup> ندرك من هذا أنه لا سبيل للقارئ المؤول لنصّ ما إلا بلوغ الفهم التام لمقاصد الكاتب المضمنة في نصه، والفهم لا يعتبر إظهارا للمعاني السطحية الظاهرة، وإنما هو محاكاة نفسية يقوم بها المتلقي للوصول إلى مبتغى مؤلف النصّ ومراده، كما يعتبر الفهم أيضا كشفا لما أضره صاحب النصّ وأخفاه من خلال بصمته الأسلوبية الخاصة به.

كما أن مبدأ التأويل "متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل (الآن)، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه باسم (محمد) مثلا، ويقضي هذا وجود مبادئ في تناول المتلقي تجعله قادرا على تحديد تأويل ملائم ومعقول... فبهدف تقييد التأويل يضطر المتلقي إلى اعتبار ما تقدم خاصة."<sup>(2)</sup> ففي النصّ ذاته توجد مجموعة من المؤشرات والأمارات التي تجعل القارئ/المتلقي يربطه بزمنه الذي أنتج فيه وتربطه هذه المؤشرات أيضا بمكان محدد، وهذا ما يجعل مؤوله يستند إلى الظروف الخارجية التي تدخل في تفسير عديد الظواهر النصّية الفكرية. لكن هذا لا يجعلنا نحكم بوجود قراءة واحدة للنصّ الواحد بالنظر إلى هذه المؤشرات، بل "ينبغي أن نضع في الاعتبار أنه تتباين كفاءة القراء كما تتباين طاقات النصوص؛ إذ إنه ليس هناك ما يسمى بالتفسير النهائي، ويرتبط بقاء النصّ واستمراره بما يقدّمه من تفسيرات متعددة، من خلال قراء تختلف قدراتهم، فتختلف نتاجاتهم، ويحتفظ النصّ بجزء من كينونته في كل تفسير، يمثل هو في ذاته جزءا من واضعه"<sup>(3)</sup>؛ حيث إنه كلما توسعت دائرة قراءة النصّ، كلما تباينت تفسيراته والطرق التي يعاد إنتاجه وفقها، وهذا بالنظر إلى تباين كفاءات المؤولين،

<sup>1</sup> - ينظر: بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب: 2006م، ص 53.

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص 56.

<sup>3</sup> - سعيد حسن بحيري، علم اللغة النصي، ص 165.



والملاحظ هنا أنّ التأويل يرتبط ارتباطاً مباشراً بالمتلقي/القارئ لذلك ارتأينا أن نشير في هذا المقام إلى نظرية التلقي وما جاء في فحواها.

### 2-2-1- نظرية التلقي:

نشأت هذه النظرية في الستينات (1967) من القرن العشرين بألمانيا الغربية، وتنسب إلى جامعة كونستانس (Université de Constance) من أشهر ممثليها "روبير ياوس" ( Hans Robert Jauss ) و"ولف غانغ إيزر" (Wolfgang Iser)، وتهتم هذه النظرية بإدراج المتلقي أو القارئ ضمن الظاهرة الأدبية، حيث تعتبر القراءة عند رواد هذه النظرية فعلاً مركباً، وذلك أنّها ليست فعلاً بسيطاً نقوم به ونحن نممر البصر على الأسطر، وليست أيضاً بالقراءة التي نكتفي فيها بإعادة تلقي الخطاب بشكل سلبي اعتقاداً منا بأنّ معنى النصّ قد صيغ نهائياً وحدد، فلم يبق إلا العثور عليه كما هو، أو كما كان نية في ذهن الكاتب، بل القراءة عندهم أشبه ما تكون بقراءة الفلاسفة للوجود إنها فعل خلاق، إن القارئ وهو يقرأ، يخترع ويخترق ويتجاوز ذاته نفسها مثلما يتجاوز المكتوب أمامه.<sup>(1)</sup> حيث إن "ياوس" حاول أن يوسع المجال الذي يمكن أن يخصص للمتلقي، واعتبر متلقي النصّ شريكاً لمنتجه في تبيان معناه من خلال تأويلاته وقرائاته.

واعتبر "ياوس" أنّ قراءة النصّ من طرف المتلقي لا تدخل في إطار استهلاكي محض، بل هي مرحلة ضرورية لإتمام عملية إنتاج النصّ، والذي يظل في حاجة إلى أداة تحققه وتجعله راهناً، وهذه الأداة هي القراءة، لكن هذا لا يعني أن المتلقي الأول للنصّ يمنحه تحققه التام والنهائي، بل يمكن أن يخلق قراءً جدداً في كل حقبة، فلكلّ زمن قراءه

<sup>1</sup> - ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 102/101.

كما أنّ لكل قارئ قراءته.<sup>(1)</sup> إذا لا يمكن أن يستغنى عن القارئ الإيجابي في تحديد دلالات النص، ولا يمكن إقصاؤه من عملية التحليل، فقدرة المنتج على التعبير عن أحداث معينة وصياغتها بأساليب مناسبة لها يقتضي توفر قدرات القارئ الذي يمكنه تفسيرها وإظهارها في شكل متجدد كلما تغير هذا القارئ.

وقد عمل كل من "ياوس" و"إيزر" على خدمة النظرية بشكل متكامل، حيث التقى الناقدان في البحث عن القارئ الذي يُبرز ما هو خفي في النص، واعتمدا على ما يسمى بالذخيرة أو المخزون الثقافي الذي يعتمد فيه المتلقي على خبراته السابقة، وأفق ثقافته، وطريقة استجابته للنص. والذخيرة هي عبارة عن مجموعة المعايير الاجتماعية، والثقافية التي يقدمها القارئ أثناء عملية القراءة، وتتمثل عند "إيزر" في مجموع الموصفات التي يمتصها النص من عناصر معلومة سابقة، ولا ترتبط تلك العناصر بالنصوص السابقة، وإنما تتصل بقوة أكبر، وهي المعايير والقيم الاجتماعية والتاريخية، والثقافية.<sup>(2)</sup> فدور القارئ من منظور "ياوس" و"إيزر" هو إمطة اللثام عن الجانب الخفي من دلالة النص، ولا يكتفي بفهم الظاهر المكشوف، ولو اكتفى بذلك لتميزت النصوص بالرتابة والسكون، وتميزت المعاني بالوحدة والثبات، بل يستعين القارئ في فهم النص بمخزونه الثقافي المستمد من بيئته الاجتماعية وقيمه التاريخية، وبهذا التصور تتنوع القراءات بتنوع طبيعة القارئ وثقافته.

<sup>1</sup> - ينظر المرجع السابق، ص 103.

<sup>2</sup> - ينظر: خالد علي مصطفى وربي عبد الرضا عبد الرزاق، مفهومات نظرية القراءة والتلقي، بحث مستل من أطروحة الدكتوراه، مجلة ديالى، ع 69، العراق: 2012م، ص 164.

## 2-3- المعرفة الخلفية (معرفة العالم *Connaissance de Monde*):

تتمثل المعرفة الخلفية في الكم الهائل من المعلومات أو المعارف التي تجمعت لدى القارئ من قبل، والتي لا يمكن إغفالها عند قراءته لنص ما، وهذا ما يجعل المعرفة الخلفية حلقة أساسية في فهم النصوص وتأويلها، ويشير "براون" و"يول" إلى أن "المعرفة التي نملكها كمستعملين للغة تتعلق بالتفاعل الاجتماعي عن طريق اللغة ليست إلا جزءا من معرفتنا الاجتماعية الثقافية العامة، وهذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب، بل ربما لكل جوانب خبرتنا الحياتية، وكما يلاحظ "دي بوجراند" (**R.De Beaugrand**) فإن مسألة كيفية معرفة الناس لما يجري داخل نص هي حالة خاصة من مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري في العالم بأسره.<sup>(1)</sup> فالمؤول لخطاب معين لا يمكنه أن يربط بين مفاهيم الخطاب المختلفة وهو خالي الذهن من جملة المعلومات المتعلقة بالمضمون العام لهذا الخطاب، بل يجب أن يكون حاملا لزخم من التجارب والمعارف التي تمكنه من فتح أبواب الخطاب والولوج فيها دون عناء. كما أن "دي بوجراند" قد أشار إلى ارتباط معلومات النص بمعلومات المؤول بقوله: "يمكن للتفاعل بين المعلومات التي قدمها النص والمعلومات التي سبق اختزانها أن يتم تصويره بصورة ربط إجرائي... أي إنّ مخزون المعلومات الحالية النشطة يخصّص ما يحدث ويضبطه، ليبنى عالما نصيا للوصول بدرجة مقبولة إلى كفاءة هذه العمليات.<sup>(2)</sup> أي إنّ جملة المعلومات المخزنة في ذهن المتلقي/ القارئ ترتبط مع المعلومات الواردة في النص ارتباطا وثيقا، حيث يتم بهذا الارتباط تخصيص معلومات القارئ وحصرها ليحدث التوافق بينها وبين معلومات النص.

<sup>1</sup> - ج.ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب، ص 289.

<sup>2</sup> - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 201.

إن المستمع/ القارئ حين يواجه خطابا ما لا يواجهه وهو خاوي الوفاض، وإنما يستند في تفسيره وتأويله على تجاربه السابقة، والمعروف أنّ معالجة النصّ المعايّن تعتمد على ما تراكم لدى المعايّن من معرفة سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للتجارب السابقة له، فمثلا لو أنّ القارئ واجه نصّا جاهليا (شعر جاهلي)، فمن المفترض أن هذا القارئ له اطلاع سابق على مجموعة من النصوص الشعرية عموما وعلى النصوص الجاهلية خصوصا، بالإضافة إلى اطلاعه على تصنيفات هذه النصوص الشعرية إلى مديح وهجاء ورتاء... واطلاعه أيضا على ترتيب الشعراء والطبقات التي ينتمون إليها، ودرايته بكل ما يتعلق بالنصّ الشعري الجاهلي. لكن في بعض الحالات لا يحتاج النصّ المواجه استحضر كل هذه المعلومات، بل يحتاج استحضر واقعة بعينها أو حدث أو تجربة عاشها الشاعر.<sup>(1)</sup> فالذي يشترط توفره في القارئ هو سعة أفق اطلاعه على كل المعلومات التي تساعده في فهم النصّ وتأويله، والغوص بين أسطوره للوصول إلى مقاصد كاتبه، فمعرفته بكل الألوان الفنية والأدبية، ومعرفته بما يحيط بالنصّ من العوالم الخارجية المتحكمة في تحديد معانيه، ومعرفته بشخصية الكاتب وطبيعة انتمائه وثقافته يجعله يعيد بناء النصّ بناء فكريا سليما، بل يمكنه من إعادة إنتاج النصّ إنتاجا تاما من كل النواحي (الأدبية، والفكرية، والاجتماعية)، والمتلقي في هذه الحالة يختار من تلك المعارف المخزنة في ذهنه ما يناسب النصّ المواجه ويلائمه. أما إن كان المتلقي للنصّ خالي الذهن، غير عالم بظروف إنتاجه، وطبيعة البيئة التي أنتج فيها، وملامح شخصية منتجه، واللون الأدبي الذي يندرج فيه النصّ، فإنّه سيواجه نصّا غريبا في شكله، وأفكاره، ومقاصد

<sup>1</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص 61/62.

منتجه، وبالتالي لن يتمكن من الوصول إلى فهم معاني جملة وعباراته، ويجد نفسه عاجزا عن وضع النص في إطاره المعرفي السليم.

والمعرفة الخلفية ترتبط - أيضا - بالتناص الذي يعتبر من بين أهم المعايير النصية التي حددها "دي بوجراند"، ويعود هذا الارتباط إلى كون النص في أغلب الأحيان يشير إلى نصوص أخرى سابقة له، كما يعتبر التناص "عملية استبدال من نصوص أخرى، ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة، مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه"<sup>(1)</sup>، بمعنى أن التناص هو عبارة عن تتابع وتوال لمجموعة من النصوص السابقة، وهو أيضا تعالق نص حدث بكيفيات مختلفة، وتلك الكيفيات تنحصر في نمطين أساسيين:

أولهما: يقوم على العفوية وعدم القصد، إذ يتم التسرب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي، وثانيهما: يعتمد على الوعي والقصد، بمعنى أن الإشارة إلى الخطاب الغائب تكون واضحة وضوحا كاملا يصل إلى درجة التصييص.<sup>(2)</sup> والتناص سواء حدث بقصد من صاحب النص أو دون قصد فإنه يجمع بين نصين مختلفين، نص أنتج في زمن سابق له إطاره المعرفي والفكري والاجتماعي الخاص، ونص أنتج في زمن لاحق أشار إليه، وهذا ما يلزم متلقي النص اللاحق الإحاطة بالنص السابق إحاطة شاملة تمكنه من فهم وتأويل النص المواجه.

<sup>1</sup> - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 212.

<sup>2</sup> - ينظر أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 82.

### 2-4- موضوع الخطاب/النص:

إنّ إنشاء نصّ معين يعني القدرة على نسج شبكة من المعاني عن طريق توظيف أشكال واستعمالات لغوية متنوعة، وهذا التوظيف يجعل القارئ يتابع القراءة دون أن يشعر بفجوات أو انقطاعات، ومن الأمور الكفيلة بتحقيق هذه الغاية هو عمل الكاتب على توفير الترابط الموضوعي على مستوى النصّ، ومعنى ذلك أن يعالج النصّ قضية معيّنة، أو يتكلم عن موضوع محدد<sup>(1)</sup>، فباعتبار أنّ النصّ يمثل متتالية جملية، وأنّ لكل جملة معناها الخاص، وارتباط هذه الجمل واتساقها لخدمة غرض معين، وهو خدمة الموضوع العام للنصّ، أو البنية الموضوعية للنصّ، حيث يمكن أن يختزل موضوع الخطاب وينتظم ويصنّف الاختيار الدلالي للمتتاليات ككل، تلك هي وظيفة موضوع الخطاب، الذي يعدّ بنية دلالية بواسطتها يصف "فان دايك" انسجام الخطاب، وبالتالي يعتبر أداة إجرائية حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب. لكن إذا بحثنا عن الوضوح والدقة متسائلين: ما هو موضوع الخطاب، فإننا لن نجد إجابة دقيقة عما يعنيه، ويعتبر فان دايك نفسه بأن هذا المفهوم فضفاض.<sup>(2)</sup> أي إنّ موضوع الخطاب/النصّ لا يمكن أن يدرك بصفة كلية شاملة من طرف متلق واحد له، بل يجب أن نضع نصب أعيننا في هذا المقام حالات فهم الخطاب وتأويله من طرف المتلقي أو المتلقين له، كما لا يمكن أن نغفل براعة المؤلف في نسج الجمل وترتيبها ترتيباً منطقياً يتماشى مع ما يقتضيه موضوع النصّ، ومحاولة فتح المجال أمام المتلقي/القارئ الذي يعمل على تأويل مختلف الأفكار والمفاهيم التي احتواها النصّ، وذلك من خلال ارتكازه على مخزونه المعرفي الثقافي

<sup>1</sup> - ينظر: محمد الأخضر صبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 128/129.

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النصّ، ص 42.

المتعلق بالنص، وارتكازه أيضا على ما يعلمه عن الظروف المحيطة بالنص وقت إنتاجه، ثم يحاول في مرحلة أخرى ربط هذه المفاهيم المدركة لتشكيل موضوع النص.

يمكن القول إن "موضوع النص في رأي (فان دايك) إذن ليس شيئا غير قضية كبرى على مستوى معين من التجريد، ولا يجب أن يذكر في النص صراحة، وحين تكون الحال كذلك يتحدث عن اللفظ الموضوع (اللفظ المفتاح)، أو الجملة الموضوع، ويزعم (فان دايك) بالنسبة لتصوره عن البنية الكبرى أنه يمتلك واقعا إدراكيا، ويحاول من خلال حجج تجريبية خاصة ذات طبيعة سيكولوجية [...] أن يثبت أن البنية الكبرى (تطبيق القواعد الكبرى) تؤدي في نموذج سيكولوجي لعملية فهم النص دورا جوهريا.<sup>(1)</sup> فلا يمكن للمتلقي/القارئ أن يدرك موضوع النص إلا إذا أحاط بكل المفاهيم الجزئية المضمنة في النص، والقارئ في هذه الحالة يجد نفسه أمام جملة من القضايا المتصل بعضها ببعض في شكل موضوعي موحد، ودوره هنا يكمن في فهم هذه القضايا أولا، ثم إعادة تركيبها وربطها لتمثيل موضوع الخطاب/النص وإظهاره.

حاول "فان دايك" في معرض توضيحه لمفهوم موضوع الخطاب أن يقارن بينه وبين ما يشوب موضوع المسند إليه في الجملة من لبس بقوله: "إن مفهوم موضوع الخطاب (أو موضوع التماثل)، ونحن نأخذ هذين المفهومين مترادفين يشبه أن يكون أشد لبسا من مفهوم (الموضوع = المسند إليه الجملة). وبالنسبة لهذا المفهوم الأخير نستطيع أن نثبت على الأقل بنيات فونولوجية تركيبية من شأنها أن تدل على مناسبة مفترضة للمسند إليه - المسند. فمن جهة أخرى قد تكون الحدود من نوع (الموضوع، الأطروحة،

<sup>1</sup> - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص 80.

الدلالة على الغرض)، مطبقة تطبيقا حدسيا على أوسع وأطول مدى للخطاب.<sup>(1)</sup> فتحديد موضوع الخطاب من وجهة نظر "فان دايك" ليس أمرا سهلا كما يتصور البعض، بل تحديد موضوع الخطاب يقتضي من المتلقي/القارئ أن يكون محيطا بكل القضايا المحمولة في جمل النص؛ لأن تحديد المفترض في الجملة (المسند - المسند إليه) يستند فيه على بنيات فونولوجية تركيبية من شأنها إيضاح فحواها، وبهذا التحديد يمكن للمتلقي/القارئ أن يدرك بحدسه موضوع الخطاب ككل.

كما يتحدد موضوع النص من العنوان؛ حيث إنّ لكل نصّ عبارة صحيحة واحدة تمثل الموضوع، وقد يكون هذا صحيحا لو أمكن للنصوص أن تفهم فهما صحيحا طالما صاحبها عنوان واحد فقط، كما يمكن لأيّ منا أن يشير إلى أنّ النصّ يضم مجموعة من التعليمات بالنظر إلى عنوانه، على سبيل المثال: "كيف تغسل ثيابك" أو "دليلك إلى تنظيف ملابسك"، حيث يضم هذان العنوانان بالنسبة للقارئ القدر نفسه من المعلومات التي يضمها عنوان "غسيل الملابس" الذي وصفه "برانسفورد" و"جونسون" بأنّه الموضوع. ومن هذا يمكن القول أن لكل نص مجموعة من العناوين الممكنة، ومنه يمكن اقتراح عدد من الطرق للتعبير عن موضوع أي نص، وكل طريقة من هذه الطرق المختلفة تمثل في الواقع حكما مغايرا بشأن ما هو مكتوب أو متحدث عنه في النصّ.<sup>(2)</sup> فكثيرا ما نواجه نصوصا مختلفة تجذبنا عناوينها، وتجعلنا نبني مجموعة من التصورات المتوقع وجودها في مضامينها، إلا أننا نلمس غيرها أثناء قراءتها، لذلك تعتبر عملية اختيار عنوان النصّ أصعب مرحلة تواجه كاتبه، كون أن العنوان هو مفتاح الولوج إلى بنية النصّ الدلالية.

<sup>1</sup> - تون فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، (دط)، المغرب: 2000م، ص 185.

<sup>2</sup> - ينظر: بروان ويول، تحليل الخطاب، ص 89.



### 2-5- مبدأ التشابه:

يعتبر التشابه من المبادئ التي تساهم في انسجام البنية الدلالية للنص، وهو ذلك التقارب الحاصل بين نص سابق يفترض اطلاع المتلقي على مضمونه وأفكاره، ونص لاحق يشترك معه في مجموعة من الخصائص الدلالية، ويحدث التشابه في "كل خطاب يكون في علاقة تماثل وتطابق مع خطاب آخر محتملا. والمحتمل إذن الجمع بين خطابين مختلفين ينعكس أحدهما على الآخر الذي يكون له بمثابة المرآة، ويتطابق معه خارج كل اختلاف."<sup>(1)</sup> ولا يقع التشابه إلا إذا كان المتلقي/القارئ يملك جملة من المعرف والتجارب السابقة الخاصة بنصوص أنتجت في زمن سابق للنص المواجه، حيث يرى "براون" و"يول" أنه يلزمنا لبناء مفهوم محدد لأنماط النصوص التعميم انطلاقا من تجاربنا، وتحديد ما هو مشترك في الحكايات الشعبية أو المحادثات أو المناظرات... إلخ، بحيث نتمكن من التعرف على أي واحد منها على أنه معمم، وانطلاقا من تجاربنا السابقة يمكننا التعرف على أنماط من الأحداث التواصلية التي نتعامل معها على ضوء كل التوقعات الممكنة<sup>(2)</sup>؛ أي إن المتلقي/القارئ يتعامل مع النص المواجه باعتباره نصا يشترك مع نصوص أخرى تعتبر كخبرات مخزنة في ذهنه، وهذا التخزين لا يخص كل معلومات النصوص، بل يخص البناءات الكبرى فحسب، فلا "يكاد مستعمل اللغة مستمعا كان أو قارئاً للخطاب يحتفظ به احتفاظا يستطيع معه أن يسترجع سائر معلومات الخطاب الدلالية كمجموعة أو متوالية من القضايا. ومع ذلك في كثير من الحالات، فإن القارئ

<sup>1</sup> - جوليا كرسيفا، علم النص، ص 46.

<sup>2</sup> - ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص 74.

حتى في أعقد ضروب الخطاب كالروايات لا يزال يعرف أي شيء يدور حوله الخطاب، كما لا يزال قادرا على إثبات علاقات متسعة مع الجزء السابق من الخطاب.<sup>(1)</sup>

إنّ القارئ في مثل هذه الحالات يبني مختلف تصوراته وافتراضاته الجديدة المرتبطة بنصّ ما انطلاقا من معرفته بالعالم التي استقاها من نصوص سابقة، وبهذا يكون قد استفاد من خبراته ومعارفه لفهم وتأويل أفكار النصّ المواجه تأويلا لا يخرج عن المبدأ الطبيعي، ولا عن قصد صاحب النصّ، بل تأويلا يعطي للنصّ نفسا جديدا وصبغة تظهر فيها لمسة متلقي النصّ.

إن المتلقي العارف بالميزات الدلالية للنصوص المرتبطة دلاليا بالنصّ المواجه، وإدراكه لأوجه التشابه والتعميم المشتركة بينها يمكنه من "التعرف ليس فقط على تجربة خاصة بكونها تنتمي إلى نمط معين كالتوبيخ أو المقابلة مثلا، بل يصبح كذلك قادرا على التنبؤ بما يحتمل أن يحدث، وما هي الخصائص السياقية التي يحتمل أن تكون مناسبة في دائرة نمط معين من الأحداث التواصلية، ويترتب على هذا أن السامع في مقام كلامي معين ليس في وضع يتيح له الاهتمام بكل خصائص السياق، بل إنه سيركز اهتمامه فقط على تلك الخصائص التي كانت في وقت مضى ضرورية ومهمة في مقامات مشابهة."<sup>(2)</sup> فالاحتمال الذي صار عنصرا راسخا في ذهن المتلقي بعد مروره بتجارب مماثلة في نصوص سابقة جعله قادرا على توقع ما سيحمله النصّ من أحداث وأطوار مختلفة، لكنه في بعض الأحيان يواجه أحداثا جديدة في نصوص لم يسبق له مصادفة ما يشابهها، وبالتالي يكون أمام تجربة جديدة تقتضي منه البحث عن سياق مناسب لتفسيرها وتأويلها تأويلا سليما.

<sup>1</sup> - تون فان دايك، النص والسياق، ص 215.

<sup>2</sup> - براون ويول، تحليل الخطاب، ص 75.

كما يعد مبدأ التشابه أحد الاستكشافات الأساسية التي تبنها المستمعون والمحللون في تحديد التأويلات في السياق. لكن لا يجب أن يعتبر هذا المبدأ آلية حتمية يمكن أن تلم بكل أنواع الخطاب مهما كانت جذتها، ومهما كان اختلافها عن الخطابات السابقة؛ ففي الواقع كثيرا ما تكون توقعات المتلقي سليمة متوافقة مع ما هو موجود في النص، لكن مع ذلك يمكن أن تكون التوقعات مشوشة، فيحصل تعطل مرحلي في الفهم والتأويل، ومع ذلك يمكن للمتلقي أن يتجاوز هذه الحالة بقدرته على التكيف مع المستجدات، وقدرته على إيجاد الأدوات المناسبة للفهم الصحيح والتأويل السليم.<sup>(1)</sup> فمبدأ التشابه لا يعتبر آلية ثابتة يجب على المتلقي/القارئ امتلاكها كي يتمكن من تأويل النصوص وفهم معانيها، بل هو آلية مساعدة تمكن المتلقي من فهم مضامين النصوص فهما تاما انطلاقا مما اكتسبه من خبرات سابقة شبيهة بالتجربة الجديدة، لكن عدم معرفته بشيئه للنص المواجه لا يعتبر عائقا يحول بينه وبين سلامة تأويله، بل يمكن للمتلقي التعامل مع مثل هذه التجارب بتوظيف مجموعة من الأدوات المساعدة على سدّ فراغ النصّ الشبيه.

### 2-6- التفرّيز:

يعتبر الخطاب تشكيلا من المتتاليات الجمالية المتدرجة، لها بداية ونهاية في تنظيم محكم، وهذا التنظيم يتحكم في تأويل الخطاب وتفسيره، ويكون هذا بناء على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه، وهكذا فإن الجملة الأولى من الفقرة لن تقيد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقية الخطاب أيضا، وهذا يعني أن كل جملة تمثل جزءا من كل متكامل يؤدي إلى بنية تامة الانسجام.<sup>(2)</sup> فكل نص يبني على مجموعة من المفاهيم والأفكار المعبر عنها بالجملة، وهذه الجملة يرتبط بعضها ببعض وفق علاقات معنوية

<sup>1</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 58.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 59.

تكون بمثابة السلسلة المترابطة التي لا يمكن التخلي عن أي حلقة من حلقاتها، فجملة النص الواحد تمهّد كل جملة منها للجملة التالية لها، وفهم مضمون هذه الجملة مرهون بفهم بدايتها، أو فهم الجملة الأولى التي تعتبر بداية لانسجام مختلف المعاني المرتبة حسب ترتيب الجملة المتتالية في النص، وبهذا لا يمكن للمتلقي/القارئ فهم المعاني الكبرى في النص إلا إذا تمكن من إدراك وتأويل الجملة المفتاح.

إنّ الجملة الأولى أو استهلال النص "يحتل مكانة بارزة من حيث أهميته، ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أخرى، وتحكّمه كذلك في هذه الأجزاء. ففي الغالب يركز المرسل كل جهده في هذه الجملة؛ إذ يكون ما بعدها غالبا تفسيرا لها، وتمثل كذلك المحور الذي يدور عليه النص فيما بعد؛ إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة ما." (1) وهذه المكانة التي تحتلها الجملة الأولى تعتبر مكانة تعود بالأهمية على كامل النص، كونها ترتبط بباقي جملة النص وفق علاقات دلالية منطقية.

والجمل المكوّنة للنص والمنتظمة في سلاسل يجب أن تدل على مجموع منتظم من الأحداث، وفي بعض الأحوال فإن بنية هذه السلاسل المنتظمة قد تكون من الوجهة البنوية متماثلة الشكل مع بيئة متوالية الأحداث، أي تلك الحالات التي يواجه فيها تخطيط بنية رسم ببنية أخرى وجها لوجه انطلاقا من متوالية الأحداث المرتبة ترتيبا طوليا وزمانيا، وفي معظم الحالات تكون العلاقة الموجودة بين الكلام والعالم أقل استقامة وصراحة. (2) وهذا الترتيب والانتظام الحاصل بين الجمل، والترتيب المنتظم للأحداث في النص يقتضي وجود ارتباط دلالي بين الأحداث المتوالية والمرتبة ترتيبا منطقيا، ويقتضي - أيضا - اقتران فهم مضمون كل الجمل بفهم مضمون كل جملة على حدة، وإدراك طبيعة العلاقة

<sup>1</sup> - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص 65.

<sup>2</sup> - ينظر: تون فان دايك، النص والسياق، ص 150.

الرابطة بين الجملة السابقة والجملة اللاحقة، ويقضي - أيضا - إدراك الجامع الدلالي بين كل الجمل.

ويمكن للترتيب الطبيعي للجمل أن يتحكم في تغير المعنى العام للنص، ولا يحدث الفهم إلا إذا كان ترتيبها وفق ما يقتضيه موضوع النص؛ فتجد أنّ "ضروب الترتيب لغاية من شأنها أن تمثل جريان الأحداث أو الأفعال مع ابتداء أحوالها المصاحبة ونهايتها قد تستلزم أن تكون ناشئة عن تماثل الشكل البنوي؛ فإن أي ترتيب باعتبار الأحوال الموصوفة ينبغي أن تكون اعتيادية مؤسسة على معايير أخرى. علاوة على ذلك فإن الضابط الأساسي هو طبيعة ما سبق من ضرورة اقتضاء العناصر: فالعبارة (وجهها) يمكن أن ترد بالتأويل فقط إذا تقدّم ذكر فرد إنساني أولا حسب شروط الاتساق العامة"<sup>(1)</sup>؛ ففهم مضمون النص يوجب فهم كيفية ترتيب الجمل ترتيبا سليما، وأن العبث في ترتيب هذه الجمل يعود بالسلب على ترتيب الأحداث الواردة في النص، وبالتالي يغيب عن المتلقي/القارئ إدراك أي الجمل تعتبر الجملة الأساس التي لها دور فعال في تأويل باقي جمل النص.

كما يمكن أن يُنظر إلى التغريض كإجراء خطابي يطور وينمى به عنصر معين في الخطاب، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص أو قضية ما أو حادثة، والتغريض يمكن أن يتم بطرق عدة من بينها: تكرار اسم شخص، أو استعمال ضمير يحيل عليه، أو استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه.<sup>(2)</sup> فالتغريض لا ينحصر في الجملة المبدوء بها، والتي تعتبر المفتاح لفهم وتأويل باقي الجمل اللاحقة لها، بل يمكن أن يحدث التغريض في النص عن طريق عدة أدوات من بينها تكرار اسم شخص معين تدور

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 153.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 59.

أحداث النص حول شخصيته وعلاقتها بأمر مستمدة من العالم المحيط، فتكرير اسم لشخص معين يعني تأكيد الارتباط بينه وبين ما أنتج من جمل لتحقيق غرض معين.

### 2-7- العلاقات الدلالية:

وهي عبارة عن مجموع "العلاقات التي تجمع أطراف النص، أو تربط بين متوالياته (أو بعضها) دون بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة، ينظر إليها على أنها علاقات دلالية... وهي علاقات لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفا تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكا في ذلك بناء السابق على اللاحق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد على الربط القوي بين أجزائه."<sup>(1)</sup> فالترابط الحاصل بين جمل النص الواحد يكون وفق طريقتين: أما الطريقة الأولى فتخص البناء الظاهر، وذلك بالجمع بين جمل النص عن طريق الأدوات اللفظية التركيبية، وأما الطريقة الثانية فتكون بنسج مجموعة من العلاقات الدلالية بين جمل النص، فترتبط كل جملة بالجملة الأخرى عن طريق علاقة معينة كالإجمال والتفصيل، أو السبب والمسبب وغير ذلك من العلاقات المختلفة، وهذا الترابط سواء تحقق لفظيا أو بيانيا فهدفه تحقيق ترابط معاني النص فيما يعرف بالانسجام.

### 2-7-1- علاقة الإجمال والتفصيل:

تعد هذه العلاقة "إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص لضمان اتصال المقاطع بعضها ببعض عن طريق استمرارية دلالية معينة في المقاطع اللاحقة."<sup>(2)</sup> وهي عبارة عن علاقة استدعائية ذات ترابط مفهومي، وفهمها أن يكون ظاهر الجمل في النص

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 269/268.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 272.

مجملاً، فتأتي جملة أو أكثر وتفصل ما أجمل، ومن بين أبرز النماذج الدالة على ذلك تفصيل ما أجمل في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۗ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار:19/17]، حيث جاءت الثلاثة مفصلة لقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:4]<sup>(1)</sup>، وهذا بالنظر إلى أنّ القرآن الكريم نصّ واحد، يرتبط أوله بآخره، فالمتأمل للنصّ القرآني يدرك ذلك الاتصال بين آياته وسوره، والتفصيل لا يأتي إلا مقترنا بإجمال يكون بمنزلة التفريق والتذكير، إذ يجد المرء في كل منها دلالة، ولكن دلالة التفصيل كدلالة التعريف أكثر تحديداً من قرينها، ويمكن أن تظهر هذه العلاقة (الإجمال والتفصيل) في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وُكُوبَهُ ۗ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:285]، فالإجمال في هذه الآية جاء في موضعين: الأول (المؤمنون)، والثاني ما أنزل إلى الرسول، فكان التفصيل الأول بقوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمِنٌ﴾، وكان الثاني بقوله تعالى: ﴿بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وُكُوبَهُ ۗ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۗ﴾، فكان التفصيل أوغل في الفهم من الإجمال في الموضوعين.<sup>(2)</sup> وبهذا يكون الإجمال بذكر ألفاظ تدل دلالة جامعة على مجموعة من المعاني، أما التفصيل فترتب فيه هذه المعاني لتوضيح ما جاء في عبارة الإجمال.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في القرآن الكريم، ص 286/285.

<sup>2</sup> - ينظر: تمام حسان، اجتهادات لغوية، ص 303.

وقد ضم القرآن الكريم في كثير من المواضع علاقة الإجمال والتفصيل، التي كان لها دور فعال في تعالق الدلالات الجزئية للآيات القرآنية، فمثلا قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿١٠٠﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠١﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف:9/12]، تضمنت هذه الآيات إجمالاً لقصة أصحاب الكهف في أحداثها الرئيسية الأربعة: (الإيواء إلى الكهف، دعاء الله عز وجل، النوم، البعث والتساؤل)، وبعد ذلك جاء قوله تعالى: ﴿حُنُّ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:13]، فهذا شروع في تفصيل ما أجمل فيما سبق؛ أي نحن نخبرك بتفصيل خبرهم الذي له شأن عظيم.<sup>(1)</sup> فمما سبق ندرك أن الانسجام الدلالي التام تجسد في صورة الجمع بين مجموع الآيات؛ حيث تضمنت الآيات الأولى إجمالاً للمعاني التي لا يمكن إدراكها إلا بالتفصيل المتضمن في الآية اللاحقة.

ومن أمثلة الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم - أيضا - قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:142]، يقول الزمخشري: "روي أن موسى - عليه السلام - وعد بني إسرائيل،

<sup>1</sup> - ينظر: جلال مصطفى، الانسجام النصي وعلاقاته (النظرية والتطبيق)، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع 39، الجزائر: دت، ص 192.



وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون، سأل موسى ربه الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوماً، وهو شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين، أنكر خلوف فيه فسوك، فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك. وقيل أوحى الله تعالى إليه: أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك... وقد أنزل عليه التوراة في العشر وكلم فيها. ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة، وفصلها ههنا.<sup>(1)</sup> فالآية السابقة التي تضمنت التفصيل شكلت مع آية الإجمال ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا

مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: 51] ترابطاً مفهوماً تجسدت فيه صورة الاتصال الدلالي بين عناصر النص الفكرية، وظهر ذلك التماسك التام والانسجام المنقن بين كل عناصر النص وهذا ما يجعلنا نقول أن علاقة الإجمال والتفصيل من العلاقات الشديدة الصلة بالانسجام النصي بما تحمله من إحالة قبلية، كون أنها تقوم بشرح ما سبق إجماله، وهذا الترابط الدلالي يحكم اتصال مختلف المعاني في مختلف النصوص، والنص القرآني هو أكملها وأتمها في طبيعة هذا الترابط.

### 2-7-2- علاقة التوضيح:

وهي من العلاقات الدلالية التي تحقق انسجام النص، ومقصودها أن يكون ظاهر الجمل في النص مبهما يحتاج على التوضيح، فتأتي جملة أو أكثر في موضع آخر من

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج2، ص 500.

النص توضح هذا الإبهام<sup>(1)</sup>، ولا يتضح مفهوم هذه الجملة إلا بإيراد جملة تكون بمثابة الإيضاح لما ورد في الجمل السابقة لها من معان.

ويمكن التمثيل لهذه العلاقة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:37] وقد فسر "الزمخشري" هذه الآية بقوله: "معنى تلقى؛ استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها [...] فإن قلت ما هن؟ قلت: قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا...﴾ [الأعراف:23]"<sup>(2)</sup>؛ أي إن لفظ (كلمات) الذي جاء في الآية الأولى كان مبهما غير واضح الدلالة، فكانت الآية الثانية توضيحا لطبيعة هذه الكلمات، وذلك ما أظهر على النص انسجاما منقطع النظير.

وتظهر هذه العلاقة - أيضا - في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة:108]<sup>(3)</sup> ومعنى ذلك "أن لا يقترحوا على رسلكم ما اقترحه آباء اليهود على موسى - عليه السلام - من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف:138] ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ فَأَخَذْتَهَا حَتًّا ۗ أَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ لَكُمْ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النساء:153]"<sup>(4)</sup>، فجاء توضيح ما سئل موسى في سورتي الأعراف والنساء، وبذلك تم الترابط الدلالي بين أجزاء النص القرآني.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 290/291.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 256.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ص 292.

<sup>4</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 309.

### 2-7-3- علاقة التعليل:

تعتبر هذه العلاقة "من أهم علاقات الانسجام النصي، حيث تعنى بالربط المعنوي، وتتداخل في حقيقتها مع العلاقة السببية، وتكمن فائدتها في التقرير والإبلاغ، فإن النفوس تتبعث إلى نقل الأحكام المعللة، بخلاف غيرها، وغالب التعليل في القرآن الكريم فهو على تقدير جواب سؤال افترضته الجملة الأولى، وهو سؤال عن العلة، وقد توظف حروف وأدوات تدل عليه مثل: اللام، وإنّ، وأنّ، وإذ، والباء، وكى، ومن، ولعلّ.<sup>(1)</sup> فهذه العلاقة تقوم في أصلها على الربط اللفظي والمعنوي بين جملتين، فالربط اللفظي يتم بواسطة أدوات معينة، أما الربط المعنوي بين دلالتى الجملتين فيتم بواسطة السؤال المتضمن في الجملة الأولى، وهذا السؤال لا يكون ظاهرا، بل يكون ضمنيا مستتجا، ويتمثل دوره في البحث عن العلة المبينة في الجملة الثانية.

ويمكن التمثيل لعلاقة التعليل من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:01]، فكأن السامع لهذه الآية يسأل: لما أنزل الله على عبده الكتاب؟ ولما كان التعليل جواب سؤال ضمني عن علة الأمر، فقد جاءت الآية الثانية تعليلا للأولى في قوله تعالى: ﴿قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكْتُوبٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف:4/2]، فالآيات مترابطة ترابط علة، الأمر الذي حقق الاستمرارية الدلالية بينها، إضافة إلى لام التعليل

<sup>1</sup> - جلال مصطفىاوي، الانسجام النصي وعلاقاته، ص 194/195.

التي دعمت الانسجام بصنعها التماسك على مستوى سطح النص.<sup>(1)</sup> فبعلاقة التعليل ظهر ذلك الترابط المفهومي التام بين مجموعة من الجمل المتتالية التي تشكلت في تركيب دلالي موحد، وتركيب لفظي متباين ارتبط بعضه بعضا لتحقيق معنى معين، والترابط هنا تحقق في الجانبين اللفظي والدلالي، أما اللفظي فتتحقق بواسطة أداة التعليل اللام، وهذا الترابط (اللفظي) أدى إلى تحقق الترابط الدلالي المحقق - أيضا - بواسطة العلاقة العلية الجامعة بين الجملة الأولى وباقي الجمل التالية لها، وبذلك ظهر النص في شكل دلالي منسجم.

### 2-7-4- علاقة التدرج:

وهي من العلاقات الدلالية التي تحقق انسجام النص وترابطه الدلالي، ويحدث بها الانتقال في النص من مستوى إلى مستوى آخر، أو رتبة أعلى والعكس، أو تدرج المعنى الدلالي للجمل داخل فضاء النص من حال إلى حال، أو من زمن إلى زمن آخر، أو من مكان إلى مكان آخر، ولا شك فالتدرج يعمل على تحقيق التماسك الدلالي في النص.<sup>(2)</sup> فهذه العلاقة تعمل على إظهار ذلك التدرج الدلالي بين عناصر النص؛ حيث ترتب الجمل وما تحمله من معاني حسب طبيعة دورها في خدمة البنية الدلالية الشاملة للنص.

ويمكن التمثيل لهذه العلاقة من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا

عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ<sup>ط</sup>

فَقَالُوا أَبْنَاؤُا عَلَيْنَا بَنَيْنَا<sup>ط</sup> رَبَّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ<sup>ج</sup> قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ

<sup>1</sup> - ينظر المرجع السابق، ص 195.

<sup>2</sup> - ينظر: جلال مصطفاوي، الانسجام النصي وعلاقاته، ص 198.

عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿ [الكهف:21]، فالترج حصل بالانتقال من رتبة العام إلى رتبة الخاص، والظاهر أنّ تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ تخصيص بعد تعميم على معنى لا ريب في تحقيقها، وهو وجه في الآية.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف:35/36]، ففي الآية تدرج في بيان درجة كفر صاحب الجنتين بنعمة الله، وجحوده، فبدأ بإنكاره لزوال النعمة، ثم انتقل بعد ذلك إلى إنكار الساعة، ثم يقول بأنه حتى وإن ردّ إلى ربه فإنه فسيجد المصير نفسه.<sup>(1)</sup> إذ إن التدرج الملاحظ في الآيات القرآنية السابقة جعل البنية الدلالية تظهر في انسجام تام، فكل عنصر من عناصر النص اتصل اتصالاً وثيقاً، وذلك عن طريق تلك العلاقة الجامعة بين كل العناصر المكونة للبنيتين التركيبية والدلالية.

كما يمكن القول أنّ الانسجام الظاهر في البنية الفكرية للنص لا يمكن أن يتحقق إلا إذا قابله ذلك الترابط التام في شكل البنية التركيبية للنص، أي إنّ الترابط الدلالي يقتضي ترابطاً في مستوى البنية التركيبية للنص، وهذا ما جعل علماء لسانيات النص يزوجون بين مصطلحي الاتساق والانسجام في كل دراسة نصية تبحث في مستوى النص.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 200/199.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

- مدخل نظري
- الجمل في سورة يوسف
- وسائل الاتساق النصي في سورة يوسف
- آليات الانسجام النصي في سورة يوسف

### تمهيد:

يقوم البحث العلمي على المزاجية بين التنظير والتطبيق، لذلك ارتأينا أن نخصّص جزءاً من بحثنا للتطبيق على مختلف الظواهر النصّية التي أشرنا إليها في القسم النظري من بحثنا، وتعمدنا الفصل بين القسمين (النظري والتطبيقي) لتكون دراستنا أكثر وضوحاً من ناحية الأمثلة المعتمد عليها في القسم النظري، حيث إنّ هذه الأمثلة لا تخص سورة من سور القرآن الكريم فحسب، بل تخص النصّ القرآني عامة، واعتمدنا هذا التفريق لتكون دراستنا أكثر دقة بالاعتماد على مناهج تطبيقية بحتة كالمناهج التحليلية مثلاً. أما السبب الرئيس لاختيارنا القرآن الكريم كمدونة للبحث فهو كمال النصّ القرآني وتماحه من حيث ضمه لمختلف عناصر الاتساق وعناصر الانسجام، وأما السبب الذي جعلنا نحصر الدراسة في سورة يوسف دون غيرها، فهذا ليس له علاقة بطبيعة البحث، بل هو متعلق بميلنا الذاتي، وسنحاول البحث في مختلف جوانب هذه السورة خاصة ما تعلق بالجانبين التركيبي والدلالي، فمن الناحية التركيبية سنحاول أن نبحت في مختلف الظواهر المتعلقة بالاتساق، ونتتبع نصّ السورة خطوة بخطوة للوصول إلى علاقة كل ظاهرة بالنية النصّية الكلية، أما من الناحية الدلالية فسنبحث في طبيعة العوامل المحققة للانسجام النصّي في السورة، وترابط مختلف العناصر الدلالية التي قام عليها نصّها.

### 1- مدخل نظري:

#### 1-1- التعريف بسورة يوسف:

ذكر بعض العلماء أنّ "الاسم الوحيد لهذه السورة اسم سورة يوسف، فقد ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في ترجمة رافع بن مالك الزرقي عن ابن إسحاق أنّ أبا رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعني بعد أن بايع النبي - صلى الله عليه وسلم -

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

يوم العقبة، ووجه تسميتها ظاهر لأنها قصّت قصة يوسف - عليه السلام - كلّها، ولم تذكر قصّته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورة الأنعام وغافر. وفي هذا الاسم تميّز لها من بين السور المفتحة بحروف ألر.<sup>(1)</sup> فهذا يعتبر دليلاً على عدم وجود اسم آخر لهذه السورة، بل الاسم الذي عرفت به هو سورة يوسف نسبة إلى نبي الله يوسف - عليه السلام -.

وسورة يوسف هي سورة مكّيّة وآياتها مائة وإحدى عشرة آية فقط، وذكرت بعد هود لما يجمع بينهما من تسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقصص الأنبياء السابقين وما لاقوا من أذى الأبعاد، كقصص سورة هود وأذى الأقارب كقصّة يوسف عليه السلام. وتمتاز سورة يوسف بأنّها تناولت قصّته كاملة من أولها إلى نهايتها، حيث شرحت أمره مع أبيه ومع إخوته في صغره وشبابه وكهولته في فقره وغناه، وبينت كيف تأمر عليه إخوته، حتى ألقوه في غيابة الجب، وكيف التقطه بعض المسافرين وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين، وأنه تربى في بيت العزيز<sup>(2)</sup>، إلى آخر قصته التي سنذكر أحداثها لاحقاً.

### 1-2- فضائل سورة يوسف:

قصّة يوسف - عليه السلام - سماها الله عز وجل أحسن القصص؛ لما فيها من العبر والحكم والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والعلماء وكيد النساء ومكرهن والصبر على البلاء وأذى الأعداء. قال خالد بن معدان: سورة يوسف وسورة مريم يتفكّه بهما أهل الجنة في الجنة. وقال ابن عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (دط)، تونس: 1984م، ج12، ص 197.

<sup>2</sup> - ينظر: لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، إشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصحف الشريف، ط3، مصر، 1413هـ/1992م، مج4، ص 273.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

استراح إليه. وأما الحديث المروي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله عليه وسلم: «علموا أرقام سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها أو علّمها أهله أو ما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلماً» فهو من هذا الوجه لا يصح لضعف إسناده بالكلية، وكان عمر رضي الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يوسف.<sup>(1)</sup> حيث إنّ سورة يوسف سورة جمعت الفضائل والحكم والمآثر، وخصها الله عز وجل بسمة بارزة وهي أن تحمل أحداث قصة النبي الكريم يوسف - عليه السلام -.

### 1-3- سبب النزول:

سبب نزول سورة يوسف ما روي عن سعد بن أبي وقاص أنه أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه على أصحابه زمناً فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت، وقيل: هو تسليّة الرسول - صلى الله عليه وسلم - عما يفعله به قومه بما فعلت إخوة يوسف عليه السلام به، وقيل إنّ اليهود سألوه صلى الله عليه وسلم بأمر يعقوب وولده، وشأن يوسف وما انتهى إليه فنزلت، وقيل: إن كفار مكة أمرتهم اليهود أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فسألوه فنزلت. ويبعد القولين الأخيرين - فيما زعموا - ما أخرجه البيهقي في الدلائل عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنّ حبرا من اليهود دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوافقوه وهو يقرأ سورة يوسف فقال: يا محمد من علّمكها؟ قال: الله علّمنيها، فعجب الحبر لما سمع منه فرجع إلى اليهود فقال لهم: والله إن محمداً ليقرأ القرآن، كما أنزل في التوراة، فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه، فجعلوا يستمعون إلى تلاوة سورة يوسف فتعجبوا وأسلموا عند

<sup>1</sup> - ينظر: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 1431هـ/2010م، مج3، ص 503/504.

ذلك. ووجه مناسبتها للتي قبلها اشتمالها على شرح ما قاساه بعض الأنبياء - عليهم السلام - من الأقارب، وفي الأولى ذكر ما لقوا من الأجانب.<sup>(1)</sup> ومن هذا ندرك أن هناك اختلاف بين الرواة في سبب نزول سورة يوسف، إلا أن الأمر المؤكد هو أنها سورة نزلت لإعلام الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بخبر النبي يوسف - عليه السلام - وحاله مع إخوته ليكون ذلك تسلياً له لما يفعله قومه به.

### 4-1- القصة الواردة في السورة:

تمتاز سورة يوسف أنها تناولت قصة النبي يوسف - عليه السلام - من أولها إلى نهايتها، حيث شرحت أمره مع أبيه ومع أخوته في صغره وشبابه وكهولته في فقره وغناه وبينت كيف تأمر عليه إخوته، حتى ألقوه في غيابة الجب، وكيف التقطه بعض المسافرين وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين، وأنه تربى في بيت عزيز مصر، ونشأ فيه نشأة عبد ملوك، وأن جماله في شبابه أغرى به زوجته فراودته عن نفسه فاستعصم، فكادت له عنده، ودفع به كيدها إلى السجن وعاش فيه بضع سنين وكان معه فتيان، وفي ليلة رأيا في المنام رؤيا، وسألاه عن تعبيرها: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ أُمَّأَ أَحَدُكُمْ مَا فَيَسْقَى رَبَّهُ حَمْرًا ط وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ع قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿ [يوسف:41]، وتحقق تأويله لرؤياهما فقتل أحد السجينين وصلب، وعفي عن السجين الثاني، وأصبح ساقياً لملك مصر، ولما رأى الملك رؤيا أزعجته وفشل الكهنة في تأويلها، علم من ساقيه مكانة يوسف في تعبير الرؤيا، فاستدعاه فعبّرهما عرف منه الملك منزلته من العلم، وبرأته زوجة العزيز مما نسبته إليه وجعله الملك

<sup>1</sup> - ينظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، ط1، القاهرة، 1405هـ/1975م، مج5، ص 218.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

---

على خزائن الأرض. ثم بينت السورة القحط الذي أصاب الناس، وبينت كيف كان هذا سببا في حضور إخوته ليتزودوا من الطعام الذي خزّنه يوسف ليكون قوتا للناس في سبع سنين عجاف، وكيف خزّنه حتى يسلم من الآفات هذه المدة، وكيف عاد إليه أبواه وإخوته وكيف رفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا.<sup>(1)</sup> إنّ قصّة يوسف - عليه السلام - الواردة في سورة يوسف، قصة غنية بالعبّر والمآثر والحكم التي يمكن أن يعتبر بها المسلم، حيث دافعت هذه السورة عن العقيدة، وأكدت قضية التوحيد (توحيد الربوبية والألوهية)، إذ إنّ النبي يوسف كان يدعو إلى التوحيد الخالص لله، وعبادته دون غيره مما كان يعبد الناس من أصنام وحجارة.

---

<sup>1</sup> - ينظر: لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مج4، ص 273.

## 2- الجمل في سورة يوسف:

أشرنا في الفصل الأول إلى الخلاف بين النحاة في مسألة تقسيم الجمل، لكن في هذا المقام نفضل اختيار التقسيم الذي يصنف الجمل إلى أربعة أصناف، وهي: الاسمية والفعلية والشرطية والظرفية، وسنحاول في هذا الجزء من البحث أن نحصي عددها ونحلل بعضها بالتركيز على طرق ارتباطها، والأدوات المستعملة في هذا الربط.

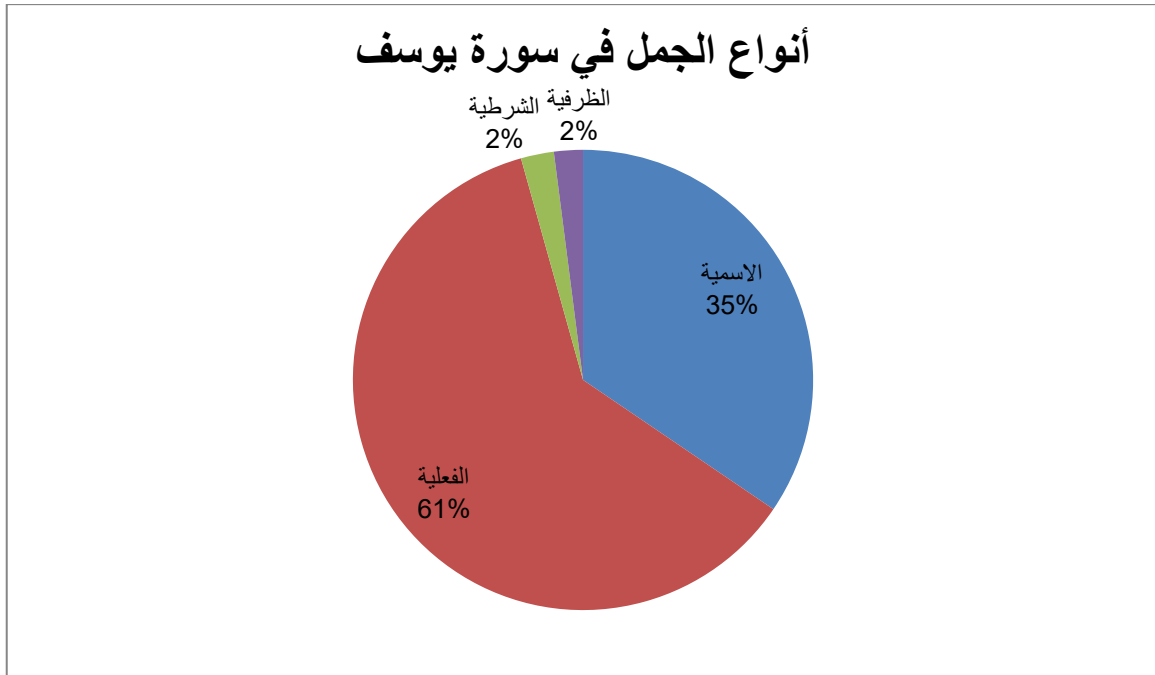
### 2-1- إحصاء عدد الجمل وأنواعها في سورة يوسف:

بعد تتبع كل الجمل الواردة في سورة يوسف تتبعاً دقيقاً، ارتأينا أن نصنف هذه الجمل حسب أنواعها فكانت كالاتي:

النسبة	العدد	الجملة
34.14%	238	اسمية
60.54%	422	فعلية
02.86%	20	شرطية
02.43%	17	الظرفية
100%	697	المجموع

#### الجدول رقم: 01

يمكننا أن نمثل المعطيات الواردة في الجدول في شكل دائرة بيانية لتبدو أكثر وضوحاً وهي كالاتي:



التعليق:

المتأمل للجدول والدائرة النسبية يدرك أن الجمل الفعلية هي الجمل الأكثر توظيفاً في سورة يوسف، وهذا يتناسب تماماً مع الطابع العام الذي يغلب على السورة، وهو الطابع القصصي، كون أنها سورة ذكرت أحداث قصة يوسف - عليه السلام -، بدءاً بإخبار النبي يعقوب - عليه السلام - برؤياه، وصولاً إلى استلامه لزام السلطة ولقائه بإخوته ثم اجتماعه بوالديه، فمن بين الجمل الفعلية نذكر ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:04]، قال الزمخشري: "فإن قلت ما معنى تكرار رأيت؟ قلت: ليس بتكرار؛ إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابه له، كأن يعقوب - عليه السلام - قال له عند قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال:

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾<sup>(1)</sup> فعدد الجمل الفعلية الواردة في هذه الآية ثلاث جمل، الجملة الأولى: (قال يوسف لأبيه)، والجملة الثانية: (رأيت أحد عشر كوكبا)، والجملة الثالثة: (رأيتهم لي ساجدين)، واجتماع هذه الجمل في آية واحدة كان بارتباط بعضها ببعض عن طريق اندماجها مع جمل أخرى، مثل الجملة الاسمية المسبوقة بالناسخ "إن" التي احتوت الجملة الفعلية (رأيت أحد عشر كوكبا) والتي كانت في موضع رفع خبر "إن".

ومن بين الجمل الفعلية الواردة في سورة يوسف الجمل الواردة في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:101]، قال الزمخشري: "(من) في: ﴿مِنَ الْمَلِكِ﴾، و﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: للتبويض؛ لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا، أو بعض ملك مصر وبعض التأويل، ﴿أَنْتَ وَلِيِّّ﴾: أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين، وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي، ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾: طلب الوفاة على حال الإسلام، ولأن يختم له بالخير والحسن، كما قال يعقوب لولده: ﴿وَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102]، ويجوز أن يكون تمني للموت على ما قيل ﴿وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آبائي أو العموم [...] فإن قلت: علام انتصب فاطر السموات؟

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 255.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

قلت: على أنه وصف لقوله تعالى: (رب)؛ كقولك: أبا زيد حسن الوجه، أو على النداء.<sup>(1)</sup> ومن هذا ندرك أن عدد الجمل الفعلية الواردة في هذه الآية أربع جمل، وهي: (قد آتيتني من الملك)، (علمتني من تأويل الأحاديث)، (توفني مسلما)، (ألحمني بالصالحين)، فهذه الجمل ارتبط بعضها ببعض عن طريق جملة من الروابط اللفظية من مثل الواو، واتصلت مع نوع آخر من الجمل، وهو الجملة الاسمية، لتشكل بذلك بنية متكاملة في التركيب والدلالة.

كما ساهمت في اتصال الجمل الفعلية مع الجمل الأخرى سواء كانت فعلية أو نوعا من الأنواع الأخرى جملة من الأدوات اللفظية المنطقية مثل حروف العطف والاستثناء والترجي، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة وغيرها من الروابط التي تصل بين الجمل لفظا ودلالة.

أما النسبة الكبرى الثانية بعد نسبة الجمل الفعلية فعادت للجملة الاسمية، وهي جمل كثيرا ما لاحظنا اتصالها المباشر بالجمل الفعلية، فأحيانا نجدتها تحتوي الجمل الفعلية كونها تقع في موضع الخبر، ولاحظنا أحيانا أخرى أنها تقع مرتبطة بجملة فعلية سابقة أو تالية لها عن طريق رابط منطقي، إلا أنها منفصلة عنها في عناصرها وأركانها ويمكن ملاحظة ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾ [يوسف:07]، فالآيات هنا "حقيقة في آيات الطريق، وهي علامات يجعلونها في المفاوز تكون بادية لا تغمرها الرمال لتكون مرشدة للسائرين، ثم أطلقت على حجج الصدق، أو أدلة المعلومات الدقيقة. وجمع الآيات هنا مرعى فيه تعددها وتعدد أنواعها، ففي قصة يوسف - عليه السلام - دلائل على ما للصبر وحسن الطوية من عواقب الخير

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 327.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

والنصر.<sup>(1)</sup> فالآية الكريمة تضمنت جملة اسمية واحدة تصدرها الفعل الناقص الناسخ "كان"، كما نجد أن الآية تضمنت جملة من الأدوات التي زادت من ترابط ألفاظها وتناسق تركيبها.

كما يمكن الاستشهاد أيضا بآية أخرى تضمنت جملة اسمية وهي قوله تعالى:  
﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39]،  
قال الزمخشري: "﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾ يريد: يا صاحبي في السجن، فأضافهما إلى  
السجن كما تقول: يا سارق الليلة، فكما أن الليلة مسروق فيها؛ فكذلك السجن مصحوب  
فيه غير مصحوب [...] ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾: يريد التفرق في العدد والتكاثر، يقول:  
أن تكون لكما أرباب شتى، يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا، ﴿خَيْرٌ﴾ لكما ﴿أَمْ﴾: أن  
يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية.<sup>(2)</sup> فالجملة الاسمية الواردة  
في هذه الآية الكريمة هي (أرباب متفرقون)، وهي جملة اتصل بها عدد من الألفاظ التي  
وسعت دائرتها التركيبية من الجانبين؛ أي إنها سُبقت بمنادى وأُلحقت باسم معطوف  
وصفات متعلقة به وهذا ما جعل بناءها يبدو في شكل متكامل الأجزاء، وما ساعد على  
هذا التكامل أيضا تلك الأداة الرابطة (أم) بين الجملة الاسمية والاسم المعطوف والصفات  
اللاحقة به.

أما الجملة الشرطية والجملة الظرفية فتواترهما مقارنة بالجملتين الفعلية والاسمية  
كان ضئيلا، حيث نلاحظ أن الجملة الشرطية وردت في مواضع محددة منها ما ورد في  
قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 218.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 285.



أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكْنَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿يوسف:33﴾، فيوسف - عليه السلام - "فَضَّلَ السَّجْنَ مع ما فيه من الألم والشدة، وضيق النفس على ما يدعونه إليه من الاستمتاع بالمرأة الحسنة النفيسة على ما فيه من اللذة، ولكن كرهه لفعل الحرام فضل عنده مقاساة السجن (...). ومعنى (أصب) أمل، والصبو: الميل إلى المحبوب. والجاهلون: سفهاء الأحلام فالجاهل هنا مقابل الحلم. والقول في أن مبالغة (أكن من الجاهلين) أكثر من أن أكن جاهلا كقولك في (وليكونن من الصاغيرين)"<sup>(1)</sup>، فالجملة الشرطية التي تضمنتها الآية الكريمة هي (وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين)، وهي جملة تضمنت الشرط بفعله وجوابه، ووردت مرتبطة بجملة سابقة هي جملة مقول القول المتضمنة للنداء (الدعاء)، وهذا الارتباط والاتصال بين الجملتين ساهمت فيه جملة من الأدوات اللفظية المنطقية كالواو على سبيل المثال.

كما نلاحظ أن الجملة الظرفية قد وردت في مواضع محددة من بينها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّيْتُمْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً ۗ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18]، قال الزمخشري: "فإن قلت: (على قميصه) ما محله؟ قلت: محله: النصب على الظرف؛ كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم، كما تقول: جاء على جماله بأحمال."<sup>(2)</sup> وهذا دليل واضح على أن الجملة ظرفية بما تضمنته من معنى الظرف عند تقدير الكلام الظاهر، ويمكن القول أيضا في هذا المقام أن الجملة الظرفية يمكن أن تتضمن ظرف مكان كما ظهر في الجملة السابقة، كما يمكن أن تتضمن ظرف زمان كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 266/265.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 262.

أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿يوسف:54﴾، "الضمير المنصوب في (كلمه) عائد على الملك، فالمتكلم هو يوسف - عليه السلام - ، والمقصود من جملة (فلما كلمه) إفادة أن يوسف عليه السلام كلم الملك كلاما أعجب الملك بما فيه من حكمة وأدب. ولذلك فجملة (قال إنك اليوم لدينا مكين) جواب (لما). والقائل هو الملك لا محالة.<sup>(1)</sup> ومن هذا ندرك أن الآية الكريمة تضمنت جملة شرطية، وهي الجملة التي بدئت بـ "لما"، وتضمنت الجملة الظرفية التي تضمنت ظرف الزمان (اليوم)، والارتباط الوثيق بين الجمل في الآية الكريمة يجعلنا نجد صعوبة في تحديد أطراف الجمل وحدودها، بل هذا التلاحم والارتباط يظهر الآية كلها على أنها جملة واحدة.

### 3- وسائل الاتساق النصي في سورة يوسف:

إنّ تنوع أدوات الاتساق النصي وتعددتها في سورة يوسف عامة، وفي كل آية من آياتها خاصة يجعل تحديد كل وسيلة بشكل منفرد أمرا صعبا، لذلك رأينا أن نورد الآية ثم نتبعها بذكر أدوات الاتساق المعتمد عليها فيها، لكي نجتنب تكرار الآية في كل مرة ولكي نظهر دور كل أداة من الأدوات في الاتساق العام للنص القرآني، وسنحاول في تحليلنا أن نحيط بكل الأدوات المستعملة بشكل مرتب يوازي الترتيب المعتمد في الجانب النظري.

#### 1- ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

قال "الزمخشري" في تفسير هذه الآية: "﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة،

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾: السورة، أي: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة الظاهر

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 07.

أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله، لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا تشته على العرب معانيها لنزولها بلسانهم<sup>(1)</sup>، ما يمكن ملاحظته على الآية الكريمة أنها اشتملت على وسيلة اتساق واحدة وهي الإحالة، ونوعها الإحالة باسم الإشارة (ذلك)؛ حيث أحال هذا الاسم على كل الآيات التي ضمتها سورة يوسف، والتي تعتبر جزءا من كل وهو القرآن الكريم، وهذه الإحالة هي إحالة داخلية بعيدية كون أن اسم الإشارة أحال على لفظ بعده: (آيات)، وهذا اللفظ يشير إلى آيات سورة يوسف دون غيرها من آيات السورة الأخرى، وابتداء سورة يوسف باسم الإشارة الحامل لدلالة الإحالة على عنصر واقع بعده، يوحى إلى ذلك الترابط اللفظي والدلالي بين بداية السورة وبين الآيات المكونة لها، كما يدل على ارتباط عناصر الآية الأولى واتساقها مع باقي عناصر الآيات الأخرى.

### 2- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾

أنزل القرآن بلسان عربي؛ "أي لكي تفهموا معانيه، وتعملوا، وتتحققوا، فتكونوا عقلاء حقا، والمنة بنزول القرآن على العرب واضحة لما في ذلك من تشريف للعرب والعربية، والمنة على العالم بنزول هذا القرآن بهذه اللغة، لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني فهي أشرف اللغات."<sup>(2)</sup> فالقرآن الكريم كتاب يختلف عن الكتب السابقة له في أنه كتاب أنزل بلغة العرب تشريفا لهم وتفضيلا لهذه اللغة الشريفة، وقد حملت معنى التعليل جملة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، "أي رجاء حصول العلم لكم من لفظه ومعناه، لأنكم عرب فنزوله بلغتكم مشتملا على ما فيه نفعكم هو سبب

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 250.

<sup>2</sup> - سعيد حوى، الأساس في التفسير، مج5، ص 225.

لعقلكم ما يحتوي عليه، وعبر عن العلم بالعقل للإشارة إلى أنّ دلالة القرآن على هذا العلم قد بلغت في الوضوح حدّاً أن ينزل من لم يحصل له العلم منها منزلة من لا عقل له وأنهم ما داموا معرضين عنه فهم في عداد غير العقلاء.<sup>(1)</sup> وفي هذا إشارة واضحة إلى مكانة العقل في الدين الإسلامي وما له من دور في تحقيق العلم وتحصيله.

ما يمكن ملاحظته على الآية الكريمة أنها آية ضمت وسيلة اتساق واحدة، وهي الإحالة التي جمعت بين ألفاظ الآية وربطتها ربطاً منطقياً لفظياً، كما أنّها ربطت بين ألفاظ هذه الآية وألفاظ الآية السابقة، وتظهر الإحالة في لفظ (إنّا)، حيث أحال الضمير (نا) المدغمة نونه في نون (إنّ) على اسم الجلالة (الله)، ونجد الإحالة أيضاً في خبر إنّ (أنزلناه) وهي إحالة بالضمير الظاهر (هاء) وهو "عائد إلى (الكتاب) في قوله: ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾"<sup>(2)</sup>، فهنا ربطت الإحالة بين جملة (إنّا أنزلناه) والجملة السابقة لها (الكتاب المبين)، وهي إحالة داخلية قبلية، كما تحققت الإحالة بالضمير في لفظ (لعلكم) فالضمير (كم) يعود على العرب، أو يعود على قوم محمد صلى الله عليه وسلم، فهي إحالة مقامية أحال الضمير فيها إلى المخاطبين وهم العرب الذين أنكروا الرسالة التي بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - بها، وهذا التوالي في استعمال الإحالة جعل النص القرآني يبدوا في اتساق تام بين عناصره، وتربط كامل بين ألفاظه، وما يحقق هذا الترابط أيضاً استعمال لفظ (لعل) الذي ربط بين جملتين متتاليتين، حيث إنّ "تقدم وجه وقوع (لعل) في كلام الله تعالى، ومحمل الرجاء المفاد بها على ما يؤوول إلى التعليل عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:52]، وفي آيات كثيرة

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 202.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج12، ص 201.

بعدها بما لا التباس بعده. <sup>(1)</sup> وهذا الترابط الكامل والاتساق التام بين مختلف عناصر الآية القرآنية تحقق بتضافر مجموع الأدوات المستعملة في الآية بما فيها الإحالات ونلفظ لعل.

3- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾

يرى المفسرون أنّ قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ انتصب (أحسن) فيها على وجهين: "أحدهما: أن يكون منصوباً على المفعول به، ولكن إذا جعلت القصص مصدراً واقعا موقع المفعول كالخلق بمعنى المخلوق، أو جعلته فعلاً بمعنى مفعول القَبْضِ والنَّقْصِ بمعنى المنقوص والمقبوض، أي: نقص عليك أحسن الأشياء المقتصة. والثاني: أن يكون منصوباً على المصدر المبين، إذا جعلت القصص مصدراً غير مراد به المفعول، ويكون المقصود على هذا محذوفاً، أي: نقص عليك أحسن الاقتصاص. <sup>(2)</sup> أما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ فيقول أحد المفسرين أن "الضمير في (قبله) للقصص، أي من الغافلين عن معرفته. <sup>(3)</sup> أما "محمد الطاهر بن عاشور" فقد قال أنّ "الضمير في (قبله) عائد على القرآن، والمراد من قبل نزوله بقرينة

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ج12، ص 202.

<sup>2</sup> - أحمد بن يوسف (السمين الحلبي)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دط، دمشق: دت، ج6، ص 430.

<sup>3</sup> - أبو القاسم محمد بن أحمد بن جوزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط: محمد سالم هاشم، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص 409.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

السياق.<sup>(1)</sup> أي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم وما تضمنه من قصة النبي يوسف - عليه السلام - وسائر الأنبياء الآخرين.

إن الآية السابقة عبارة عن نص قرآني تضمن جملة من وسائل الاتساق أولها الإحالة التي تظهر في قوله تعالى: ﴿لَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، حيث استعمل الضمير (نحن) للإحالة إلى المخاطب وهو الله سبحانه وتعالى، واستعمل ضمير الكاف في (عليك) للإحالة على المخاطب وهو النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وهي إحالة أثبتت وجود عناصر التخاطب من مخاطب ومخاطب وخطاب، كما نجد الإحالة في لفظ (أوحينا) وهي إحالة بالضمير أيضا، حيث أحال الضمير إلى المخاطب (الله)، ولفظ (إليك) الذي أحال الضمير فيه (الكاف) على المخاطب، وهذا ما يجعل بنية الجملة تبدو في مظهر ترابط تام بين مختلف عناصرها، كما نجد نوعا آخر للإحالة في الآية الكريمة وهو الإحالة باسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى: ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ وهي إحالة نصية بعدية حيث ارتبط الاسم المبهم (هذا) بالاسم المبين له (القرآن) ارتباطا مباشرا جعل البنية السطحية تظهر في شكل تلازم، أي إن الاسم الأول يستلزم الاسم الثاني ليظهر المعنى دون لبس، وبالعودة إلى الإحالة بالضمير فقد أحال ضمير الهاء في لفظ (قبله) إحالة نصية قبلية على لفظ (القرآن) وبهذا ارتبط السابق باللاحق ارتباطا تاما، واتصل ألفاظ الآية الكريمة بعضها ببعض اتصالا لفظيا منطوقيا جعلها تمثل مظهرا من مظاهر الاتساق التام للنص.

كما نجد في الآية الكريمة نوعا آخر من أنواع الاتساق، وهو الحذف الاسمي، الذي وقع في قوله تعالى: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، يقول الزمخشري: "نحن نقص عليك

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 204.

أحسن القصص، ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: بإيحائنا إليك هذه السورة، على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر؛ لإضافته إليه، ويكون المقصود محذوفا. <sup>(1)</sup> وتقدير المحذوف: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص، إذا فاللفظ المحذوف هو الاقتصاص، وحذفه جعل البنية اللفظية أكثر تماسكا واتساقا من ذكره، كما أن الحذف فتح بابا لتأويل المعاني والبحث عن علاقتها ببنية الألفاظ.

أما وسيلة الاتساق الثالثة المعتمد عليها في هذا النص القرآني، فهي الاتساق المعجمي، والمتمثل في التكرار، حيث تكرر لفظ القرآن عدة مرات، وفي عدة صور، يقول "محمد الطاهر بن عاشور" موضحا ذلك: "تكرر ذكر القرآن بالتصريح والإضمار واسم الإشارة ست مرات، وجمع له طرق التعريف كلها وهي اللام والإضمار والعلمية والإشارة والإضافة." <sup>(2)</sup> ففي هذا التكرار لفظ "القرآن" تنوع تمثل في عدة صور مختلفة، منها تكرار باللفظ نفسه، ومنها التكرار بالإشارة وغيرها من الصور المذكورة سابقا، وهذا التنوع في التكرار جعل البنية اللفظية مترابطة ترابطا تاما، وذلك باجتماع كل عناصرها، واتصال السابق منها باللاحق اتصالا وثيقا، كما يظهر أثر التكرار في تأكيد مختلف المعاني المعبر عنها في النص القرآني وإثباتها.

4- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

سَجْدِينَ ﴿﴾

ضمت الآية الكريمة كلام يوسف - عليه السلام - وتحديثه بشأن ما رآه في منامه حيث إن لفظ "﴿إِذْ قَالَ﴾" العامل فيه اذكر المضمرة، أو القصص ﴿يَتَأَبَّت﴾ أي يا أبي

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 250.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 204.

والتاء للمبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل الكواكب في المنام إخوته، والشمس القمر أبواه، وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك.<sup>(1)</sup> وتحقق هذه الرؤيا كان في آخر السورة لما استقدم يوسف أبويه وإخوته إلى مصر بعد أن صار عزيزها.

قام النص القرآني السابق على جملة من وسائل الاتساق التي ربطت بين جملة ربطا تاما، وأول هذه الوسائل هي الإحالة، حيث أحال ضمير الهاء في (لأبيه)، وضمير ياء المتكلم المبدلة تاء في (أبت)، وياء المتكلم في (إني)، وتاء المتكلم في (رأيت)، وتاء المتكلم في (رأيتهم)، وياء المتكلم في (لي) إحالة نصية قبلية على الاسم السابق (يوسف)، وبهذا عملت هذه الضمائر على تحقيق الاتساق النصي من جهة، واجتناب الوقوع في التكرار غير المفيد من جهة أخرى، ونجد الإحالة بالضمير أيضا في لفظ (رأيتهم)، حيث أحال الضمير (هم) إحالة نصية قبلية على الكواكب والشمس والقمر، كما نجد في النص القرآني السابق آية أخرى من آليات الاتساق، وهي الاتساق المعجمي المتمثل في التكرار، حيث تكرر الفعل (رأيت) تأكيدا للكلام وإثبات له، كما أنه ساهم في الربط بين الكلام السابق واللاحق ربطا جعل منه بنية متلاحمة في شكلها السطحي الظاهر، وفي شكلها الدلالي المنسجم، إضافة إلى هذا قام الاتساق النصي في الآية على آلية الوصل بالعطف، أو ما يسمى بالوصل الإضافي، حيث ساهم حرف العطف (الواو) في الربط بين جملتين متتاليتين ربطا لفظيا منطويا، وذلك بتأخير الشمس والقمر وعطفهما

<sup>1</sup> - أبو القاسم محمد بن أحمد بن جوزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص 410/409.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

بالواو على الكواكب، قال الزمخشري: "فإن قلت لم أخرج الشمس والقمر؟ قلت: أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص؛ بيانا لفضلهما، واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع."<sup>(1)</sup> وهذا الوصل بين الجملتين عن طريق حرف العطف أدى إلى اتساق البنية اتساقا تاما.

إنّ تضافر كلّ أدوات الاتساق المستعملة في نص الآية السابقة جعل بنيتهما الشكلية الظاهرة تبدو في شكل نسيج تام الترابط والالتحام؛ فكل عنصر من عناصرها يتصل بالعنصر السابق أو العنصر اللاحق له اتصالا لفظيا تاما، كما انعكس هذا الترابط اللفظي على البنية الدلالية وساهم في وضوحها وتمام ترابطها وانسجامها.

5- ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ مَجْتَبَيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئَالٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧﴾﴾

ذكر "محمد الطاهر بن عاشور" في معرض تفسيره للنص القرآني السابق أن جملة (قال يا بني...) "جاءت مفصولة عن التي قبلها على طريقة المحاورات [...] والنداء مع حضور المخاطب مستعمل في طلب إحضار الذهن اهتماما بالغرض المخاطب فيه. و(بني) بكسر الياء المشددة تصغير ابن مع إضافة ياء المتكلم."<sup>(2)</sup> وأضاف الزمخشري أن "الرؤيا بمعنى: الرؤية؛ إلا أنّها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، وفرق بينهما بحرفي التانيث، كما قيل: القربة والقربى [...] ﴿مَجْتَبَيْكَ رَبُّكَ﴾ يعني: وكما

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 254.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 212.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن، كذلك يجتبيك ربك لأمر عظام.<sup>(1)</sup> فالنبي يوسف روى لوالده - عليهما السلام - ما رآه في منامه، ولعظم الشأن الذي يحمله المنام نبهه يعقوب - عليه السلام - من أن يقص على إخوته ما رآه خوفا من كيد الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وبشره بمنزلة رفيعة وهي النبوة وعلم بتأويل الأحاديث.

إن المتأمل للنص القرآني السابق يدرك أنه قام على جملة من أدوات الاتساق ولعل أبرزها الإحالة (كما رأينا في القسم النظري أنها أكثر أدوات الاتساق دورانا في النصوص) التي تمثلت في أغلب صورها في الإحالة الداخلية بالضمير، حيث أحال ضمير المتكلم (الياء) في (بنّي) على لفظ (أبيه) أو يعقوب - عليه السلام - أو المخاطب الذي طلب إحضار الذهن بالنداء، وأحال الضمير المستتر (أنت) في (تقصص) وكاف المخاطب في (رؤياك) و(إخوتك) و(يجتبيك) و(ربك) و(يعلمك) و(عليك) و(أبوبك) و(ربك) على اسم يوسف - عليه السلام - المذكور بلفظه في الآية السابقة: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾، وبهذا تكون الإحالة بالضمير على عنصر سابق في النص قد حققت الربط بين عناصر النص الواحد، كما أنها جنببت التكرار بالإشارة إلى الاسم بضمير دون إعادة ذكره، كما نجد الإحالة بالضمير المستتر (هو) في لفظ (يتم) والضمير الظاهر (هاء) في لفظ (نعمته)، حيث حققت هذه الضمائر إضافة إلى الضمائر المذكورة سابقا تمام اتساق البنية السطحية للنص ككل، وساهمت في تحقيق الترابط التام الذي لا يمكن أن يؤدي دلالة معينة إذا أسقطت هذه الروابط من البنية التركيبية.

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 256/255.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

كما ساهم الوصل بنوعيه (الإضافي والسببي) في اتساق النص القرآني السابق، أما الإضافي فتمثل في العطف بحرف الواو بين جمل وألفاظ مختلفة، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ﴾، وفي قوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ وَعَلَىٰ عَلَيْكَ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وفي قوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾، وهذا العطف الذي مثل صورة من صور الوصل الإضافي الذي حقق ترابط عناصر النص وتلاحمها واتصالها بعضها ببعض ليتجسد الاتساق النصي في أكمل صورته، أما الوصل السببي فكان ظاهرا في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، حيث تحقق عن طريق علاقة الشرط، فقوله: ﴿فَيَكِيدُوا﴾ منصوب في جواب النهي، وهو في تقدير شرط وجزاء.<sup>(1)</sup> فتمثلت العلاقة في سبب أو فعل الشرط (لا تقصص)، ونتيجة أو جواب الشرط (فيكيدوا)، وبهذا ساهمت هذه العلاقة الشرطية المعبرة عن الوصل السببي في الاتساق العام للنص وألحقت هذه العلاقة بجملة ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ "الواقعة موقع التعليل للنهي عن قص الرؤيا على إخوته."<sup>(2)</sup> فهذه الجملة ارتبطت بما سبقها دون أداة لفظية بل ارتبطت عن طريق علاقة بيانية جعلت منها جملة لاحقة لجملة الشرط موضحة لمعناها، كما أن هذه الجملة أكدت على ضرورة امتناع يوسف - عليه السلام - عن إخبار إخوته برؤياه.

6- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِطِينَ ﴿٦٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أُبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٨﴾﴾

<sup>1</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتب المكنون، ج6، ص 439.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 214.

ورد في تفسير "الزمخشري" أن قوله تعالى: ﴿فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ يقصد به أن "في قصتهم وحديثهم، ﴿ءَايَاتٍ﴾: علامات، ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء ﴿لِّلسَّالِينَ﴾: لمن سأل عن قصتهم وعرفها، وقيل: آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها.<sup>(1)</sup> فكما ذكرنا في السابق أن نفرا من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن خبر يوسف وإخوتهم، وأسماء الكواكب التي رآها يوسف في المنام، رغبة منهم في تعجيزه وإقامة الحجة عليه، فنزلت سورة يوسف حجة عليهم، ودليلا قاطعا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وذكر "محمد الطاهر بن عاشور" في تفسير الآية الثامنة أن "(إذ) ظرف متعلق بـ (كان) من قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِينَ﴾، فإن ذلك الزمان موقع من مواقع الآيات، فإن في قولهم ذلك حينئذ عبرة من عبر الأخلاق التي تنشأ من حسد الإخوة والأقرباء، وعبرة من المجازفة في تغليطهم أباهم، واستخفافا برأيه غرورا منهم، وغفلة عن مراتب موجبات ميل الأب إلى بعض أبنائه"<sup>(2)</sup> دون البعض الآخر، وهذا لحكمة الله تعالى التي وضعها في نفوس البشر عامة، وفي نفس يعقوب - عليه السلام - على وجه الخصوص.

ضمّ النص القرآني السابق عدة أدوات اتساق، والتي ساهمت في ارتباط عناصر هذا النص في ذاته، وساهمت في اتصاله مع الآيات السابقة له، نذكر من هذه الأدوات: الإحالة، والتي تمثلت في صورة الإحالة بالضمير على عنصر سابق، كما هو الحال في لفظي (إخوته) و(أخوه)، حيث أحال الضمير المتصل فيهما (الهاء) على اسم سابق لهما (يوسف)، كما نجد الإحالة بالضمير في ألفاظ: (قالوا، أبينا، منّا، نحن، أبانا) التي أحالت

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 256/257.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 220.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الضمائر فيها على لفظ مذكور في السابق، وهو لفظ (إخوة)، وبهذا تكون الإحالة قد حققت الترابط بين عناصر الآيتين السابقتين، كما حققت الترابط النصي العام بربط هذا النص بما سبقه من آيات قرآنية، وما زاد من قوة هذا الترابط أيضا هو تلك الأدوات التي نجدها في بداية كل آية، مثل: إذ، وكذلك، لقد، إذ، التي أدت إلى اتصال كل عنصر من عناصر النص بالعنصر الذي يليه دون أن يلاحظ ذلك الانتقال من معنى إلى معنى آخر في النص.

وما يمكن ملاحظته على بنية هذا النص القرآني هو اعتماده على الوصل الإضافي، حيث نجد أنه تحقق في موضعين تمّ فيها الربط بواسطة حرف العطف الواو واعتماده أيضا على التكرار، والذي يعتبر آلية من آليات الاتساق المعجمي، حيث يظهر التكرار في إعادة اسم يوسف - عليه السلام - للمرة الثانية والثالثة، وهذا تأكيدا على أنّ يوسف - عليه السلام - يعتبر محور القصة الواردة في السورة الكريمة، كما يوحي هذا التكرار إلى ذلك التنوع في الإشارة إلى النبي يوسف - عليه السلام -، فتارة يشار إليه بأحد الضمائر ( مثلا المخاطب)، وتارة يذكر اسمه صريحا، وهذا ما يؤدي إلى ذلك التكامل بين مختلف التراكيب الواردة في نصوص الآيات السابقة.

7- ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا سَخْلَ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهَا بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

إنّ جملة ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ جملة مستأنفة استئنفا بيانيا لأنّ الكلام المتقدم يثير سؤالا في نفوس السامعين عن غرض القائلين مما قالوه فهذا المقصود للقائلين. وإنما جعلوا له الكلام السابق كالمقدمة لتتأثر نفوس السامعين، فإذا ألقى إليها المطلوب كانت

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

سريعة الامتثال إليه"<sup>(1)</sup>، وهذا من أسمى صور التعبير المستعملة في فن الخطابة، حيث تجد أن الكلام ارتبط بما يسبقه ارتباطا بيانيا كذاك الارتباط الموجود بين السؤال والجواب أي إن المخاطب ليس في حاجة إلى البحث عن أداة تربط كلامه السابق بالكلام اللاحق له.

وما يمكن ملاحظته على هذا النص القرآني أنه ضم عدة وسائل للاتساق وهي: الإحالة، والوصل، والاتساق المعجمي (التضام والتكرار). أما الإحالة فعبرت عنها جملة من الألفاظ منها: (اقتلوا، اطرحوه، لكم، أبيكم، تكونوا)، وهي ألفاظ فيها استدعاء لأذهان المخاطبين بواسطة فعل الأمر الذي تضمن ضميرا مستترا تقديره أنتم، وهذا الضمير جسد الإحالة للأشخاص المخاطبين في المقام، وهم إخوة النبي يوسف - عليه السلام - والمخاطب هنا (الأمر بالقتل) "قيل: شمعون، وقيل: دان، والباقيين: راضين، فجعلوا آمرين"<sup>(2)</sup>، فكان الأمر بالقتل أنزل منزلة المأمور به، أو أنّ الأمر حوار دار بين إخوة يوسف، كما نجد الإحالة بضمير (الهاء) في لفظ (اطرحوه) العائد على اسم (يوسف) المذكور في أول النص، والإحالة بالضمير (كم) العائد على إخوة يوسف، ومما يلاحظ أيضا أن هذا التنوع في الإحالة جعل النص متماسكا في بنيته التركيبية، حيث ارتبطت عناصر النص ارتباطا مختلفا باختلاف شكل الإحالة وطبيعتها، وهذا ما أدى إلى ارتباط المعاني وانسجامها وانسجاما تاما.

أما الوصل فتمثل في العطف باستعمال أداة التخيير (أو) وأداة (الواو)، حيث ساهمتا في الربط المباشر بين عنصرين متتالين ربطا إضافيا، وتحقق الوصل أيضا في تلك العلاقة الجامعة بين السبب والنتيجة، أو ما يسمى بالوصل السببي، (اقتلوا

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 222.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 258.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

يوسف.....يخل لكم)، (ألقوه..... يلتقطه)، حيث إن هذا النوع من الوصل ترتبط فيه أجزاء الكلام ارتباطاً بيانياً تاماً دون الحاجة إلى رابط لفظي يحقق ذلك.

أما الاتساق المعجمي فظهر في النص بنوعيه (التضام والتكرار)، والتضام يقصد به "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"<sup>(1)</sup> والعلاقة الرابطة بين لفظي (ألقوه/يلتقطه) هي علاقة التعارض، أي أن اللفظين متضادين في المعنى، مجتمعان في التركيب، وهذا ما حقق التلاحم والاتساق بين عناصر النص الواردة فيه. أما التكرار فهو إعادة لاسم يوسف - عليه السلام - للمرة الرابعة، وهذا ما أكد مرة أخرى على الدور المحوري لهذا الاسم في بيعة نصّ السورة، وحقق تكرار هذا الاسم ارتباطاً ظاهراً بين مختلف الجمل المكونة لهذا النصّ.

8- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

إنّ جملة ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ استئناف بياني؛ لأنّ سوق القصة يستدعي تساؤل السامع عما يجري بعد إشارة أخيهم عليهم، وهل رجعوا عمّا بيتوا وصمّموا على ما أشار به أخوهم"<sup>(2)</sup>، فهذه الجملة ارتبطت بما يسبقها من كلام ارتباطاً بيانياً غير لفظي كون أن المتلقي يتساءل عما سيحدث بعد الحوار الذي دار بين الإخوة

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 25.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 227.

في أمر يوسف، وفي الجملة أيضا استدعاء لذهن المخاطب باستعمال النداء (يا أبانا) ثم استفهام يليه تعليل، ثم طلب يليه وعد بالحفاظ على يوسف وحمايته. يلاحظ أنّ توالي هذه الأساليب المتضمنة لجملة من الأفعال المختلفة جعل البنية التركيبية تبدو في شكل متسلسل يرتبط كل لفظ فيه باللفظ المجاور له ارتباط استدعاء؛ أي أن كل لفظ يستدعي استلزاما اللفظ الذي يليه.

وما يلاحظ على النصّ القرآني السابق أن "جملة (وإنّا له لناصحون) معترضة بين جملتي (مالك لا تأمنا) وجملة (أرسله). والمعنى هنا: أنهم يعملون ما فيه نفع ليوסף وجملة (أرسله) مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن الإنكار المتقدم يثير ترقب يعقوب - عليه السلام - لمعرفة ما يريدونه منه ليوסף"<sup>(1)</sup>، وبهذا تتضح تلك العلاقات القائمة بين الجمل المكونة لهذا النصّ القرآني، فهي علاقات رابطة تجمع كل جملة بأختها جمع تعالق حيث إن كل جملة تمهد لبناء الجملة التي تليها، وتكون بمثابة القاعدة المؤسّسة لها.

وما يلاحظ على هذا النصّ القرآني أيضا أنّه اعتمد في بنائه على جملة من وسائل الاتساق، والمتمثلة في: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فهي أكثر الوسائل استعمالا في هذا النصّ، وقد استعملت في هذا الحوار الذي دار بين يعقوب - عليه السلام - وأبنائه، فاستعملت مختلف الضمائر للإحالة على المخاطبين (هم إخوة يوسف - عليه السلام -)، وظهرت هذه الضمائر في الألفاظ التالية متصلة أو مستترّة: (قالوا، أبانا، تأمنا، إنا، معنا، إنا، تذهبوا، إنا)، أما الضمائر المنفصلة فتمثلت في ضميرين هما: أنتم، ونحن، والملاحظ أنّ كل هذه الضمائر أحالت على إخوة يوسف - عليه السلام - فزادت من درجة تماسك النصّ تركيبيا دون إعادة لفظ "الإخوة"

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 228.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

تجنبنا للتكرار. واستعملت ضمائر المتكلم المتصلة الدالة على المفرد أثناء مخاطبة يعقوب - عليه السلام - لأبنائه، فمنها الظاهرة: إني، ليحزنني (الياء)، والمستتر: قال (هو) أخاف (أنا)، التي أحالت على ذات المتكلم المخاطب أثناء رده على أبنائه، كما نجد الإحالة بالضمير على اسم يوسف - عليه السلام - الظاهرة في الألفاظ التالية: أرسله (الهاء)، يرتع، يلعب (الضمير المستتر: هو)، له، به، يأكله، عنه، أكله (الهاء)، فهذه الضمائر حققت الربط اللفظي بين أجزاء النص، وساهمت في ترتيب الألفاظ ترتيباً يقابل ترتيب المعاني وانسجامها دلالياً.

أما العنصر الثاني من عناصر الاتساق الملاحظة على بنية النص السابق، فهو الحذف الذي يعتبر من بين الآليات الدقيقة المساهمة في اتساق مختلف النصوص، فقد اعتبره "الرجاني" من الفصاحة ويظهر ذلك في قوله: "فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر"<sup>(1)</sup> والحذف لا يقع في الكلام إلا بوجود قرينة تدل على اللفظ المحذوف فيه، وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فمنهم "من قرأ: (نرتع) رباعياً جعل مفعوله محذوفاً، أي: نُرعي مواشينا، ومن بناها للمفعول فالوجه أنه أضمر المفعول الذي لم يسم فاعله وهو ضمير الغد، والأصل: نرتع فيه ونلعب فيه."<sup>(2)</sup> ندرك من هذا أن العنصر المحذوف هو (مواشينا)، وبهذا يكون نوع الحذف اسمياً، والقرينة الدالة على هذا الحذف هي ما يحمله فعل الرعي من معنى؛ أي إنه فعل يختص بالمواشي أو الحيوانات المُنْتَفَع بها التي تُرعى حفاظاً على سلامتها وسلامة منافعها. ووقع الحذف أيضاً في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن آكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ والمحذوف هنا القسم المفتوح به الكلام، "وتقديره: والله، ﴿لَئِن آكَلَهُ الذِّئْبُ﴾:

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.

<sup>2</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون، ج6، ص 450.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

واللام موطنة للقسم<sup>(1)</sup>؛ أي إن المحذوف اسم الجلالة الدال على القسم، إذا فهذا أيضا حذف اسمي والقرينة الدالة عليه هي اللام الموطنة للقسم، والمرجعية فيه هي مرجعية لاحقة.

أما العنصران الآخريان المعتمد عليهما في اتساق النص السابق فهما الوصل والاتساق المعجمي، أما الوصل فتمثل في النوع الإضافي الذي ظهر في العطف بين الجمل والألفاظ بواسطة أحد حروف العطف، وهو حرف الواو، أما الاتساق المعجمي فتمثل في التكرار الظاهر في صورتين: صورة تكرار الاسم (يوسف) مرة أخرى بعدما تكرر في الجمل السابقة عدة مرات، وتكرار الفعل (قالوا) الدال على أن أصل الكلام حوار بين يعقوب - عليه السلام - وأبنائه، وهذا التكرار الظاهر في النص آلية ساهمت مساهمة فعالة في ربط عناصره بعضها ببعض، وتأكيد مختلف المعاني وربطها بما يناسبها من ألفاظ، والتكرار الظاهر في هذا النص دل دلالة واضحة أيضا على أن يوسف - عليه السلام - هو المحور الذي قامت عليه القصة التي اشتملت عليها السورة ككل.

9- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۗ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٥٢﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۗ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٥٣﴾﴾

ذكر "محمد الطاهر بن عاشور" أن "تفريع حكاية الذهاب به والعزم على إلقائه في الجب على حكاية المحاوراة بين يعقوب - عليه السلام - وبنيه في محاولة الخروج بيوسف

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 260.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

- عليه السلام - إلى البادية يؤذن بجمل محذوفة فيها ذكر أنهم أحوأ على يعقوب - عليه السلام - حتى أقنعوه فأذن ليوسف - عليه السلام - بالخروج معهم، وهو إيجاز<sup>(1)</sup>؛ أي إن الأمر البادي في بداية هذا النص على أنه اختصار، هو في الأصل كما ذكر المفسرون محاوراة طويلة دارت بين يعقوب - عليه السلام - وبين أبنائه لتحقيق غرضهم المنشود وهذا يدل دليلاً واضحاً على احتواء هذا النص على الحذف الذي يعتبر وسيلة من وسائل الاتساق، وهذه وسيلة لا يستعان بها إلا بوجود دليل يدل على المحذوف، والدليل هنا هو امتناع يعقوب - عليه السلام - عن السماح لأبنائه باصطحاب يوسف - عليه السلام - إلى البادية، وهذا النوع من الحذف يصطلح عليه بالحذف القولي؛ حيث ساهمت هذه الوسيلة في الإيجاز والاختصار، وهذا ما أدى إلى ترك مجال للتأمل والتدبر في طبيعة الحوار الذي دار بين يعقوب - عليه السلام - وأبنائه، كما ساهم الحذف أيضاً في تحقيق الاتساق التام بين عناصر النص القرآني السابق. كما نجد الحذف أيضاً في قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ لأنّ قبل هذه الجملة جملة محذوفة تقديرها: لم يأكله الذئب<sup>(2)</sup> أي إن تقدير الكلام: لم يأكله الذئب بل سولت لكم أنفسكم، وهذا ما يسمى أيضاً بالحذف القولي، الذي يحقق الإيجاز والاتساق في الآن نفسه.

والملاحظ في هذا النص القرآني أيضاً أنه احتوى إضافة إلى الحذف على جملة من وسائل الاتساق المتمثلة في: الإحالة، والاستبدال، والوصل، والاتساق المعجمي؛ أي إنه تضمن كل وسائل الاتساق النصي. أما الإحالة فتمثّلت في الإحالة النصية الداخلية المستعان فيها بالضمير باختلاف أنواعه، فلو تأملنا الألفاظ التالية: (ذهبوا، أجمعوا لتبتئثم، بأمرهم، يشعرون، جاءوا، أباهم، يكون، قالوا، أبانا، أتأ، ذهبنا، نستبق، تركنا

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 233.

<sup>2</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 457.

متاعنا، لنا، كئنا، صادقين، جاءوا، لكم، أنفسكم، تصفون) لوجدنا أنّ الضمائر فيها (متصلة أو مستترة) قد أحالت على لفظ مذكور سابقا في نص سورة يوسف، وهو لفظ "إخوتك" الوارد في الآية الخامسة، ولفظ "إخوته" الوارد في الآية السابعة، وبهذا فقد ارتبط السابق باللاحق ارتباطا مباشرا دون الحاجة إلى تكرار اللفظ، ولو تأملنا الألفاظ التالية: (به، يجعلوه، إليه، لتتبننهم، أكله، قميصه) لوجدنا أنّها احتوت على نوعين من الضمائر: الضمير المستتر (أنت) في (تتبننهم) وضمير الهاء في باقي الألفاظ، حيث أحالت هذه الضمائر على اسم يوسف - عليه السلام - المذكور في الآيات السابقة، هذا ما أدى إلى ارتباط كل العناصر السابقة ارتباطا لفظيا بعناصر الآيات التي ضمت هذه الضمائر المحيلة، كما تظهر الإحالة بالضمير في لفظ (أوحينا)؛ حيث أحال الضمير (نا) على اسم (ربك) الوارد في نص الآية السادسة ﴿وَكَذَلِكَ مَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾، وهذا يدل دليلا واضحا على تلك العلاقة الرابطة بين أجزاء النص الواحد، والجامعة بين أطراف الكلام السابق واللاحق جمعا يحقق الاتساق النصي التام، ولو تأملنا أيضا لفظ (قال) لأدركنا أنّ الضمير المستتر (هو) فيه يحيل إحالة قبلية على العنصر الثاني (يعقوب عليه السلام) في العملية التخاطبية كون أن أصل الكلام - كما أُشير إلى ذلك سابقا - حوار دار بين يعقوب - عليه السلام - وأبنائه. وقد استعين في تحقيق الإحالة النصية الداخلية باسم الإشارة (هذا) المحيل على (أمرهم) أو على ما اتفق إخوة يوسف - عليه السلام - على فعله، وبهذا يكون قد تحقق التلاحم اللفظي بين أجزاء النص السابق والآيات السابقة له وهذا التلاحم ظاهر في تنوع الأدوات الإحالية المعتمد عليها في هذا النص.

إضافة إلى الإحالة نجد أن النص ظهر اتساقه أيضا في الاستعانة بأداة الاستبدال في قوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾، يقول "محمد الطاهر بن عاشور": "(لتتبننهم) أمر، أي أوحينا إليه نبئهم بأمرهم هذا، أي أشعرهم بما كادوا ليوسف - عليه السلام -

إشعارا بالتعويض، وذلك في قوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾<sup>(1)</sup>، إذا فالاستبدال الواقع هنا هو استبدال الحوار الذي دار بين إخوة يوسف - عليه السلام - حول ما سيقومون به اتجاه يوسف - عليه السلام - للتعزّد بوجه أبيهم، وهو إجماعهم على إلقاء يوسف - عليه السلام - في الجب، وهو الفعل الذي سيخبرهم به يوم لقائهم في مصر وهو عزيزها، وهذا الاستبدال يوجي بوجود ذلك التعالق والاتصال بين جملة العناصر اللفظية المكونة لسورة يوسف، بدءا بذكر ما اتفق العصابة على فعله، وصولا إلى تعويض هذا الفعل بلفظ واحد يشير إليه.

أما وسيلة الوصل فقد ظهرت في النص السابق في ثلاث صور: صورة الوصل الإضافي المعبر عنه بأدوات العطف العاملة على الجمع بين لفظين أو جملتين يكون الحكم فيهما واحد، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾، حيث جمع حرف العطف بين جملة (ذهبوا) وجملة (أجمعوا) وربط بينهما ربطا لفظيا منطقيا جعلهما يظهران في شكل بنية واحدة. أما الصورة الثانية للوصل فتمثلت في الوصل العكسي الظاهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾؛ فالأداة (بل) حققت الوصل العكسي بإبطالها حكما سابقا لها (الحكم المحذوف: لم يأكله الذئب) وإثباتها الحكم اللاحق له (سولت لكم)، وبهذا تكون قد حققت ترابطا لفظيا على مستوى البنية التركيبية بجمعها بين حكمين، وحققت الترابط الدلالي بنفيها لبنية دلالية سابقة وإثباتها لبنية دلالية لاحقة. أما الصورة الثالثة للوصل فتمثلت في الوصل السببي الظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ﴾، حيث

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتتوير، ج 12، ص 234.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

إن السبب تمثل في ذهاب الإخوة للاستباق مع تركهم ليوسف - عليه السلام - عند المتاع والنتيجة هي أكل الذئب له، فارتبط الكلام عن طريق علاقة الشرط الجامعة للأمرين السابقين (السبب والنتيجة)، وتحقق الاتساق النصي التام باجتماع أطراف الكلام واتصالها بعضها ببعض اتصالاً لفظياً منطقياً.

أما وسيلة الاتساق المعجمي فتمثلت في التكرار الظاهر في النص السابق، حيث تكرر اللفظ (جاءوا) للدلالة على فعلة إخوة يوسف - عليه السلام - المتمثلة في شكلين تجسد فيها فعل التكرار، أما الشكل الأول فهو عودتهم وملامح التظاهر بالبكاء بادية على وجههم بعدما أقدموا عليه من إساءة ليوسف - عليه السلام -، أما الشكل الثاني فهو إقدامهم على تطيخ قميص يوسف - عليه السلام - بدم كذب لإقناع يعقوب بصدق كلامهم، أما اللفظ الثاني المكرر في نص الآيات السابقة فهو اسم (يوسف) الذي تكرر مرة أخرى للدلالة على مكانة هذا الاسم في البنية اللفظية الكلية لنص السورة الكريمة وبهذا يكون التكرار قد ساهم في ترابط مختلف العناصر بعضها ببعض، وساهم أيضاً في إظهار صورة الاتساق النصي الكامل في نص سورة يوسف ككل.

10- ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ<sup>ط</sup> قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ<sup>ع</sup> وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً<sup>ع</sup> وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ<sup>ح</sup> خَسِيفٍ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا<sup>ع</sup> وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ<sup>ر</sup> مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ<sup>ع</sup> وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ<sup>ع</sup> وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

فسر "الزمخشري" الآية الأولى من هذا النص بقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة

تسير من قبل مدين إلى مصر؛ وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب، فأخطئوا

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الطريق فنزلوا قريبا منه، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا الرعاة"<sup>(1)</sup> فكان هذا سببا في إيجاد يوسف واصطحابه إلى مصر وبيعه بدراهم معدودات، والذي اشتراه عزيز مصر وأمين خزائنها.

أما أدوات الاتساق التي وظفت في النص السابق فتنوعت واختلفت بحسب السياق المناسب لكل منها، وهي: الإحالة، الوصل، الاتساق المعجمي. أما الإحالة وهي الأداة الأكثر استعمالا في النصوص فتمثلت فيما يلي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
فأرسلوا واردهم أسرّوه يعملون	نصية (داخلية)	هم هم الهاء هم	عنصر سابق
فأدلى - دلوه قال	نصية (داخلية)	هو - الهاء هو	عنصر سابق
هذا غلام	مقامية (خارجية)	هذا	عنصر مقامي
قال الذي اشتراه لامراته أكرمي	نصية (داخلية)	هو - الذي - الهاء الهاء أنتِ	عنصر سابق
مثواه - ينفعنا - نتخذه	نصية (داخلية)	الهاء - نا - نحن - الهاء	عنصر سابق
مكّنّا - لنعلّمه	نصية (داخلية)	نا - نحن - الهاء	عنصر سابق

### الجدول رقم: 02

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 264.

### التعليق:

يتبين لنا من خلال الجدول السابق أن الإحالة الواردة في النص القرآني (من الآية 19 إلى الآية 21) هي إحالة تراوحت بين النصية الداخلية والمقامية الخارجية، أما النصية فتمثلت الأدوات المستعملة فيها في الضمائر باختلاف أنواعها: (المتصلة والمستترة)، فساهمت هذه الضمائر في ترابط مختلف العناصر واتصالها ببعضها ببعض من خلال تلك العلاقة الناشئة بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه، كما نجد أن الإحالة تحققت بواسطة اسم الإشارة (هذا) الذي أحال على عنصر خارج النص، وهو الغلام (يوسف) الذي استخرجه الوارد من البئر، كما أنّ الإحالة تحققت أيضا بواسطة الاسم الموصول (الذي)؛ حيث ارتبطت به صلة تبينه وتوضح إبهامه، وبهذا تكون كل هذه الأدوات المستعملة في الإحالة قد حققت ذلك الاتصال والترابط بين عناصر النص الواردة فيه، والعناصر الواردة في الآيات السابقة له، فتجسد التلاحم اللفظي (الاتساق) في أتمّ صورته وأكملها؛ حيث إن كل أداة إحالة مستعملة لتحقيقه لا يمكن أن تعوضها أداة أخرى، أو تحل محلّها بأي حال من الأحوال.

أما أداة الوصل فتمثلت في النص السابق في نوعين: الوصل الإضافي والوصل العكسي، أما الإضافي فظهر في أدوات العطف الواصلة (الواو، الفاء)، وهذا العطف استعمل لربط آية بآية أخرى، أو استعمل لربط عناصر الآية الواحدة، يقول "محمد الطاهر بن عاشور" في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾: "عطف على ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ عطف قصة على قصة. وهذا رجوع إلى ما جرى في شأن يوسف - عليه السلام -، والمعنى: وجاءت الجب<sup>(1)</sup>، فتحقق الوصل

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 241.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الإضافي في هذه الآية بواسطة الرابطين: الواو، والفاء. أما الوصل العكسي فتحقق بواسطة الأداة (لكن) الظاهرة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حيث إن هذه الأداة حققت ارتباط السابق لها باللاحق لها ارتباطاً لفظياً لا يتحقق إلا بواسطتها.

أما الاتساق المعجمي فقد تمثل في النص القرآني السابق في التكرار، حيث تكررت عدة ألفاظ ورد ذكرها في الآيات السابقة، مثل الفعل (جاء) الذي ظهر في ثلاث صور: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ﴾ و﴿وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ﴾ و﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وكل صورة من هذه الصور تحمل معنى يختلف عن معنى الصورة الأخرى جزئياً، ومن هذه الألفاظ الواردة في الآيات السابقة اسم (يوسف) الذي تكرر عدة مرات سابقاً، وهذا ما يدل على دور هذا الاسم في قصة يوسف - عليه السلام - وفي سورة يوسف أيضاً، كما نجد نوعاً آخر للتكرار في هذه الآيات، وهو تكرار جملة بأكملها، وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِمَّن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، حيث تكررت هذه الجملة تكراراً جزئياً بتغيير الضمير المسند إليه الفعل (علم) فقط، وهذا التكرار فيه تأكيد على قيمة معنى هذه العبارة (تأويل الأحاديث) بالنسبة ليوسف - عليه السلام -، وتأكيد على أن الله سبحانه وتعالى هو الذي علم يوسف - عليه السلام - واجتباؤه وفضله على سائر عبادته، كما ندرك من خلال هذا التكرار ذلك الارتباط والاتصال بين مختلف أجزاء هذا النص القرآني (سورة يوسف) حيث ساهم التكرار في الاتساق العام الذي ظهر في أكمل صورته وأتمها على الإطلاق.

10- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ط

إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

جاء في الكشف أن "الأشد: ثماني عشرة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون وقيل أقصاه تثنان وستون، ﴿حُكْمًا﴾: حكمة، وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل: حكما بين الناس وفقها، ﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: تتببه على أنه كان محسنا في عمله [...] المرادة: مفاعلة، من راد يرواد إذا جاء وذهب، كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه يده." (1) لكن النبي يوسف - عليه السلام - استعصم لما رأى برهان ربه وأبى أن يزله الشيطان إلى فعل السوء، فهو النبي المخلص لبره الذي اجتباه وعلمه من تأويل الأحاديث.

إن المتدبر في النص القرآني السابق يدرك أنه نص اعتمد في اتساقه على عدة أدوات هي: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتتوعدت بين الإحالة بالضمير، والإحالة باسم الإشارة، والإحالة بالاسم الموصل، وكان توظيفها في النص القرآني السابق كما يلي:

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشف، ج3، ص 266/267.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

مرجعية الإحالة	أداة الإحالة	نوع الإحالة	الشاهد
عنصر سابق	هو الهاء هو الكاف - هو - الهاء الهاء الياء	نصية (داخلية)	بلغ أشده - آتينا - راودته هو لك - هم - رأى - ربّه عنه - إنّه - قميصه مثواي
عنصر سابق	نا - نحن نا	نصية (داخلية)	آتينا - نجزي - نصرف عبادنا
عنصر سابق	الهاء التي - هو - الهاء هي الهاء - هي - الهاء هي	نصية (داخلية)	راودته التي هو في بيتها غلقت - قالت - همّت بها - قدت - سيدها قالت
عنصر سابق	ذلك	نصية (داخلية)	كذلك - كذلك
	الهاء - الياء - هو		إنّه ربي - أحسن
	من - هو - الكاف		من أراد بأهلك سوءا

### الجدول رقم: 03

#### التعليق:

يظهر لنا من الجدول السابق أنّ الإحالة الواردة في النصّ القرآني السابق (من الآية 22 إلى الآية 25) إحالة نصية داخلية (إحالة على السابق/ إحالة بالعودة)، وتمثلت الأدوات المستعملة فيها في الضمائر بمختلف أنواعها (المنفصلة، والمتصلة، والمستترة) أما المنفصلة فمثلها الضمير (هو) الذي ظهر في قوله تعالى: ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾

حيث أحال هذا الضمير على اسم (يوسف) إحالة داخلية على عنصر سابق، أما المتصلة فتتبع ظهورها بين الهاء وكاف المخاطب ونون المتكلمين، أما المستترة فكان استعمالها متباينا بين تقدير ضمير المتكلمين (نحن)، وتقدير ضمير الغائب (هي)، ونستنتج من هذا التنوع في استعمال هذه الضمائر أنها أدوات حققت الترابط والاتصال والتلاحم بين مختلف العناصر المكوّنة للنص، كما أنها حققت الاتساق النصي في أكمل صورته وأرقاها، وهذا ما عكس إيجابا على الجانب الدلالي، حيث انسجمت البنية الدلالية الفكرية انسجاما ظهر في ارتباط كل فكرة بما يجاورها من معان وأفكار خدمة للبنية الدلالية الكلية للنص القرآني (سورة يوسف). كما نجد أن من أدوات تحقيق الإحالة في النص السابق اسم الإشارة (ذلك) الظاهر في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾، والاسم الموصول (التي، من)، حيث ساهم كل منهما في تحقيق الاتساق التام والترابط الكامل بين العناصر المكوّنة للنص القرآني السابق.

أما الآلية الثانية التي حققت الاتساق النصي الكامل في النص القرآني السابق فهي الحذف، حيث ظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ<sup>ط</sup> وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ<sup>ع</sup>﴾ فسر "الزمخسري" هذه الآية بقوله: "قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ معناه: ولقد همت بمخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: وهم بمخالطتها، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ﴾: جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها؛ فحذف؛ لأن قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يدل عليه، فالحذف لا يمكن أن يقع في الكلام إلا بوجود دليل يدل على اللفظ المحذوف، ولا يجوز أن نقول أن جواب الشرط مقدّم (هم بها) كون أن الشرط حقه التقديم والصدارة لا التأخير.

أما الآلية الثالثة فهي الوصل الذي ظهر في كل المواضع وصلا إضافيا تمثل في ربط آية بآية أخرى عن طريق حرف العطف (الواو)، أو ربط ألفاظ أو جمل الآية الواحدة، من أمثلة ذلك الوصل ما ورد في بداية النص القرآني السابق ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال فيه "محمد الطاهر بن عاشور": "عطف قصّة على قصّة، فلا يلزم أن تكون هذه القصّة حاصلة في الوجود بعد التي قبلها. وقد كان هذا الحديث قبل إيتائه النبوة لأن إيتاء النبوة غلب أن يكون في سنّ الأربعين"<sup>(1)</sup>؛ أي إن القصة الواردة في الآيات (من 22 إلى 25) عطفت على القصة السابقة لها والمذكورة في الآيات قبل الآية (22)، كما نجد أن العطف غلب حضوره في كل المواضع اللاحقة للموضع المذكور، وفي كل موضع حقق الترابط اللفظي بين مختلف العناصر اللفظية المكونة للآيات السابقة، كما أن الوصل الإضافية ساهم مساهمة كبيرة في تحقيق الاتساق النصي التام.

أما الآلية الرابعة الملاحظة على النص القرآني السابق فهي آلية الاتساق المعجمي المتمثل في التكرار الذي يحدث بإعادة اللفظ عينه، أو إعادة أحد مرادفته، أو إعادة اسم عام يعبر عن اللفظ الأصلي، وهنا نلاحظ أن اللفظ المكرر هو اللفظ ذاته ويظهر هذا في لفظ (همّ) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ<sup>ط</sup> وَهَمَّ بِهَا﴾؛ حيث إن التكرار فيه تأكيد على معنى الفعل (همّ)، وفيه فصل بين دلالتى اللفظين، فدلالة اللفظ الأول تختلف جزئيا عن دلالة اللفظ الثاني، إلا أن الظاهر يوحي بتساوي اللفظين في الدلالة، كون أن رغبة من غلقت الأبواب تختلف عن رغبة من قد قميصه من دبر، وهذا التنوع في الدلالة أدى إلى تنوع تركيبية مختلف المعاني الواردة في النص، والتي يحتاج المتدبر في تأويلها إلى دقة نظر وقوة عقل. كما أن التكرار وقع في لفظ (باب) وظهر

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 249.

ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْيَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْيَابِ﴾، وهو تكرار باللفظ نفسه أيضا، والتكرار عموما يتميز بكونه يحقق الترابط - في الأساس - على مستوى ظاهر النص، وذلك بالاقتران التام بين وحدتين معجميتين، وهذا الاقتران هو الذي يولد الاتساق والترابط بين عناصر النص الواحد، وهذا ما يلاحظ على النص السابق المستعان فيه بالتكرار.

11- ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي<sup>ع</sup> وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ<sup>ط</sup> إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا<sup>ع</sup> وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْكَ<sup>ط</sup> إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾

جاء في الكشاف أن يوسف - عليه السلام - لما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب، وجب عليه الدفع عن نفسه، فقال: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، ولولا ذلك لكرم عليها، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: كان ابن عم لها؛ إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها؛ لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه وقيل: هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب [...] فإن قلت: الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة؟ قلت: لأنها قول من قول، أو على إرادة القول، كأنه قيل: وشهد شاهد، فقال: إن كان قميصه<sup>(1)</sup> والجملة الشرطية ها هنا فيها دلالة على الوصل السببي؛ حيث إن الكلام تضمن معنى السبب والنتيجة، فقوله: ﴿إِنْ كَانَ

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 272/273.

قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبْلِ ﴿ هو السبب الفاعل في نتيجة: ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾،  
والأمر نفسه ينطبق على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ  
الصَّادِقِينَ﴾؛ أي إن الكلام متضمن لسبب ونتيجة، وهذا ما جعل بنيته اللفظية تبدو في  
شكل متسق اتساقا كاملا. كما نلاحظ في النص القرآني السابق نوعا آخر من الوصل،  
وهو الوصل الإضافي الظاهر من خلال استعمال مختلف أداة العطف (الواو)؛ حيث إنها  
ربطت بين مختلف الألفاظ والجمل في النص، وعملت باعتبارها وسيلة لفظية على الربط  
المباشر بين الأجزاء المتوسطة لها، كما يظهر ذلك - على سبيل المثال - في قوله تعالى:  
﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾، وبهذا تكون أداة العطف قد  
حققت الوصل الإضافي الذي يظهر بشكل واضح اتساق عناصر النص وتلاحمها.

كما يمكن أن يلاحظ على النص القرآني السابق أنه نص اعتمد فيه على وسيلة  
أخرى من وسائل الاتساق، وهي الإحالة بنوعيتها: النصية والمقامية، أما النصية فتمثلت  
في الإحالة باستعمال الضمائر واسم الإشارة، أما الضمائر فانقسمت إلى منفصلة ومتصلة  
ومستترة، ويمكن تصنيفها حسب ما أحالت عليه كما يلي:

- 1- يوسف: قال (هو)، راودتني (ي)، نفسي (ي)، قميصه (ه)، هو، هو، قميصه.
- 2- امرأة العزيز: راودتني (هي)، أهلها (ها)، صدقت (هي)، كذبت (هي)، استغفري  
(أنت)، ذنبي (ك)، إنك (ك)، كنت (أنت).
- 3- العزيز (السيد): رأى (هو)، قال (هو).

كما نجد في النص إحالة بالضمير على جملة مذكورة في الآيات السابقة وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾، حيث أحال ضمير (الهاء) في (إنه) على جملة سابقة، يقول "الزمخشري" في ذلك: "علم براءة يوسف وصدقته، وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾: إن قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾: أو إن الأمر، وهو طمعها في يوسف"، وهذه إحالة بالضمير على عنصر سابق، وبهذا تحقق الربط بواسطة الضمائر، وتجسد الاتساق والتلاحم بين عناصر النص القرآني السابقة واللاحقة، كما ظهر ذلك الترابط والانسجام بين مختلف المعاني المحمولة في الألفاظ والجمل المكونة للنص.

كما نجد أن الإحالة النصية تحققت بواسطة اسم الإشارة، والمتمثل في (هذا) الظاهر في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾؛ أي "﴿أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾: الأمر واكتمه، ولا تحدث به"<sup>(1)</sup>، فأحال هذا الاسم على ما اتهمت به امرأة العزيز يوسف - عليه السلام - و عوض كل أحداث القصة التي دارت بين يوسف والعزيز وامرأته، وبهذا يكون هذا الاسم قد حقق الإيجاز كونه عوض عن جملة من الأحداث، وحقق الترابط والتلاحم بين السابق واللاحق، محققا بهذا الأمر كله الاتساق النصي التام. أما النوع الثاني من الإحالة فهو نوع الإحالة المقامية الواقعة في بداية هذا النص؛ حيث نجد أن الضمير المنفصل (هي) قد أحال على موجود (ذات) في مقام التواصل، وهي امرأة العزيز، فقد أحال هذا الضمير إحالة تشبه الإحالة بالإشارة، فكأنه أشار بهذا اللفظ إلى امرأة العزيز ولإدراك ذلك يمكننا تعويض الضمير باسم الإشارة (هذه)، وبهذا الأسلوب الفني الإعجازي

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 274/275.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

تحقق التلاحم والاتساق النَّصي في صورة تامة في عناصرها، كاملة في تحقيقها لوظيفة كمال البنية الكلية للنَّص.

كما أنَّ الملاحظ للنَّص القرآني السابق يدرك أن اتساقه قام على عنصر ثالث، وهو **الاتساق المعجمي** الذي تمثل في التكرار؛ حيث نجد أنَّ اللفظ (قدّ) تكرر ثلاث مرات وهذا التكرار يدل دلالة واضحة على قيمة دلالة هذا اللفظ في المعنى العام للنَّص السابق كما يدل على ذلك الربط الدلالي الحاصل بين الآيات الثلاث التي ورد فيها هذا اللفظ كما نجد في النَّص القرآني السابق تكرر اسم (يوسف) مرة أخرى ليؤكد على قيمة هذا الاسم في المعنى لسورة يوسف، كما نجد أيضا في هذا النَّص نوعا آخر من التكرار، وهو تكرر القول أو الجملة؛ حيث تكررت جملة (قدّ من دبر) للتأكيد على براءة يوسف - عليه السلام - من التهمة التي اتهم بها، كما أكدّ هذا التكرار على ذلك الترابط الموجود بين مختلف أجزاء النَّص، وساهم مساهمة كبيرة في إظهار الاتساق التام الذي تميز به النَّص السابق.

كما نجد في النَّص السابق جملة من **الروابط اللفظية** والعلاقات الدلالية الجامعة بين عناصر النص اللفظية التي ساهمت في بنية الاتساق العام، من بين هذه الروابط اللفظية حروف الجر المتمثلة في: (عن، من، اللام)، وروابط أخرى مثل: (إنّ، لَمَّا)؛ حيث ساهمت هذه الروابط في الجمع بين عناصر النص في كثير من الأحيان، وساهمت في الانتقال من معنى إلى معنى آخر في أحيان أخرى.

12- ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنِ نَفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا ۖ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۗ فَأَمَّا رَأَيْتهُنَّ أَكْبَرْنَهُ ۖ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيهِنَّ

وَقُلْنَ حَسْ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٦٦﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٦٧﴾

قال "الزمخشري" في تفسير هذا النص: "﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾: وقال جماعة من النساء وكن خمسا: امرأة الساقى، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب، والنسوة: اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة؛ وفيه لغتان: كسر النون وضمها، ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: في مصر، ﴿أَمْرًا تُ الْعَزِيزِ﴾: يردن قطفير والعزيز: الملك بلسان العرب، ﴿فَتَنَاهَا﴾: غلامها [...] ﴿شَغَفَهَا﴾: خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف: حجاب القلب"<sup>(1)</sup>، فلما سمعت امرأة العزيز ذلك أعدت لتلك النسوة طعاما وطلبت حضورهن لرؤية ما لمنها فيه، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن، "وتقطيع أيديهن كان من الذهول، أي أجرين السكاكين على أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الفواكه"<sup>(2)</sup>، وشبهن يوسف - عليه السلام - بواحد من الملائكة لحسنه وبهاء منظره ومطلعه.

إن المتأمل للنص القرآني السابق يدرك أنه نص اعتمد في بناء بنيته التركيبية على جملة من الأدوات اللفظية والبيانية التي ساهمت بشكل كبير في اتساقه وتلاحم أجزائه، وهذه الأدوات تتمثل في: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية (الداخلية)، والإحالة المقامية، وتبيانها يكون كالآتي:

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 275.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتتوير، ج 12، ص 263.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
تراود - فتاها - شغفها لنراها - سمعت - أرسلت - أعتدت - آتت قالت - قالت - لمتنني راودته - أمره	نصية (داخلية)	هي - ها - ها ها - هي هي - هي - هي هي - هي - ي أنا - أنا	عنصر سابق
إنّا - لنراها - مكرهن إليهن - لهن - منهن عليهن - رأينه - أكبرنه قطّعن - أيديهن - قلن فذلكن - لمتنني	نصية (داخلية)	نا - نحن - هن هن - هن - هن هن - ن - ن ن - هن - ن ن - ن	عنصر سابق
نفسه - شغفها - اخرج رأينه - أكبرنه - راودته نفسه - استعصم يفعل - أمره - ليسجنن ليكونن	نصية (داخلية)	ه - هو - أنت ه - ه - ه ه - هو هو - ه - هو هو	عنصر سابق
فذلكن الذي هذا	نصية (داخلية) نصية (داخلية) مقامية (خارجية)	ذلك الذي هذا	عنصر سابق عنصر سابق عنصر مقامي

### الجدول رقم: 04

#### التعليق:

يتبين لنا من خلال الجدول رقم: 04 أن الإحالة النصية (الداخلية) قد وردت في نص الآيات: (32/31/30) متباينة في الأدوات التي استعملت فيها، ففي مواضع معينة يستعان فيها بالضمائر: (الهاء، هي، أنا) للإحالة على عنصر مذكور سابقا في النص

وهو "امرأة العزيز"، فمثلا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أحوالت الضمير المستتر (هو) في الأفعال: (سمعت، أرسلت، أعدت) على العنصر المذكور في الآية السابقة (امرأة العزيز)؛ حيث حققت هذه الضمائر ربط عناصر الآية (31) بعناصر الآية (30)، وحققت بذلك الاتساق والتلاحم بين الجمل المكونة للآيتين، كما نجد أن الإحالة الداخلية قد تحققت في مواضع أخرى بضمائر مختلفة (نون المتكلمين، نحن، هن، نون النسوة) تحيل على عنصر مذكور في بداية النص القرآني السابق، وهو لفظ (نسوة)، وهذا أيضا ما حقق الترابط بين مختلف أجزاء هذا النص؛ حيث ظهر الاتساق النصي في أكمل صورته، وأتم أشكاله الموصوفة على الإطلاق.

كما نجد أنّ الإحالة الداخلية تحققت بواسطة اسم الإشارة (ذلك) الظاهر في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ﴾، "فالإشارة بـ (ذلكن) لتمييز يوسف عليه السلام إذ كن لم يرينه قبل"<sup>(1)</sup>، فهنا تحققت الإحالة بالعودة للإشارة إلى يوسف المعبر عنه بلفظ (فتاها) في بداية هذا النص، أو يمكن أن تعتبر هذه الإحالة في هذا المقام إحالة مقامية كون أنها أحوالت على ذات حاضرة في المقام، وهي ذات يوسف - عليه السلام - كما نلاحظ أيضا أنّ الإحالة الداخلية تحققت بواسطة الاسم الموصول المتمثل في لفظ (الذي) الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ﴾، حيث ألحق اسم الإشارة باسم موصول "لعدم علم النسوة بشيء من معرفاته غير تلك الصلة"<sup>(2)</sup>، وهذا التوالي بين اسم الإشارة والاسم الموصول أدى أيضا إلى اتساق تام في البنية التركيبية للآية الكريمة.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 264.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

أما النوع الثاني للإحالة الظاهر في النص السابق فهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، حيث أحال اسم الإشارة (هذا) في الموضعين على ذات موجودة في المقام فعلا، وهي ذات يوسف - عليه السلام -، حيث إنّه كان حاضرا في المقام حين تحاور امرأة العزيز مع النسوة، وفي هذا إشارة إلى الذات التي حلت محل الاسم ونابت عنه.

أما أداة الاتساق الثانية التي استعين بها في النص القرآني السابق فهي أداة الحذف، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾، "لمتنني فيه" في التعليل، مثل (دخلت امرأة النار في هرة)، وهناك مضاف محذوف، والتقدير: في شأنه أو في محبته<sup>(1)</sup>؛ أي إنّ اللفظ المحذوف هو (شأنه أو محبته)، والحذف لا يقع في الكلام إلا بوجود دليل يدل على اللفظ المحذوف، والدليل هنا هو ضمير الهاء المتصل بحرف الجر، وبهذا يكون قد سدّ الفجوة التي نتجت عن حذف لفظ (شأنه أو محبته)، وما يمكننا استنتاجه أن الحذف قد ساهم في إظهار الاتساق العام للنص الذي يمكن أن يختل لو ذكرت الألفاظ المحذوفة عامة في مختلف النصوص.

أما أداة الوصل فتمثلت في النص القرآني السابق في نوع واحد، وهو الوصل الإضافي الذي ظهر في أشكال الربط بالعطف، فمنها ما تمثل في ربط آية بآية أخرى عن طريق (الواو، الفاء)، ومنها حقق الربط بين ألفاظ أو جمل الآية الواحدة عن طريق تلك الحروف أيضا، ومن أمثلة ذلك الوصل ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ن.

أَخْرَجَ عَلَيْنَ ﴿١٠﴾، حيث ربط حرف العطف (الفاء) هذه الآية بالآية السابقة لها، وربط حرف العطف (الواو) مجموعة من الجمل بعضها ببعض ربطاً لفظياً مباشراً؛ حيث إن كل جملة تتصل بالتي تليها وتشكل معها بنية دلالية واحدة، فالمعاني تتصل في شكل يوازي ذلك الاتصال الحاصل في البنية التركيبية، وبهذا يتحقق الاتساق النصي كما يتحقق في المقابل انسجام المعاني وإتلافها.

كما أن الملاحظ للنص القرآني السابق يدرك أن اتساقه قام على عنصر آخر وهو الاتساق المعجمي الذي تمثل في التكرار؛ حيث نجد أن جملة ﴿وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هي تكرار جزئي لجملة سابقة، منها ما ورد في هذا النص، وهي جملة: ﴿تُرَاوِدُ فَتَقِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾، ومنها ما ورد في الآيات السابقة لهذا النص، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، وهذا ما ساهم مساهمة واضحة في ربط مختلف عناصر النص القرآني (سورة يوسف)، وأدى إلى تعالق الآيات واتصالها بعضها ببعض ليظهر والنص الكلي في شكل بنية واحدة لا ينفصل أي جزء منها عن الآخر، بل وتبدو بنيتهما الدلالية أيضاً في شكل كل موحد لا يدرك كله إلا بإدراك جزئه.

13- ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١١﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ ثُمَّ بَدَأَ هُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٣﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ

﴿١٦٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيَهُ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا<sup>ع</sup>  
ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي<sup>ع</sup> إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ  
﴿١٦٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ<sup>ع</sup> مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ  
شَيْءٍ<sup>ع</sup> ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٦٨﴾

ذكر "أبو حيان الأندلسي" (ت 745هـ) في معرض تفسيره للنص القرآني السابق أن قوله تعالى: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أنه "أسند الفعل إليهن لما يَنْصَحُنَّ له، وزين له مطاوعتها، ونَهَيْتَهُ عن إلقاء نفسه في السجن والصغار، فالتجأ إلى الله تعالى، والتقدير: دخول السجن"<sup>(1)</sup>؛ أي أن النص القرآني السابق وقع فيه حذف الفعل وتُرك لفظ السجن للدلالة على فعل الدخول المحذوف، والحذف - كما ذكر علماء النحو - أنه لا يقع في الكلام إلا إذا دلت عليه قرينة لفظية أو قرينة تفهم من السياق، والحذف أيضا يعتبر من آليات الاتساق النصي التي تسهم في إيراد مختلف المعاني بشكل موجز كما تسهم في إظهار الترابط النصي، كون أن الحذف في كثير من المواضع يكون أبلغ من الذكر، وأرفع في تحقيق المعاني وإيصالها إلى المتلقي في أكمل صورة، وأجود تعبير على الإطلاق، أما مرجعية الحذف هنا فهي مرجعية لاحقة، ودليل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾؛ حيث نلاحظ أن اللفظ المحذوف في الآية السابقة (فعل الدخول) قد ذكر في هذه الآية لغياب الداعي لحذفه، وبهذا يكون الحذف قد ساهم في ربط عنصر سابق بعنصر لاحق، ما أدى إلى بنية متكاملة العناصر، متسقة يرتبط كل عنصر من عناصرها بالآخر ارتباطا تاما.

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان: 1413هـ/1993م، ج5، ص 306.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

والمتمأمل للنص القرآني السابق يدرك أيضا أنه اعتمد في اتساقه على وسائل أخرى إضافة إلى الحذف، وهي: الإحالة، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فيمكن تبينها في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
قال - إليّ - يدعونني عني - أصب - أكن له - ربّه - عنه ليسجننه - معه - نبئنا نراك - قال - نبأتكما علمني - ربّي - إنّي تركت - اتبعت - آبائي لنا - علينا	نصية (داخلية)	هو - ي - ي ي - أنا - أنا ه - ه - ه ه - ه - أنت	عنصر سابق
فصرف - إنه - هو كيدهن - إليهن كيدهن - لهم - ليسجننه أحدهما - إنّي - أراني أعصر - إنّي - أراني أحمل - رأسي - نبئنا إنّا - نراك - يأتیکما ترزقانه - نبأتكما - يأتیکما - ذلكما -	نصية (داخلية)	أنت - هو - ت ي - ي - ي ت - ت - ي نا - نا	عنصر سابق
فصرف - إنه - هو	نصية (داخلية)	هو - ه - هو	عنصر سابق
كيدهن - إليهن كيدهن - لهم - ليسجننه	نصية (داخلية)	هن - هن هن - هم - هم	عنصر سابق
أحدهما - إنّي - أراني أعصر - إنّي - أراني أحمل - رأسي - نبئنا إنّا - نراك - يأتیکما ترزقانه - نبأتكما - يأتیکما - ذلكما -	نصية (داخلية)	هما - ي - ي أنا - ي - ي أنا - ي - نا نا - نحن - كما أنتما - كما كما - ذلك - كما	عنصر سابق

الجدول رقم: 05



### التعليق:

نلاحظ من خلال تأملنا للجدول رقم: 05 أن الإحالة الموظفة في النص السابق هي إحالة نصية داخلية، حيث تنوعت الأدوات المستعملة فيها بين الضمائر (المنفصلة والمتصلة والمستتر)، وأسماء الإشارة، أما الضمائر فتمثلت في الدالة على ذات المخاطب، فمثلا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، أحال الضمير المستتر (هو) في (قال) على ذات المخاطب، أو الفتى (يوسف) الذي كان مراقبا للحوار الذي دار بين النسوة وامرأة العزيز في الآيات السابقة، وأصبح طرفا في دعوته لله عز وجل، وطرفا أيضا في الحوار الذي دار بينه وبين الفتيتين، فهذا البعد الإحالي الموجود بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه حقق ذلك الاتصال البديع بين أجزاء النص الواحد، وجعل البنية التركيبية تبدو في شكل متعلق يوازئها ارتباط دلالي بين معاني هذه الأجزاء. ويلاحظ أيضا أن الإحالة الداخلية بالضمير ظهرت في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾، وفي قوله: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا﴾؛ حيث أحالت الضمائر فيها (الياء، الضمير المستتر أنا) على الفتيتين، كما نجد الإحالة بالضمير أيضا في قوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾، يقول "الزمخشري": "فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله: (نبئنا بتأويله)؟ قلت: إلى ما قصا عليه، والضمير يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه؛ كأنه قيل: نبئنا بتأويل ذلك"<sup>(1)</sup>، فضمير الهاء عاد على ما أخبر به الفتيان يوسف - عليه السلام -، وبذلك فتنوع الضمائر المستخدمة في الإحالة الداخلية أدى إلى ارتباط عناصر الكلام المختلفة وتلاحمها لتحقيق الاتساق الكلي للنص.

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 284.

أما الإحالة النصية الداخلية باسم الإشارة فظهرت في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾؛ حيث إن هذه الجملة "استئناف بياني، لأنّ وعده بتأويل الرؤيا في وقت قريب يثير عجب السائلين عن قوة علمه، وعن الطريقة التي حصل بها هذا العلم، فيجيب بأنّ ذلك مما علّمه الله" (1) أو أنّ في ذلك "إشارة لهما إلى التأويل، أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات" (2)، فعمل اسم الإشارة (ذلك) على الإحالة لفظ التأويل المذكور سابقا في النص، وبهذا تكون الإحالة باسم الإشارة قد حققت ربط السابق باللاحق، وساهمت في إظهار الاتساق العام للنص.

والملاحظ للنص القرآني السابق يدرك أيضا أنّه اعتمد في اتساقه على آية الحذف التي تظهر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ هُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْأَيَّاتِ لَيْسَ جُنَّةٌ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فلفظ (ليسجننه) الوارد في الآية الكريمة "جواب قسم محذوف، والقسم جوابه معمول لقول محذوف تقديره: قائلين" (3)؛ أي إن تقدير الكلام: "قائلين: والله ليسجننه حتى حين" (4) حيث وقع في الآية حذف للقسم (والله) وإضمار للفظ (قائلين)، وهذا الحذف وقع لتعلقه بذات القائل الحاضرة في المقام، والذي يعتبر من الأدلة السياقية الدالة على اللفظ المحذوف، إذا فالحذف في هذا الموضع أدى إلى اتساق البنية التركيبية وتلاحمها، واتصال عناصرها بعضها ببعض، ولولا دقة التأمل والتدبر لما أدرك القارئ وجود حذف في هذه البنية مطلقا. كما أن المفسرين ذكروا أن في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ "حذف تقديره: فسجنوه، فدخل معه السجن غلامان" (5)؛ حيث حذف لفظ "فسجنوه"

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 271.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 284.

<sup>3</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 307.

<sup>4</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 494.

<sup>5</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 307.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

لدلالة السياق عليه، وقدرة المتلقي على إدراك دلالة الفعل المحذوف من لفظ "السجن" الوارد في نص الآية، فإسقاط هذا اللفظ من الكلام لم يؤثر على البنية الدلالية العامة، بل حقق الإيجاز والتماسك في البنية التركيبية، والتآلف والانسجام في البنية الدلالية.

أما الآلية الثالثة الملاحظة على النص القرآني السابق فهي **الوصل**، والذي تمثل في الوصل الإضافي والوصل العكسي، أما الأول (الإضافي) فعبرت عنه حروف العطف المتمثلة في: (الواو والفاء وثم)، فالواو عملت على ربط مختلف العناصر اللفظية، سواء كانت ألقاظاً أو جملاً، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَصَبُّ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ حيث ربطت الواو بين جملتين متتاليتين ربطاً لفظياً، فكانت الجملتان من حيث المعنى والشكل بمثابة الجملة الواحدة، والفاء أيضاً عملت على عطف جملة على جملة سابقة لها، فـ "عطف جملة (فاستجاب) بفاء التعقيب إشارة إلى أنّ الله عجل إجابة دعائه الذي تضمنه قوله: ﴿وَالْأَلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾"<sup>(1)</sup>، أي أنّ استجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء يوسف - عليه السلام - كانت دون مهلة أو تراخي هذا ما تحقق في الرابط (الفاء) الذي يفيد ارتباط الجملتين المتقاربتين في زمن الحدوث، كما حقق هذا الرابط اتصالاً لفظياً بين جملتين متتاليتين لا يمكن أن ينوب عنه في ذلك رابط آخر. أما الرابط "ثم" الذي يفيد الترتيب والمهلة أو التراخي؛ أي: أنّ الحكم يكون للمعطوف عليه أولاً، ثم يكون للمعطوف على وجود فترة غير وجيزة، ويظهر هذا الرابط في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ هُمْ﴾، أي ظهر لهم بعد مدة زمنية معينة أن يسجنوا يوسف، فتحقق بهذا الترتيب والتراخي التلاحم بين الجملتين أدى إلى تمام الاتساق في البنية التركيبية، وكمال الانسجام فيما يقابلها من معان. أما النوع الثاني للوصل (الوصل العكسي) فظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 267.

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١﴾، عن طريق الأداة (لكن) التي تفيد الاستدراك، ويقصد به تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته أو إثبات ما يتوهم نفيه؛ حيث إنها في هذا الموضع حققت ربط جملتين متتاليتين ربطاً تاماً يغني بذلك عن استعمال أداة أخرى، بل لو عوضت هذه الأداة بغيرها لاختل المعنى وفسد، وصار من الممكن أن يتغير المضمون العام للنص الذي وردت فيه هذه الأداة.

أما الآلية الرابعة التي اعتمد عليها النص القرآني السابق في اتساقه فهي آلية الاتساق المعجمي، والمتمثل في التكرار الذي تجسّد ظهوره في النص السابق في عدة صور لفظية، نذكر منها تكرار جملة (تصرف عني كيدهن) تكراراً جزئياً تمثل في تغيير صرفي في اللفظين: (صرف) و(عنه)، كما نلاحظ تكرار الفعل (قال) ورد في أربعة مواضع، وهذا تناسبا والبنية الحوارية للنص، كون أنه عبارة عن حوار دار بين يوسف عليه السلام والغلامين داخل السجن، كما نلاحظ أيضاً تكرار لفظ (هم) في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وتكرير (هم) للدلالة على أنهم خصوصاً كافرين بالآخرة وأنّ غيرهم كانوا قوماً مؤمنين بها، وهم الذين على ملة إبراهيم؛ ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من الظلم<sup>(1)</sup>، إلا أن "أبا حيان" خالف "الزمخشري" فيما رآه في تكرار (هم) بقوله: "وليس عندنا هم تدل على الخصوص"<sup>(2)</sup>، إلا أنّ "أحمد بن يوسف" رأى برأي "الزمخشري" وحاول توضيح ما ذهب إليه بقوله: لم يقل الزمخشري إن (هم) تدل على الخصوص، وإنما قال (تكرير هم) للدلالة، فالتكرير هو الذي أفاد الخصوص، وهو معنى حسن فهمه أهل البيان.<sup>(3)</sup> إذا فتكرار لفظ (هم) على مستوى البنية التركيبية ساهم

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 284/285.

<sup>2</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 309.

<sup>3</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 497.

في بناء اتساقها وتماسك عناصرها، كما ساهم في رسم صورة بلاغية جمالية يقابلها انسجام وارتباط دلالي بين مختلف المعاني والدلالات التي عبر عنها النص.

14- ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٤﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ءَأَمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا ءَوَءَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ءَقُضِيَ ءَأَمْرُ ءَأَلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِينَ ﴿١٦﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ ءَأَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ءَأَذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَهُ ءَأَلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿١٧﴾

ذكر "محمد الطاهر بن عاشور" في تفسيره للنص القرآني السابق أنّ يوسف - عليه السلام - "افتتح خطابهما بالنداء اهتماما بما يليق بهما مكن التعبير، وخاطبهما بوصف (صاحبي السجن) أيضا. ثم إذا كان الكلام المحكي عن يوسف - عليه السلام - في الآية صدر منه على نحو النظم الذي به في الآية، وهو الظاهر كان جمع التأويل في عبارة واحدة مجملة، لأنّ في تأويل إحدى الرؤيين ما يسوء صاحبها قصدا لتلقيه ما يسوء بعد تأمل قليل كيلا يفجأه من أول الكلام، فإنه بعد التأويل يعلم الذي يسقي ربّه خمرًا هو رائئ عصر الخمر، وأنّ الذي تأكل الطير من رأسه هو رائئ أكل الطير من خبز على رأسه." (1) كما يمكن أن يكون الكلام الذي وجهه يوسف - عليه السلام - للفتيين هو كلام مفصّل لكل منهما، وحكي في الآية على المعنى. (2) أي إن يوسف - عليه السلام - أول

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 277.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 278.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الرؤيين بعدما أثبت لهما بالحجة والدليل القاطع أن الذي يحق على العبد عبادته والخضوع له هو الله والواحد القهار، أما الآلهة التي يعبدها قومهما فما هي إلا أسماء سمو بها جمادات لا تسمن ولا تغني من جوع، ثم بعد هذا الإثبات القائم على الحجة والدليل ذكر لهما ما يؤول إليه كل منهما بعد ما رأياه من رؤيا.

نلاحظ أن النص القرآني السابق تميّز بكونه اعتمد على عدة أدوات اتساق، وهي: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية الداخلية المبينة في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
تعبدون - دونه سميتموها أنتم آبائكم بها - تعبدوا - إياه	إحالة نصية (داخلية)	أنتم - الهاء الهاء - أنتم أنتم كم الهاء - أنتم - الهاء	عنصر سابق عنصر لاحق
ذلك أحدكما - يسقي ربه - يصلب - رأسه تستفتيان	إحالة نصية (داخلية)	ذلك كما - هو الهاء - هو - الهاء أنتما	عنصر لاحق عنصر سابق
الذي - فيه	إحالة نصية (داخلية)	الذي - الهاء	عنصر سابق
قال - للذي - ظن اذكرني - ربك - فلبث	إحالة نصية (داخلية)	هو - الذي - هو الياء - الكاف - هو	عنصر سابق

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

عنصر سابق	الهاء - هو - هما هو + الهاء - الهاء	إحالة نصية (داخلية)	أته - نا ج - منهما فأنساه - ربّه
-----------	--	------------------------	-------------------------------------

### الجدول رقم: 06

#### التعليق:

نلاحظ من خلال الجدول السابق أنّ نوع الإحالة الوارد في النص القرآني (من الآية 39 إلى الآية 42)، هو الإحالة النصية الداخلية التي اعتمد فيها على جملة من الأدوات، أولها الضمائر باختلاف أنواعها (المنفصلة، والمتصلة، والمستترة)، وهذا ما يلاحظ في قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾، أي: "أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة، ثم طفقتم تعبدونها؛ فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها." (1) فضمير (الهاء) في (سميتموها) يعود على لفظ (أسماء) و"واو الجماعة" يحيل على عنصرين لاحقين هما: (أنتم، آباؤكم)، والضمير المنفصل (أنتم) (2) أحال على المخاطبين (الفتيان)، والضمير (كم) أحال على (أنتم)، وبهذا تكون الإحالة بالضمير قد حققت الترابط بين عناصر النص السابقة واللاحقة، وساهمت في تحقيق الاتساق النصي التام، دون حاجة إلى إعادة ذكر الأسماء والألفاظ التي أحالت عليها هذه الضمائر، فتكاملت المعاني وانسجمت في إطار البنية الدلالية الكلية للنص.

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 285.

<sup>2</sup> - يمكن أن تكون في الضمير (أنتم) إشارة إلى ذات المخاطبين، فيكون نوع الإحالة: خارجية مقامية.

ونجد الإحالة بالضمير أيضا في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾؛ حيث إن ضميري "(فأنساه) و(رَبِّهِ) يحتملان العود إلى (الذي)، أي أنسى الشيطان الذي نجا أن يذكره لربه، فالذكر الثاني هو الذكر الأول. ويحتمل أن يعود الضميران إلى ما عاد إليه ضمير (وقال) أي يوسف - عليه السلام - أنساه الشيطان ذكر الله، فالذكر الثاني غير الذكر الأول. ولعل كلا الاحتمالين مراد، وهو من بديع الإيجاز"<sup>(1)</sup> في القرآن الكريم فالتأويل الأول يقضي بأن الضمير في (أنساه) يعود على الساقى الذي رأى أنه يعصر خمرا؛ أي الناجي، أما التأويل الثاني فيقضي أن يعود الضمير في (أنساه) على يوسف الذي أنساه الشيطان دعوة الخالق عز وجل لتخليصه من محنته، وبهذا يكون هذا التعبير غير صريح فيه "تلطف في الخبر عن يوسف عليه السلام -"<sup>(2)</sup>، وفيه من الإيجاز اللفظي الحامل لعديد المعاني المدركة بالتدبر والتأويل.

كما نجد أن الإحالة تحققت بواسطة أسماء الإشارة، وهي عبارة عن أسماء مبهمة لا تتحدد معانيها إلا بارتباطها بعناصر أخرى توضحها وتزيل عنها الإبهام، وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾؛ حيث أحال اسم الإشارة على لفظ لاحق له (الدين القيم)، وحقق بذلك ارتباط الحكم السابق ﴿أَمَرَ آلًا تَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ باللفظ الذي أحال عليه. ونلاحظ أيضا أن النص القرآني اعتمد على الإحالة بالاسم الموصول، والذي يعتبر أيضا من الألفاظ التي لا تحمل دلالة في ذاتها بل تحتاج إلى ألفاظ أخرى تفسرها وتوضح إبهامها، وهذا ما ظهر في جملة: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ التي تعتبر تحقيقا "لما دلت عليه الرؤيا، وأن تعبيرها هو ما أخبرهما به، فإنهما يستفتيان في دلالة الرؤيا

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 279/278.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 279.



على ما سيكون في شأن سجنهما؛ لأنّ ذلك أكبر همهما<sup>(1)</sup> والاسم الموصول الوارد فيها أحال على لفظ (الأمر) وارتبط به ارتباطاً مباشراً، كما أنّ لفظ (الأمر) ارتبط بالكلام الوارد في الآيات السابقة ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ<sup>ط</sup> إِنَّا نَزَّلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، وبهذا تحقق الاتساق والتلاحم بين عناصر النصّ القرآني، سواء تعلق الأمر بالآيات السابقة، أو بنص الآية الواحدة.

أما عنصر الاتساق الثاني المعتمد عليه في النصّ القرآني السابق فهو **الحذف** والذي يعتبر أحد العناصر التي يترك على البنية التركيبية لمسة فنية من خلال ظهور الكلام في قالب يمتاز بالإيجاز والاختصار، وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾؛ أي (أسماء): "إما يراد بها المسميات أو على حذف مضاف، أي: ذات لمسميات، و(سميتموها) صفة، وهي متعدية لاثنتين حذف ثانيهما، أي سميتموها آلهة".<sup>(2)</sup> والحذف الواقع هنا أدى إلى تماسك البنية التركيبية وتلاحمها، والذي قابله ذلك التماسك في المعاني وانسجامها، كما يمكن الإشارة هنا إلى أنّ الحذف لا يدرك في الكلام إلا بتدقيق وإمعان في مكونات البنية التركيبية وما يمكن أن يكون ناقصاً منها حين مقابلتها بمكونات البنية الدلالية.

أما عنصر الاتساق الثالث المعتمد عليه في النصّ السابق فهو **الوصل**، والذي تمثل في نوعين هما: الوصل الإضافي الذي يستعان فيه بحروف العطف؛ ويكون الربط بهذه الحروف في أغلب الحالات، قرينة لأمن اللبس في فهم الاتصال، وأول هذه الحروف استعمال في النصّ السابق هو حرف (الواو) الظاهر في قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 278.

<sup>2</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 498.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

فَيَسْقَى رَبَّهُ حَمْرًا<sup>ط</sup> وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ؛ حيث إن (الواو) ربطت جملتين متتاليتين وجعلتهما في حكم البناء الواحد، فتم الوصل الإضافي باتصال عنصرين متتاليين. وثاني هذه الحروف استعمالا هو حرف (الفاء) الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ﴾؛ حيث ربطت (الفاء) أيضا بين جملتين متتاليتين في النسق الكلامي الواحد، وجعلت منهما بنية موحدة الهدف منها هو إظهار المعنى في صورة متلاحمة ومنسجمة دلاليا. أما النوع الثاني للوصل فهو الوصل العكسي المعبر عنه بواسطة أداتين: (أم المنقطعة، ولكن)، أما الأولى (أم المنقطعة) فظهرت في قوله تعالى: ﴿أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾؛ حيث إن (أم) أفادت في الآية الكريمة الإضراب عن كلام سابق لها، والانتقال إلى كلام لاحق لها، وما سميت منقطعة إلا لهذا السبب. أما الثانية (لكن) فظهرت في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ<sup>ع</sup> ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، حيث أفادت (لكن) معنى الاستدراك، ومعناه الضيق هنا هو رفع ما يتوهم من الكلام السابق رفعا تشبيها بالاستثناء، وبهذا يكون الرابط (لكن) قد حقق الربط بين جملتين مختلفتين في المعنى، وجمعهما لتأدية المعنى المنشود، وهذا الجمع ما أدى إلى اتساق البنية وانسجام المعاني وتلاحمها.

أما العنصر الرابع المساهم في اتساق النص القرآني السابق فهو الاتساق المعجمي الذي تمثل في التكرار، حيث تمثل في صورة تكرار جملة ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾ التي وردت في نص الآية "لوصف الصحبة في السجن دون اسميهما، إما لجهل اسميهما عنده، إذ كانا قد دخلا السجن معه في تلك الساعة قبل أن تطول المعاشرة بينهما وبينه وإما للإيدان بما حدث من صلة بينهما، وهي صلة المماثلة في الضراء الإلف في

الوحشة"<sup>(1)</sup>، وأيا كان السبب في دعوتهما بهذا اللقب ففيه دليل على شد انتباههما لما يدعوها إليه، كما يؤكد تكرار هذه الجملة على رغبته الشديدة في إجلاء الظلام عن قلبيهما، وتنوير دربيهما بنور دين الحق، إذا فهذا التكرار فيه دلالة على اتصال عناصر النص سابقها بلاتساقها، كما ساهم مساهمة واضحة في اتساق أجزاء النص وتلاحمها واتصال المعاني وانسجامها في شكل بنية دلالية واحدة يعمل كل عنصر فيها على تحقيق الدلالة الجامعة للنص.

15- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ<sup>ط</sup> يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ<sup>ط</sup> وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٨﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

ورد في مطلع هذا النص القرآني حرف العطف (الواو)؛ حيث "عطف جزء من قصة على جزء منها تكملة لوصف خلاص يوسف - عليه السلام - من السجن"<sup>(2)</sup>، وهذا ما حقق الوصل الإضافي، وذلك بوصل قصة خلاص يوسف - عليه السلام - من السجن بالقصة السابقة، أي ما واجهه يوسف - عليه السلام - داخل السجن، كما نجد أن الوصل الإضافي تحقق في مواضع أخرى من هذا النص منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفْتِنَا فِي

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 274.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 279.

سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴿٥٤﴾، "فإن قلت: هل يجوز أن يُعطف قوله: ﴿وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ على ﴿سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ فيكون مجرور المحل؟ قلت: يؤدي إلى تدافع، وهو أنَّ عطفها على ﴿سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ يقضي أن يكون داخلا في حكمها، فتكون معها مميّزا للسبع المذكور، ولفظ الآخر يقضي أن تكون غير سبع." (1) وهذا العطف جعل اتصال الجملتين المتتاليتين أمرا محسوما، وأن حكم الجملة الأولى اسقط على الجملة الثانية لذلك استبدل لفظ (سبع) بلفظ (آخر) لوجود ما يدل على العدد في الجملة الأولى، ولحملهما الحكم نفسه المحقق عن طريق حرف العطف، ومن هذا ندرك أن في الآية وصل إضافي حقه حرف العطف (الواو) واستبدال اسمي تجسد في لفظ (آخر)، بهذا يكون الاتساق النصي قد تمثل في عنصرين من عناصره، وظهر نص الآية مع نصوص الآيات السابقة في تلاحم واتساق تام.

وما يمكن ملاحظته على النصّ القرآني السابق أيضا أنّ الاتساق لم يظهر في الوصل والاستبدال فقط، بل ظهر من خلال توظيف آليات أخرى، وهي: الإحالة والحذف، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية باستعمال الضمائر والاسم الموصول، أما الضمائر فانقسمت إلى منفصلة، ومتصلة ومستترة، فنجد مثلا ألفاظ: (إني) (الياء)، (أرى) (أنا)، (أفتوني) (الياء)، (رؤياي)، قد أحالت الضمائر فيها على لفظ سابق (الملك) إحالة بالعودة، ولفظا: قالوا (هم) ونحن، قد أحالا الأشخاص الذين وجه لهم الملك الخطاب، كما نجد ألفاظ: قال (هو)، نجا (هو)، أدكر (هو)، أنا، قد أحالت إحالة بالعودة على الرجل الذي أنبأه يوسف - عليه السلام - بنجاته من السجن وبهذه الضمائر المختلفة والمتنوعة تحققت الإحالة النصية بالعودة على عناصر مذكورة

<sup>1</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، 504.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

في النَّصِّ القرآني (سورة يوسف) سابقاً، فتحقق بواسطتها الترابط النصي في أكمل صورته الموصوفة على الإطلاق؛ حيث إن تلك الروابط اللفظية عملت على الجمع بين عدة أشكال لغوية لتحقيق المعنى العام الذي عبر عنه النص القرآني، وهذا الاتساق الموجود بين هذه العناصر اللفظية التركيبية أدى إلى ذلك التلاحم والانسجام بين مختلف المعاني المحمولة في النَّصِّ.

أما الإحالة باسم الموصول فظهرت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ والمقصود بالذي نجا هو ساقى الملك الذي "تذكر ما سبق له مع يوسف"<sup>(1)</sup>، حيث أحال الاسم الموصول (الذي) إحالة بالعودة على عنصر مذكور سابقاً في النَّصِّ القرآني، وهذا ما أدى إلى اتصال النَّصِّ السابق وارتباطه بالآيات السابقة له لدون وجود حاجة إلى إعادة ذكر العبارة التي ورد فيها ذكر الساقى، وهذا ما أدى إلى اتساق تام في مستوى البنية التركيبية، وانسجام كامل بين مختلف المعاني المعبر عنها في مستوى البنية الدلالية للنَّصِّ.

أما العنصر الرابع المعتمد عليه في اتساق النَّصِّ القرآني السابق فهو الحذف حيث ظهر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾، فالشاهد على الحذف هنا هو قوله: ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾؛ أي إنَّ اللفظ المحذوف هو (بقرات) فيكون التقدير: يأكلهن سبع بقرات عجاف، ولم يحذف هذا اللفظ إلا لوجوده في الكلام السابق؛ أي حذف لوجود دليل لفظي في السياق المقالي، وبهذا يكون الحذف

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 313.

قد ساهم في اتساق البنية التركيبية على نحو من الاختصار والإيجاز، وإظهار المعاني في شكل متسلسل منسجم خال من التكرار غير المفيد.

أما العنصر الخامس الذي قام عليه اتساق النصّ القرآني السابق فهو الاتساق المعجمي المتمثل في التكرار (تكرار عبارة)، حيث تظهر هذه الآلية في تكرار عبارة: ﴿سَبَّعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبَّعٌ عِجَافٌ وَسَبَّعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾، وهي عبارة وردت في نصّ الآية (43) وتكررت دون أي تغيير لفظي في نصّ الآية (46)، وهذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ في هذه العبارة إثبات للعلم الذي خصّ به الله سبحانه وتعالى يوسف - عليه السلام - فيما يتعلق بتأويل الرؤيا وتفسيرها، وهو ما اشتهر به أهل مصر (خاصة كهنة المعابد)، كما أنّ في إعادة العبارات المحكية عن الملك بعينها إشارة إلى أنّه بلغ السؤال كما تلقاه، وذلك تمام أمانة النّقل<sup>(1)</sup>، وفي تكرار هذه العبارة تمام اتصال بين عناصر النصّ السابقة واللاحقة، وإظهار لتمام الاتساق بين العناصر اللفظية المكونة للنصّ القرآني السابق، كما نجد في هذا التكرار تأكيد للمعاني وتوطيد لاتصال بعضها ببعض لتحقيق كمال الانسجام وتمامه.

16- ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبَّعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبَّعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾

ورد في تفسير "الزمخشري" أن "﴿تَزْرَعُونَ﴾: خبر معنى الأمر؛ كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾ [الصف:11]؛ وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر؛ للمبالغة في

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 285.

إيجاب إيجاد المأمور به، فيجعل كأنه يوجد، فهو يخبر عنه، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾<sup>(1)</sup> فتفسير يوسف - عليه السلام - لرؤيا الملك كان فيها إرشاد لما سيقومون به لمجابهة السنين العجاف التي سيعيشونها، وفي التأويل أيضا دليل للملك ورعيته على العلم الذي خصّ به الله تعالى نبيه يوسف - عليه السلام - دون سائر عباده، وفيه حكمة الله التي سيخرج بها الناس من الظلمات إلى النور.

إن النصّ القرآني السابق اعتمد في اتساقه على جملة من الوسائل المتمثلة في: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية (الداخلية) التي استعملت فيها عدة أدوات تمثلت في: الضمائر، واسم الإشارة، والاسم الموصول، حيث نجد الضمائر استعملت للربط أولا، واستعملا أيضا للإحالة على عناصر وردت في السابق، فكان نوع الإحالة: إحالة بالعودة، وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، فالضمير المستتر (هو) عائد على اسم (يوسف) المذكور في نصوص الآيات السابقة لهذه الآية كما أحال على ذات المخاطب، ونجد أيضا أنّ الضمائر في ألفاظ: (حصدتم، ذروه تأكلون) قد أحالت على المخاطبين (الملك بصيغة الجمع أو الملك ورعيته) المشار إليهم في لفظ (أفتنا) الوارد في نص الآية (46)، وكذلك نجد الإحالة بالضمير في لفظي: (ذروه، وسنبله)، حيث أحال ضمير (الهاء) فيهما على لفظ (حصدتم) السابق، فهذه الشبكة المتشعبة من الضمائر أحالت على ألفاظ سابقة فحققت الربط اللفظي بين الضمير وما أحال إليه، وبالتالي تحقق الاتساق والتلاحم بين أجزاء النص المختلفة، سواء تعلق الأمر بألفاظ الآية الواحدة، أو ألفاظ الآيات السابقة التي تعتبر أجزاء مكونة للنصّ القرآني

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 292.

ككل (سورة يوسف)، وهذا الترابط والتلاحم اللفظي أدى إلى ترابط مكونات البنية الدلالية وانسجامها.

أما الإحالة باسم الإشارة فتظهر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؛ حيث أحال اسم الإشارة (ذلك) إلى الكلام الوارد في الآية السابقة (الآية 47)، أي إلى زرعهم وحصادهم والحفاظ على ما حصدوا في سنابله إلا الشيء القليل من ذلك الحصاد المخصص للأكل، حيث تحقق بهذه الكيفية ربط مضمون الآية (47) بمضمون الآية اللاحقة (الآية 78) ربطاً يغني عن إعادة ذكر كل الكلام الوارد فيها، وهذا ما جعل النية التركيبية تظهر في اتساق وتلاحم تام ساهم فيه اسم الإشارة، كما ساهم في إظهار انسجام البنية الدلالية أيضاً.

أما الإحالة بالاسم الموصول فظهرت في قوله تعالى: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ﴾ حيث إن (ما) "يجوز أن تكون شرطية أو موصولة"<sup>(1)</sup>، فإن كانت موصولة فهي اسم موصول يساهم في ربط عناصر النص ربطاً لفظياً، وكما هو معلوم فالاسم الموصول هو من الأسماء المبهمّة التي تحتاج إلى ما يوضح معناها، ويجلي الإبهام عنها، وهذا ما تحقّقه الصلة المرتبطة به، والمتمثلة في جملة (قدمتم لهن)، ومن خلال ما سبق ذكره ندرك أن الاسم الموصول قد ساهم في تحقيق الربط اللفظي بين مجموع عناصر نص الآية (47)، كما ساهم في تحقيق الترابط بين عناصر بنيتها الدلالية الموازية لها.

كما نلاحظ أنّ النصّ القرآني السابق قد اعتمد في اتساقه على أداة أخرى من أدوات الاتساق، وهي: **الحذف**، فهو يعد من الأساليب التي تُكسب الكلام جمالاً وروعةً

<sup>1</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 510.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وتمنحه جودة وبلاغة، والحذف إيجاز في اللفظ لا يقع إلا بوجود دليل يستدل به على ما حذف، وهذا ما يلاحظ في قوله تعالى: ﴿سَبَّحُ شِدَادٌ﴾؛ حيث "حذف المميز في قوله (سبح شداد) أي: سبع سنين شداد، لدلالة قوله (سبع سنين) عليه"<sup>(1)</sup>؛ أي إن حذف لفظ (سنين) كانت مرجعية حذفه سابقة، وهي ما ورد في نص الآية السابقة، وبهذا يكون الحذف قد حقق الإيجاز في اللفظ كون أنه اجتناب لإعادة الذكر، وحقق التلاحم والاتساق والانسجام في البنية التركيبية والدلالية معا.

أما وسيلة الاتساق الثالثة المعتمد عليها في اتساق النص القرآني السابق فهي الوصل، والذي تمثل في نوع الوصل الإضافي المحقق عن طريق حروف العطف: (الواو الفاء، ثم)، فالواو وردت في قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾؛ حيث ربطت بين جملتين متتاليتين ربطا لفظيا حقق الوصل بينهما، أما الفاء فوردت في قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾، والمقصودة هنا هي الفاء الأولى كون أن الثانية هي الفاء الرابطة لجواب الشرط؛ حيث إنها حققت ربط هذه الجملة بالجملة السابقة لها ربطا لفظيا منطقيًا. أما (ثم) فوردت في موضعين: في قوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الورد في نص الآية (48)، وفي نص العبارة نفسها الواردة في نص الآية (49)؛ حيث نلاحظ في هذا الموضع ورود الرابط (ثم) المعبر عن الوصل الإضافي المحقق للاتساق النصي، كما نلاحظ تكرار عبارة: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ في نصي الآيتين: (49/48)، وهذا ما مثل وسيلة من وسائل الاتساق، وهي الاتساق المعجمي؛ حيث إن

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 314.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

تضافر هذه الوسائل أدى إلى تحقيق الاتساق النصي التام، كما أدى الاعتماد عليها إلى انسجام البينة الدلالية واتصال عناصرها بعضها ببعض.

17- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتْتُونِي بِهِ<sup>ط</sup> فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ<sup>ع</sup> إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ<sup>ع</sup> قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ<sup>ع</sup> قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ اأَلْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ<sup>ر</sup> عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أُبْرِيُ نَفْسِي<sup>ع</sup> إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي<sup>ع</sup> إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

ذكر "أبو حيان الأندلسي" أن "في الكلام حذف تقديره: فحفظ الرسول ما أول به يوسف الرؤيا، وجاء إلى الملك ومن أرسله، وأخبرهم بذلك وقال الملك، وقال ابن عطية: في تضاعيف هذه الآيات محذوفات يعطيها ظاهر الكلام، ويدل عليها، والمعنى: فرجع الرسول إلى الملك ومن مع الملك، فنص عليهم مقالة يوسف، فرأى الملك نبل التعبير وحسن الرأي، وتضمن الغيب في أمر العام الثامن مع ما وصفه به الرسول من الصدق في المنام المتقدم، فعظم يوسف في نفس الملك، وقال (اتتوني به)<sup>(1)</sup>؛ أي يوجد بين الآية (49) وبين الآية (50) كلام حذف لوجود ما يدل عليه في الكلام السابق، كما أن الحذف الواقع قبل قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ إيجاز من بديع الإعجاز القرآني، فمن تمام بلاغة الكلام أن يترك فيه مجال لتأويل المعاني وترتيبها حسب ما يقتضيه مقام النص، والحذف هنا لا يعتبر ظاهرة بلاغية فحسب، بل يعتبر أيضا وسيلة من وسائل اتساق النص وترابطه

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 315.

حيث إنه يساهم في إظهار البنية المتكاملة لسطح النص وظاهره، كما أنه يساهم في ترك لمسة فنية على مستوى البنية التركيبية التي تنعكس وتأثر في مستوى البنية الدلالية الكبرى للنص.

كما نجد أن الحذف وقع أيضا قبل جملة: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾، والتي تعتبر "جملة مستأنفة استئنفا بيانيا، لأنّ الجمل التي سبقتها تثير سؤالاً في نفس السامع عما حصل من الملك لما أُبلغ إليه اقتراح يوسف - عليه السلام - [...] ووقوع هذا بعد جملة ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى آخرها مؤذن بكلام محذوف، تقديره: فرجع فأخبر الملك فأحضر الملك النسوة اللاتي كانت جمعتهن امرأة العزيز"<sup>(1)</sup>؛ أي إن بين محتوى الآية (50) ومحتوى الآية (51) يوجد حذف قد دل عليه خطاب الملك الموجه للنسوة: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾، وهذا ما فتح أبواب التفسير والتأويل والبحث عن طبيعة الأفعال التي قام بها الملك قبل مخاطبته للنسوة، كما نلاحظ في هذا المقام أنّ الحذف قد ترك صبغة فنية على الجانب التركيبي حيث نجد أن ظاهر النص قد تلوّن بالإيجاز المؤدي إلى الإعجاز، وأن فهم باطنه لا يتأتى إلا بإدراك المفاتيح المضمرة لهذا الظاهر. وبهذا يكون الحذف الواقع في الموضوعين السابقين قد ساهم في ترابط عناصر النص التركيبية واتصالها بعضها ببعض لتجسيد الاتساق النصي التام في أكمل صورته وأتمها، كما ساهم في إظهار التلاحم والانسجام في البنية الدلالية الكلية للنص القرآني السابق.

إن المتدبر في البنية التركيبية لهذا النص القرآني يدرك أنها لم تعتمد في اتساقها على الحذف فحسب، بل اعتمدت على وسائل أخرى تمثلت في: الإحالة، والوصل

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 290/289.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

والاستبدال والاتساق المعجمي. أمّا الإحالة فتمثلت في نوع الإحالة النصية الظاهرة فيما يلي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
انتوني - فأسأله - قال	نصّية (داخلية)	الياء - الهاء - هو	عنصر سابق
به - جاءه - قال - ربّي عليه - راودته - نفسه إنّه - ليعلم - أخنه	نصّية (داخلية)	الهاء - الهاء - الهاء الهاء - الهاء - الهاء الهاء - هو - الهاء	عنصر سابق
قطّعن - أيديهن - بكيدهن خطبكن - راودتن - قلن علمنا	نصّية (داخلية)	النون - هن - هن كن - النون - النون النون	عنصر سابق
أنا - راودته - أبرئ نفسي - ربّي - ربّي	نصّية (داخلية)	أنا - أنا + الهاء - أنا الياء - الياء - الياء	عنصر سابق
ذلك ليعلم - ما رحم	نصّية (داخلية)	ذلك - ما	عنصر سابق

### الجدول رقم: 07

#### التعليق:

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن الإحالة النصية (الداخلية) قد عبّرت عنها عدة أدوات تمثّلت في: الضمائر، واسم الإشارة، والاسم الموصول. أما الضمائر فتتوزعت بين المنفصلة والمتصلة والمستترة؛ حيث ظهرت في عدة مواضع من النصّ القرآني السابق منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ [..] إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فالضمائر الواردة في هذا النص تحتل تأويلين: أحدهما أن الكلام يخص امرأة العزيز، وهو داخل تحت قوله (قالت) والمعنى (ذلك الإقرار والاعتراف بالحق (ليعلم)

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

يوسف أتى لم أخنه في غيبته وأرميه بذنب هو منه برئ، ثم اعتذرت عما وقعت فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها (وما أبرئ نفسي) والنفوس مائلة إلى الشهوات أمانة بالسوء.<sup>(1)</sup> أما التأويل الثاني فيقضي أن ما ورد في النص السابق هو من كلام يوسف عليه السلام؛ حيث ذكر "الزمخشري" أنه يعتبر "﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾": من كلام يوسف، أي: ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة؛ ليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾: بظهر الغيب في حرمة [...] ﴿و﴾: يعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾: لا ينفذه ولا يسدده، وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها، وبه في خيانة أمانة الله، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه.<sup>(2)</sup> كما يمكن أن يحمل النص الاحتمالين معا فيكون ذلك من بديع الإعجاز القرآني في تحميل البنية اللفظية أكثر من معنى.

أما الإحالة باسم الإشارة فقد وردت في النص القرآني السابق في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ "فالإشارة بذلك إلى الإقرار المستفاد من جملة: ﴿أَنَا رَوَدْتُهُ﴾، أي ذلك الإقرار ليعلم يوسف - عليه السلام - أنني لم أخنه"<sup>(3)</sup>؛ حيث أحال اسم الإشارة على لفظ سابق الذكر (راودته)، وحقق بذلك ارتباط السابق باللاحق، واتصال عنصرين عن طريق وسيلة من وسائل الاتساق النصي. كما أننا نلاحظ في النص السابق توظيف الإحالة بالاسم الموصول (ما) الظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ أي: "لأمانة صاحبها بالسوء إلا الذي رحمه الله، وفيه إيقاع

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 316.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 296.

<sup>3</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 292.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

(ما) على العاقل<sup>(1)</sup>؛ حيث ساهم الاسم الموصول في نص هذه الآية في تحقيق الاتساق والتلاحم والارتباط. مما سبق يمكن القول أنّ الإحالة النصية (الداخلية) قد حققت الترابط بين مختلف عناصر النص باستعمال عدة أدوات، سواء تعلق الأمر الضمائر (المنفصلة والمتصلة، والمستترة)، أو تعلق الأمر باسم الإشارة، أو تعلق الأمر بالاسم الموصول. كما نلاحظ أنّ ترابط واتساق مختلف العناصر اللفظية التركيبية قابله ذلك التلاحم والانسجام بين عناصر البنية الدلالية الكلية للنص.

أما الآلية الثالثة التي اعتمد عليها النص القرآني السابق في اتساقه فهي آلية الوصل، والتي تمثلت في الوصل الإضافي الذي عبّر عنه حرفا العطف (الواو، والفاء)؛ حيث ظهرت في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلُهُ مَا بِالْأَنْثَىٰ﴾؛ حيث ساهمت "الواو" و"الفاء" في ربط جمل الآية الكريمة بعضها ببعض، كما أنّ "الواو" في بداية الآية وصلتها بجمل الآيات السابقة، وبهذا يكون الوصل الإضافي قد حقق الترابط والتلاحم بين مختلف عناصر النص الواحد، كما أنّه بجمعه بين أجزاء النص يكون قد حقق تمام الاتساق في البنية التركيبية للنص، كما يكون بذلك قد حقق الانسجام الكامل بين المعاني المحمولة في عناصر البنية التركيبية لهذا النص. وتمثل الوصل أيضا في النص القرآني السابق في الوصل السببي الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلُهُ﴾؛ حيث نجد أنّ نص هذه الآية معنى السبب في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾، ومعنى النتيجة في قوله: ﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَأَلُهُ﴾، المتمثل في الاستعانة بأداة

<sup>1</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 515.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

شرط، وهي "لما"، وهي عبارة عن أداة لفظية تحقق الوصل السببي الذي ساهم في ترابط واتساق النص وتلاحم عناصره واتصالها. كما نجد في النص القرآني السابق استعانته أيضا بالوصل الزمني الظاهر في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ أَلَكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ﴾ والذي عبر عنه ظرف الزمان (الآن)؛ حيث إن ظرف الزمان يعمل في مختلف النصوص على ربط عناصر النص بوضعها في إطار زمني معين: زمن، وقت، ساعة...إلخ، وظرف الزمان المستعمل في هذا النص (الآن) لم يخرج عن طبيعة استعماله، بل ربط أجزاء الكلام ربطا زمنيا ساهم في تلاحم واتساق أجزاء النص وأطرافه، كما انعكس هذا الترابط في البنية التركيبية على البنية الدلالية فجعلها تبدو في شكل منسجم؛ حيث تسلسلت المعاني وترابطت لتأدية الدلالة الجامعة للنص الواردة فيه.

أما الآلية الرابعة التي اعتمد عليها النص القرآني السابق في اتساقه فهي الاستبدال، وهو ما ظهر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ<sup>ط</sup> فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلْهُ﴾، بتعويض عنصر (الملك) بعنصر آخر وهو (رب)، وهذا ما ساهم في إظهار البنية التركيبية في شكل متلاحم ومتسق العناصر.

أما الآلية الرابعة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي الاتساق المعجمي، والذي تمثل في صورة التكرار الظاهر في لفظ (قال) الذي تكرر في النص في مواضع عدة، منها: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾، و﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾، و﴿قَالَتْ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ﴾، وهذا ما يدل دلالة واضحة على قيمة هذا الفعل بناء الأسلوب القصصي المهيمن على نص سورة يوسف، كما أن في تكرر هذا الفعل دلالة على أن النص يتميز بالطابع الحوارية الذي يقتضي استعانته بأساليب خاصة تميّزه عن غيره من الأشكال النصية، كما

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

نجد أن هذا التكرار هو عبارة عن نوع من أنواع الربط التي تجعل بنية النص التركيبية تظهر في شكل متسق العناصر والمكونات. كما نلاحظ أيضا على النص القرآني السابق أنه تميز بتكرار ألفاظ أخرى على غرار اللفظ (راود) الذي تكرر في عدة مواضع من نص سورة يوسف، وظهر تكراره في النص السابق في قوله تعالى: ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ وفي قوله أيضا: ﴿أَنَا رَاوِدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ﴾، ولفظ (نفس) الذي تكرر في قوله: ﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، فتكرار هذه الألفاظ المذكورة وغيرها من الألفاظ غير المذكورة في هذا المقام قد ساهم مساهمة فعالة في تحقيق الترابط والاتساق بين مختلف عناصر هذا النص.

18- ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِمَآءِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ط فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ط إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٧﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ط نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ط وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا جُرْأَخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قام اتساق هذا النص على جملة من الأدوات، ولعل أبرزها وأكثرها استعمالا فيه هي الإحالة؛ حيث نجد أن الضمائر قد أحالت إحالة نصية داخلية بالعودة على عنصر سابق في الكلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾؛ حيث إن ضمير (الهاء) في (كلمه) قد يعود على الملك، وقد يعود على يوسف - عليه السلام - فالظاهر "أن الفاعل بكلمه هو ضمير الملك، أي: فلما كلمه الملك ورأى حسن جوابه ومحاورته، ويحتمل أن يكون الفاعل ضمير يوسف، أي: فلما كلم يوسف الملك، ورأى الملك حسن منطقته بما صدق به الخبر الخبر، والمرء مخبوء تحت لسانه، قال (إنك اليوم



لدينا مكين) أي: ذو مكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شيء.<sup>(1)</sup> فضمير (الهاء) يحتمل تأويلين: العودة على لفظ (ملك) أو العودة على اسم (يوسف)، وهذا من بديع الإعجاز القرآني في لفظه، ويمكن القول أنّ وفي كلا التأويلين حقق هذا الضمير ارتباط السابق باللاحق، كما نجد أن ضمائر أخرى على غرار هذا الضمير قد عملت في هذا النصّ القرآني على تحقيق الاتساق النصّي، وذلك بربط مختلف العناصر الواردة في مستوى البنية التركيبية دون الحاجة إلى إعادة ذكر اللفظ المحال عليه والاكتفاء بالإشارة إليه فقط. كما نجد أنّ الإحالة تحققت في النصّ السابق باسم الإشارة الظاهر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾، يقول "الزمخشري": "مثل ذلك التمكين"<sup>(2)</sup> حيث أحال اسم الإشارة (ذلك) على ما خص به الله سبحانه وتعالى يوسف عليه السلام من مكانة عالية ودرجة رفيعة فضله بها عن سائر خلقه، فتحقق بذلك الترابط والتلاحم بين العنصر المشير والعنصر المشار إليه ليظهر الاتساق النصّي كعلامة بارزة تميّز سطح النصّ وظاهره.

كما نجد أنّ اتساق النصّ القرآني السابق قام على أداة أخرى، وهي الإحالة بالاسم الموصول الظاهرة في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُرْ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فالله سبحانه وتعالى "ذكر أنّ أجر الآخرة خير، لأنه الدائم الذي لا يفنى، وقال سفيان بن عيينة: المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة ون خلاق، وتلا هذه الآية"<sup>(3)</sup>؛ أي إن الاسم الموصول أحال على المؤمنين الذين يعملون الخيرات للوصول إلى درجة رضوان الله سبحانه وتعالى، ومن

<sup>1</sup> - أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 318.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 300.

<sup>3</sup> - أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 318.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

حظي بهذه الدرجة فقد فاز في الدنيا والآخرة، وبهذا التفسير يكون الاسم الموصول قد ساهم في إظهار التلاحم والاتساق بين عناصر البنية التركيبية للنص.

أما أداة الاتساق الثانية التي ساهمت في إظهار اتساق النص القرآني السابق فهي الحذف الذي ظهر في بداية النص، أي قبل قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟﴾، فتقدير الكلام: "فسمع الملك كلام النسوة، وبراءة يوسف مما رمي به، فأراد رؤيته، وقال (أتؤني به)"<sup>(1)</sup>، فالحذف الواقع هنا من باب الإيجاز البديع الذي يعتبر من لطائف الإعجاز القرآني، كما أنّ هذا الحذف يفتح أبواب التأويل وتصور طبيعة الألفاظ المحذوفة، إضافة إلى تلك الصورة المتكاملة لطريقة الربط بين الألفاظ الموظفة لتأدية أتم المعاني وأسمائها في شكل بيئة دلالية كلية متكاملة. كما نلاحظ وجود حذف في النص القرآني السابق أيضاً، وهو حذف جملة، وهي جملة سابقة لجملة: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾؛ حيث إنّ جملة "فلمّا كَلَّمَهُ" مفرّعة على جملة محذوفة دلّ عليها (وقال الملك أتؤني به). والتقدير: فأتوه به أي يوسف - عليه السلام - فحضر لديه وكلمه فلمّا كَلَّمَهُ"<sup>(2)</sup>؛ أي إنّ الحذف الواقع في هذا الموضع دلّ عليه دليل من السياق المقالي في النص، وهذا ما جعل البنية التركيبية تبدو في شكل متكامل، بحيث لا يمكن أن يدرك موضع الحذف إلا بقوة تدبر وشدة تأمل كما أنّ هذا الحذف ساهم في تلاحم وترابط عناصر النص العاملة على تأدية المعنى العام الذي تتضافر فيه مختلف العناصر الدلالية المقابلة للعناصر التركيبية للنص.

أما أداة الاتساق الثالثة التي ساهمت في إظهار اتساق النص القرآني السابق فهي الوصل الإضافي، وهو ما تمثل في عطف جملة على جملة أخرى عن طريق "واو

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ن.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتتوير، ج13، ص 07.

العطف"، حيث يعمل حرف العطف على الجمع بين جملتين متتاليتين في الكلام، وظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ<sup>ط</sup> وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ذكر "الزمخشري" في معرض تفسيره لهذه الآية أن المقصود بـ ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: "بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم، ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾: من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أن نأجرهم في الدنيا." (1) فالملحوظ أن حرف العطف (الواو) قد جمع بين جملتين متتاليتين مختلفتين في المعنى جمعا جعل منهما بنية واحدة حيث أدت هذه الجملة بينة دلالية واحدة أيضا، بذلك فالوصل ساهم عن طريق حرف العطف في تلاحم الأجزاء اللفظية المكونة للآية الكريمة، وساهم أيضا في اتساق عناصر النص القرآني ككل.

أما أداة الاتساق الرابعة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي الاتساق المعجمي المتمثل في التكرار؛ حيث إن تكرار استعمال عدة ألفاظ دليل على دورها في تأكيد المعاني وتثبيتها، ودليل أيضا على دورها البارز في تلاحم واتساق العناصر المكونة للبنية التركيبية، فمن بين هذه الألفاظ المكررة نذكر لفظ (قال) الذي ورد ذكره في أكثر من موضع من النص القرآني السابق، وتكرر في مواضع أخرى سبق وأن أشرنا إليها، وهذا يتناسب مع طبيعة النص (سورة يوسف) الذي يتميز بالسرد والحوار فطبيعة النص ونوعه تقتضي استعمال ألفاظ معينة، وربما تكرار ألفاظ مخصوصة في أحيان كثيرة، وهذا ما ينعكس على البنية التركيبية التي يزيد تلاحمها واتصال عناصرها

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 301.

بعضها ببعض لتظهر في شكل الاتساق التام، والانسجام الكامل بين مختلف عناصر البنية الدلالية للنص.

18- ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ؕ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٥﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٥٦﴾ قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥٩﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۗ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٠﴾﴾

ذكر "الزمخشري" في تفسير هذا النص القرآني أن إخوة يوسف - عليه السلام - لم يعرفوه لطول العهد، ومفارقتهم إياهم في سنّ الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم؛ لقلّة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقه عليها طريحا في البئر [...] وقيل: ما رآه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب<sup>(1)</sup>، كما أنّ "دخولهم عليه يدلّ على أنّه كان يراقب أمر بيع الطعام بحضوره، ويأذن به في مجلسه خشية إضاعة الأوقات لأنّ بها حياة الأمة [...] وجملة (وهم منكرون له) عطف على جملة (عرفهم). ووقع الإخبار عنهم بالجملة الاسمية للدلالة على أنّ عدم معرفتهم به أمر ثابت متمكن منهم، وكان الإخبار عن معرفته إياهم بالجملة الفعلية المفيدة للتجدد للدلالة على أنّ معرفته إياهم حصلت بحدثان رؤيته إياهم

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ن.

دون توسم وتأمل.<sup>(1)</sup> فهذا العطف الرابط بين جملتين متتاليتين مختلفتين في النسق والمعنى؛ حيث إنّ إحداهما تخص نعرف يوسف - عليه السلام -، وهي جملة فعلية، أما الأخرى فتخص إخوته، وهي جملة جاء على نسق الجملة الاسمية، وفي هذا دلالة على قوة الرابط الجامع بين الجملتين المختلفتين تحت غطاء خدمة المعنى العام للنص، وذلك ما يسمى آلية الوصل الإضافي المسهم في اتساق النص وتلاحمه.

كما أننا نلاحظ أنّ جملاً أخرى ارتبطت عن طريق حرف العطف (الواو) في هذا النص، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُّونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾، أي: "أصلحهم بعدتهم، وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون"<sup>(2)</sup>، وروى أنّه لما رآهم وكلموه بالعبرانية، استفسر عن شأنهم والبلاد التي قدموا منها، فلما أجابوه قال: لعلمكم جيئتم تنظرون عورة بلادي؟ وحينها نفوا الأمر وأطلعوه بنسبهم، وأخبروه بأن لهم أخا من أبيهم صار يلازمه ويتأسى به لفقدانه الأخ الشقيق له، ولهذا طلب منهم إحضار هذا الأخ وإلا منع عنهم الكيل.<sup>(3)</sup> فحرف العطف (الواو) الوارد في مطلع هذه الآية ربطها بالآية السابقة لها ربطاً لفظياً، كما أنّ الحرف نفسه ربط جملة ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ بالجملة السابقة لها ربطاً جمع يحقق الوصل الإضافي المسهم في اتساق النص السابق وتلاحم عناصره، كما أنّ هذا النوع من الوصل تكرر في عدة مواضع من هذا النص مما ساهم في إظهار ارتباط عناصره بعضها ببعض ارتباطاً تاماً، وتلاحم واتساق بنيته التركيبية اتساقاً تاماً، وهذا ما انعكس على بنيته الدلالية التي بدت في أكمل صور ائتلافها وانسجامها.

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 12.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 302.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

إضافة إلى الوصل فقد ساهمت في اتساق النص القرآني السابق أدوات أخرى، ولعل أهمها الإحالة، والتي تمثلت في مواضع كثيرة نذكر منها ما ورد في مطلع النص في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخُلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، وهي إحالة نصية داخلية بالضمير؛ حيث أحال الضمير المتصل (هم) في لفظ (فعرَفَهُمْ)، والضمير المنفصل (هم) على لفظ (إخوة) إحالة بالعودة، وأحال الضمير المستتر (هو) في لفظ (عرَفَهُمْ) على اسم يوسف إحالة بالعودة أيضاً، كما وردت الإحالة النصية الداخلية أيضاً على سبيل التمثيل لا الحصر في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۗ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ حيث أحالت الضمائر الواردة في ألفاظ الآية الكريمة إحالة بالعودة على عناصر سابقة لها، فمثلاً ألفاظ: (رجعوا، أبيهم قالوا، أبانا، منّا، معنا، أخانا، نكتل) أحالت الضمائر الواردة فيها (سواء أكانت متصلة أم مستترة) على لفظ (إخوة) الوارد في مطلع النص السابق، وبهذا تكون الإحالة بالضمير قد حققت الاتساق النصي وربطها بين مختلف العناصر الواردة في النص، كما أنها حققت الترابط الدلالي بين أول النص وآخره، وعملت على أن يظهر النص في تضافر مختلف عناصره اللفظية والدلالية على أنه بنية واحدة يتصل أوله بآخره لفظاً ودلالة.

أما الأداة الثالثة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق وتلاحم عناصره فهي الاستبدال، والذي ظهر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُرُودٌ عَنَّا أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ومعنى هذه الآية: "سنخادعه عنه، وسنجهده ونحتال حتى ننتزعه من يده، ﴿وَإِنَّا

لَفَعْلُونَ﴿: وإنا لقادرون على ذلك لا نتعابى به" (1)؛ حيث استبدل لفظ (نراوده) بلفظ (فاعلون) النائب عنه، والقائم محله، وبهذا تحقق الربط في الآية الكريمة بين لفظين مختلفين في البنية والشكل، ومتفقين في تأدية الدلالة ذاتها؛ حيث إنهما بهذا الارتباط ساهما في تحقيق تمام الاتساق والتلاحم بين مختلف عناصر الآية الكريمة.

أما الأداة الرابعة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي الاتساق المعجمي، والذي تمثل في التكرار؛ حيث نجد أنه ظهر في عدة مواضع في النص بتكرار عدة ألفاظ ساهمت في تأكيد المعاني وتثبيتها، نذكر على سبيل المثال ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فمعنى "(لعلهم يعرفونها) أي: يعرفون حق ردها، وحق التكرم بإعطاء البدلين، فيرجعون فينا إذا انقلبوا إلى أهلهم وفرغوا ظروفهم، و(لعلهم يعرفونها) تعليق بالجعل، و(لعلهم يرجعون) تعليق بترجي معرفة البضاعة للرجوع إلى يوسف" (2)؛ أي إن علة الوضع متعلقة بالرجوع، لذلك تكرر لفظ (لعلهم) للدلالة على أن الجملة الثانية متعلقة بالجملة الأولى، وبهذا يكون التكرار قد حقق الارتباط اللفظي بين جملتين متتاليتين ترتبط الواحدة منهما بالأخرى ارتباطاً دلالياً كون أنهما تتفقان في تأدية بنية دلالية واحدة.

19- ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ زُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا بَنَانَا مَا نَبِغِي ۗ هَذِهِ بَضَعْتُنَا زُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ۗ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتُونَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ تُحَاطَ بِكُمْ ۗ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَ

1- المرجع السابق، ص ن.

2- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 320.

تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ۗ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۗ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۗ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

ذكر "محمد الطاهر بن عاشور" أنّ "أصل المتاع ما يتمتع به من العروض والثياب. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ في سورة النساء. وأطلق هنا على إعدال المتاع وإحماله من تسمية الشيء باسم الحال فيه. وجملة ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً لترقب السامع أن يعلم ماذا صدر منهم حين فجأهم وجدان بضاعتهم في ضمن متاعهم لأنها مفاجأة غريبة، ولهذه النكته لم يعطف بالفاء. <sup>(1)</sup> ثم استفهم إخوة يوسف - عليه السلام - بقولهم: أي شيء نطلب من وراء هذا الإحسان؟ فهذه بضاعتنا ردت إلينا<sup>(2)</sup>، وراودوا أباه وأصروا عليه السماح لهم باصطحاب بنيامين معهم في رحلتهم إلى مصر، إلا أنه لم يرض بذلك إلا بعد أن أتوه بموثق من الله يلزمهم بالحفاظ على أخيهم وحمالته من كل سوء.

إنّ النصّ القرآني السابق قام في اتساقه على جملة من الآليات النصّية، والتي تمثلت في: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي (التكرار). أما الإحالة فتتوزع بين الإحالة النصّية الداخلية والإحالة المقامية، والتي نذكر منها ما ورد في نصّ الآية (65)؛ حيث أحالت الضمائر المتصلة في ألفاظ: (فتحوا، متاعهم، وجدوا، بضاعتهم إليهم، أبانا، بضاعتنا، إلينا، أهلنا، أخانا) على لفظ (إخوة) الوارد في نصّ الآية (58).

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 17.

<sup>2</sup> - ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 304.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

أما الإحالة المقامية فتمثلت عن طريق استعمال اسم الإشارة (ذلك)، حيث إنّ "الإشارة في ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ إلى الطعام الذي في متاعهم، وإطلاق الكيل عليه من إطلاق المصدر على المفعول بقرينة الإشارة"<sup>(1)</sup>، فاسم الإشارة (ذلك) أحال على عنصر موجود في المقام وهو الطعام الذي اكتالوه من عزيز مصر، وهذا ما يثبت اتصال العناصر اللفظية المستعملة في الحوار بالعناصر المقامية الموجودة في مقام التواصل، وهذا ما يساهم في اتساق النص وتلاحم عناصره اللغوية وغير اللغوية.

أما الحذف فيظهر في النص القرآني السابق في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ﴾؛ حيث إنّ "جملة ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ جواب لقسم محذوف دلّ عليه ﴿مَوْثِقًا﴾، وهو حكاية لقول يقوله أبناؤه المطلوب منهم إيقاعه حكاية بالمعنى على طريقة حكاية الأقوال، لأنهم لو نطقوا بالقسم لقالوا: لتأتنيك به، فلما حكاه هو ركب الحكاية بالجملة التي هي كلامهم، وبالضمائر المناسبة لكلامه بخطابه إياهم"<sup>(2)</sup>، فظهر في الكلام حذف جعل من بنيته تبدو في شكل موجز إيجازاً بديعاً يختص به القرآن الكريم دون غيره من النصوص الأخرى، كما أنّ هذا الحذف ساهم في اتساق البنية التركيبية من خلال التعبير عن جملة من المعاني بأقل عدد من الألفاظ.

أما الوصل فتمثل في الإضافي المعبر عنه بحرف العطف (الواو)، والذي ربط بين مختلف الجمل ربطاً لفظياً منطقيّاً؛ حيث جمع بين معاني جمل مختلفة لتأدية المعنى العام للنص، وقد ورد هذا الحرف في مواضع كثيرة نذكر منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بَضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَخَفْضُ أَخَانَا وَزَرَادُ

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتوير، ج13، ص 18.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 19.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

كَيْلٍ بَعِيرٍ<sup>ط</sup> ذَلِكَ كَيْلٌ يُسِيرٌ؛ حيث إن قوله: ﴿بِضَعْتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: جملة مستأنفة موضحة لقوله: ﴿مَا نَبْغِي﴾، والجمل بعدها معطوفة عليها<sup>(1)</sup>، أي إن الجمل التي تلت هذه الجملة ارتبطت بها عن طريق حرف العطف (الواو)، وشكلت بهذا الاتصال بنية مترابطة تركيبيا ودلاليا. كما نجد أن العطف بالواو ورد أيضا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾؛ حيث إن جملة "﴿وَقَالَ يَبْنَى﴾ عطف على جملة ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ﴾"<sup>(2)</sup>، وبهذا تحقق الربط بين جملتين: الأولى وردت في نص الآية (66)، والثانية وردت في نص الآية (67)، وتجسد بذلك التلاحم والاتساق بين العناصر اللفظية للآيتين وبين مختلف العناصر المكونة للنص ككل، كما نجد في المقابل انسجاما بين المعاني التي احتوتها هذه العناصر اللفظية.

أما النوع الثاني للوصل الظاهر في النص القرآني السابق فهو الوصل العكسي؛ حيث يظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ففي هذه الجملة "استدراك نشأ عن جملة ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ إلخ. والمعنى أن الله أمر يعقوب - عليه السلام - بأخذ أسباب الاحتياط والنصيحة مع علمه بأن ذلك لا يغني عنهم من الله من شيء قدره لهم."<sup>(3)</sup> وهذا الاستدراك تجسد في الآية (68) عن طريق الأداة (لكن) التي تحقق بواسطتها الوصل العكسي بين بداية الآية وآخرها، كما أن

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 304.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 20.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 25.

بواسطة هذا النوع من الوصل تحقق الاتساق التام بين مختلف العناصر اللفظية للآية الكريمة.

أما الاتساق المعجمي فظهر في النص القرآني السابق متمثلاً في تكرار لفظ (قال)، والذي ورد في مطلع الآيتين: (66) و(67)؛ حيث إن "إعادة فعل (قال) للإشارة إلى اختلاف زمن القولين وإن كانا معا مسببين على إيتاء موثقهم. لأنه اطمأن لرعايتهم ابنه، وظهرت له المصلحة في سفرهم للإمتياز." (1) كما أن هذا التكرار وطّد الارتباط بين العناصر اللفظية للآيتين، وجعل بنيتهما تبدوان في شكل بنية واحدة كون أن فعل القول صادر عن المخاطب الذي أنتج جملة من الأقوال لإثبات الحجة على المخاطبين، كما أن بواسطة هذه الآلية (التكرار) تجسد التلاحم والاتساق بين عناصر الآيتين اللفظية وانعكس هذا التلاحم على الجانب الدلالي فبدت البنية الدلالية في أتم انسجامها وتلاحمها.

20- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ ۖ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۗ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْتَهَا الْعِيبُ رِجْلًا ۖ قَالُوا قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَّاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧١﴾

1- المرجع السابق، ص 20.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

يظهر من خلال التأمل والتدبر في هذا النص القرآني أنه قام في اتساقه على مجموعة من الأدوات، والتي تمثلت في: الإحالة، والحذف، والاستبدال، والوصل والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية الداخلية، والتي استعملت فيها عدة أدوات لفظية كالضمائر (المنفصلة، والمتصلة، والمستترة)، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، ويمكن تفصيل ذلك في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
دخلوا - كانوا - جهّزهم بجهّزهم - أيتها - إنكم	نصية داخلية	الواو - الواو - هم هم - الهاء - كم	عنصر سابق
قالوا - أقبلوا - عليهم قالوا - نفقد - قالوا علمتم - جننا - لنفسد كنّا - قالوا - كنتم قالوا	نصية داخلية	الواو - الواو - هم الواو - نحن - الواو تم - النون - نحن النون - الواو - تم الواو	عنصر سابق
إليه - أخاه - أنا أخوك - جهّزهم - جعل أخيه - أنا - به - من	نصية داخلية	الهاء - الهاء - أنا الكاف - هو - هو الهاء - أنا - الهاء - من	عنصر سابق
جزأؤه - فهو - كذلك	نصية داخلية	الهاء - هو - ذلك	عنصر سابق

### الجدول رقم: 08

#### التعليق:

إن الملاحظ للجدول السابق يدرك أن الإحالة تنوعت في الأدوات التي استعملت فيها، فتارة نجد الإحالة بالضمائر (المنفصلة، والمتصلة، والمستترة) كما يظهر - على سبيل المثال - في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ ۖ أَوْىٰٓءَ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۗ قَالَ إِنِّي

أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَسِّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾، ومعنى هذه الآية الكريمة أن يوسف - عليه السلام - "ضم إليه بنيامين، وروي أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جنناك به، فقال لهم: أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي، فأنزلهم وأكرمهم"<sup>(1)</sup>، وأجلس كل اثنين منهم على مائدة، وبقي بنيامين وحده فأجلسه معه، وقال له: أنا أخوك بدل أخيك المفقود، فلا تبتس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى<sup>(2)</sup>، فنجد تنوع الضمائر في هذه الآية ظاهرا؛ حيث أحال الضمير المنفصل (أنا) على اسم يوسف المذكور في مطلع الآية، فكانت إحالة داخلية بالعودة على عنصر سابق، وأحال الضمير المتصل (الهاء) في لفظ (أخاه) إحالة داخلية بالعودة على عنصر سابق أيضا، كما أحال الضمير المستتر (أنت) في لفظ (تبتس) على لفظ (أخاه) إحالة داخلية بالعودة على عنصر سابق، كما يمكن أن يحيل الضمير على المستتر (أنت) على ذات المخاطب، وهو عنصر موجود في مقام التواصل، فتكون الإحالة في هذه الحال إحالة مقامية على عنصر يوجد خارج النص.

أما الإحالة باسم الإشارة والاسم الموصول فظهرت في قوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاءُ هُوَ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ هُوَ<sup>٣</sup> كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾﴾، فتكون (من) هنا "موصولة مبتدأ ثانيا. وجملة ﴿وَجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ صلة الموصول. والمعنى أن من وجد في رحله الصوّاع هو جزاء السرقة، أي ذاته هي جزاء السرقة، فالمعنى أن ذاته تكون عوضا عن هذه الجريمة، أي أن يصير رقيقا لصاحب الصوّاع ل يتم معنى الجزاء بذات أخرى."<sup>(3)</sup> فالاسم الموصول (من) والصلة التي ارتبطت به تفسره وتميط عنه الإبهام حقا

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 307.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص ن.

<sup>3</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 30.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

التلاحم والارتباط بين عناصر الآية تماما مثل ما يحققه الاسم الذي يمكن أن يعوضه وينوب عنه، وهو الاسم الموصول (الذي)، وبهذا تكون جملة ﴿فَهُوَ جَزَأُوهُ﴾ توكيدا لفظيا لجملة ﴿جَزَأُوهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ لتقرير الحكم وعدم الانفلات منه، وتكون الفاء للتفريع.<sup>(1)</sup> هذا إذا اعتبرت (من) اسما موصولا، أما إذا اعتبرت شرطية فتكون جملة ﴿وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ جملة الشرط وجملة ﴿فَهُوَ جَزَأُوهُ﴾ جواب الشرط، والفاء رابطة للجواب.<sup>(2)</sup> لكن في كلتا الحالتين تعتبر (من) رابطا لفظيا ساهم في اتساق النص القرآني السابق وتلاحم عناصره وارتباطها.

أما الإحالة باسم الإشارة فتظهر في جملة ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، ومعناها أنّ "كذلك حكم قومنا في جزاء السارق الظالم بسرقة [...] والإشارة بـ (كذلك) إلى الجزاء المأخوذ من (نجزي)، أي نجزي الظالمين جزاء كذلك الجزاء، وهو من وجد في رحله."<sup>(3)</sup> وبذلك يكون اسم الإشارة قد حقق الاتصال بالجملة السابقة للجملة والوارد فيها بإحالته إحالة بالعودة على عنصر سابق في الكلام، فحقق بهذا الترابط والاتصال بين عنصرين مختلفين في الكلام، ليتجسد الاتساق النصي في أكمل صورته وأتمها على الإطلاق.

أما الآلية الثانية التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي الحذف والذي يظهر جليا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، والمقصود بـ (العير): "أصحاب العير؛

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ن.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص ن.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 31.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

كقوله: يا خيل الله اركني، وقرأ ابن مسعود: (وجعل السقاية): على حذف جواب لَمَّا، كأنه قيل: فلَمَّا جهزهم بجهازهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، أمهلهم حتى انطلقوا، ثم أذن مؤذن<sup>(1)</sup> وتقدير الحذف: "فقدنا حافظها، كما قيل: إنما أوحى إلى يوسف أن يجعل السقاية فقط، ثم إنَّ حافظها فقدنا فنأدى"<sup>(2)</sup> فالحذف في هذه الآية وقع في موضعين: الموضع الأول هو حذف لفظ (أصحاب) التي أضيف إليها في الأصل لفظ (عير)، كون أنَّ ما يحق له أن يكون منادى هم الناس الذين يقودون هذه العير، والموضع الثاني الذي وقع فيه الحذف هو حذف جواب لما من الكلام وبهذا يكون قد حذف من الكلام ألفاظ لوجود ما يدلّ عليها فيه، دون أن يؤثر غيابها على بنية الكلام ومعناه، بل يكون الحذف فيه أبلغ من الذكر وأفصح، فيلاحظ من هذا أن للحذف دورا كبيرا في إظهار اتساق الألفاظ وترابطها في مستوى البنية التركيبية للنص.

أمَّا الآية الثالثة التي ساهمت في اتساق النصّ القرآني السابق فهي الاستبدال؛ حيث استبدل فيه لفظ (السقاية) الوارد في الآية (70) بلفظ (الصُّوع) الوارد في الآية (72)، ومعنى كل لفظ أن "السقاية: إناء كبير يسقى به الماء والخمر. والصُّوع: لغة في الصاع، وهو وعاء للكيل يقدر بوزن رطل وربع أو ثلث. وكانوا يشربون الخمر بالمقدار يقدر كل شارب لنفسه ما اعتاد أنه لا يصرعه، ويجعلون آنية الخمر مقدرة بمقادير مختلفة [...] فتسمية هذا الإناء سقاية وتسميته صواعة جارية على ذلك."<sup>(3)</sup> وبهذا يكون قد وقع في النصّ القرآني السابق استبدال لفظ مكان لفظ يتفق معه في الدلالة، فيظهر في النصّ المعنى الواحد بلفظين مختلفين ما يزيد ارتباط الموضع الأول بالموضع الثاني ارتباطا دلاليا، والذي أسهم في إظهار الاتساق النصّي التام على النصّ السابق.

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، 308.

<sup>2</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 326.

<sup>3</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 28/27.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

أما الآلية الرابعة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي الوصل والذي تمثل في نوعين: الوصل الإضافي والوصل السببي. أما الوصل الإضافي فقد عبرت عنه حروف العطف الموظفة في النص؛ حيث عملت (ثم) على الربط بين جملتين متتاليتين يفصل بينهما زمن معين أو مهلة محددة مثل ما يظهر في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾؛ أي: "نادى مناد أذن أعلم وأذن أكثر الإعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه، وثم تقتضي مهلة بين جعل السقاية والتأذين"<sup>(1)</sup>، فساهم هذا الحرف في الوصل بين جملتين متباعدتين في زمن وقوعهما، وحقق الاتساق في أكمل صورته. كما نجد أن حرف العطف (الواو) عمل على الجمع بين جملتين متتاليتين مثل ما ظهر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾؛ أي أنهم "جعلوا جعلاً من يأتي بالصواع. والذي قال (وأنا به زعيم) واحد من المقبلين وهو كبيرهم"<sup>(2)</sup>، من هذا ندرك أن حرف العطف (الواو) ربط بين جملتين مختلفتين في الكريمة وجمع بينها جمعاً جعلها تبدو مجتمعة في بنية واحدة رغم أنها جمل مختلفة في معانيها كما أن هذا الحرف ساهم في اتساق وتلاحم مختلف العناصر اللفظية المكونة لهذه الآية الكريمة.

أما النوع الثاني من الوصل الظاهر في النص القرآني السابق فهو الوصل السببي والذي تمثل في علاقة الشرط التي تجسد السبب والنتيجة، وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَأُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَأُهُ﴾؛ حيث إنَّ (من) يجوز أن تكون شرطية وهي مبتدأ ثان، وأنَّ جملة ﴿وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ جملة الشرط، وجملة ﴿فَهُوَ جَزَأُهُ﴾

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 326.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 29.



جَزَأَوْهُ ﴿جواب الشرط، والفاء رابطة للجواب<sup>(1)</sup>، كما يمكن أن تكون (من) موصولة (وقد سبق الإشارة إلى ذلك)، فبالطرح الأول تكون (من) في هذا المقام قد حققت علاقة الشرط التي تتضمن السبب والنتيجة، وبذلك تحقق الوصل السببي الذي ساهم في إظهار الاتساق العام للنص.

أما الآلية الخامسة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي الاتساق المعجمي، والذي تجسد في هذا النص في التكرار؛ حيث نلاحظ أنّ في مطلعته تكرر اسم (يوسف) كما حدث في الآيات السابقة له، وهذا التكرار فيه دليل على دور هذا الاسم في البناء العام لسورة يوسف، كون أنها سورة تناولت في أغلب محاورها قصة النبي يوسف - عليه السلام -، كما نلاحظ أيضا تكرار لفظ (قالوا) في أكثر من موضع وفي ذلك دلالة على طبيعة البنية التي يتميز بها هذا النص خاصة، وطبيعة بنية سورة يوسف عامة التي غلب عليها الطابع الحوارية الذي يقتضي وجود أطراف يقوم عليها هذا الحوار، وتكرار هذا اللفظ في حد ذاته يعتبر رابطا يجمع بين الآيات ويرتبطها ترتيبا يتوافق وطبيعة الأحداث الواردة في هذا النص.

إضافة إلى وسائل الاتساق التي عملت على إظهار النص السابق في شكل موحد ومتلاحم الأجزاء، فهناك أدوات لفظية أخرى ساهمت في ترابط عناصر هذا النص واتساقها، وهي عبارة عن أدوات اتصلت بالألفاظ والجمل لتظهر المعنى وتبينه، من بين هذه الأدوات نذكر (إنّ) التي تعتبر من الأدوات الناسخة التي تدخل على الجملة الاسمية فتغيّر أحكام ألفاظها، كما تعمل على تأكيد معنى هذه الجملة، ومن بين هذه الأدوات أيضا حروف الجر (الباء، وفي) التي تدخل على الأسماء فتربطها بما سبقها من كلام

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 30.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وتعمل أيضا على ربط المعاني ووصلها بعضها ببعض، وهذه الأدوات سواء كانت ناصبة أم خافضة، فإنها تساهم في ترابط البنية التركيبية وتلاحمها، كما أنها تساهم في تحقيق انسجام المعاني واتصالها بعضها ببعض في إطار الدلالة الجامعة للنص.

20- ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَٰ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۗ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعِنَا بِهِ عِنْدَهُ ۗ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۗ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَٰ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

يظهر من خلال التدبر في هذا النص القرآني أنه قام في اتساقه على جملة من الأدوات والوسائل، ولعل من أبرزها نذكر: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية الداخلية، والتي يمكن أن تحدد مواضعها كما هو مبين في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
فبدأ - أخيه - استخرجها ليأخذ - أخاه - نفسه بيدها - قال - خذ	نصية داخلية	هو - الهاء - هو - الهاء هو - الهاء - الهاء هو - الهاء - هو - أنت	عنصر سابق

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

	الكاف - هو - نحن النون - النون - هو الهاء		نراك - قال - نأخذ وجدنا - متاعنا - أسرها منه
عنصر لاحق عنصر سابق	ذلك النون - نحن - نحن هو	نصية داخلية	كذلك كدنا - نرفع - نشاء وهو
عنصر سابق	هم - الواو - هم أنتم - أنتم - النون النون - نحن - الواو الواو - هم - الواو كم - كم - تم	نصية داخلية	بأوعيتهم - قالوا - لهم أنتم - تصفون - أهدنا إنّا - نراك - استئسوا خلصوا - كبيرهم - تعلموا أباكم - عليكم - فرطتم
عنصر سابق	هو - أنا - الياء - الياء	نصية داخلية	قال - أبرح - لي - أبي
عنصر سابق	الهاء - من - الهاء	نصية داخلية	له - من - عنده

### الجدول رقم: 09

#### التعليق:

نلاحظ من الجدول السابق أنّ جلّ المواضع التي وردت فيها الإحالة، سواء الإحالة بالضمير، أو الإحالة باسم الإشارة، أو الإحالة بالاسم الموصول، كانت إحالة نصية داخلية، فمثلا الإحالة الواردة في قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، يقول "الزمخشري" في تفسير هذه الآية: "فإن قلت: لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنته؟ قلت: قالوا: رجع بالتأنيث على السقاية، أو أنت الصواع؛ لأنّه يذكر ويؤنث، ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبده صواعا، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية، وفيما يتصل بهم منه صواعا،

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا﴾: مثل ذلك الكيد العظيم كدنا.<sup>(1)</sup> فالإحالة الواردة في هذه الآية هي إحالة نصية داخلية بالضمير واسم الإشارة، أما الإحالة بالضمير فتمثلت في إحالة الضمائر المستترة الواردة في لفظي: بدأ (هو)، واستخرجها (هو)؛ حيث أحال هذان الضميران على اسم (يوسف) المذكور في الآيات السابقة لهذه الآية، كما أحالت الضمير المتصل في لفظ (أوعيتهم) على لفظ (إخوة) الوارد أيضا في الآيات السابقة لهذه الآية، كما نجد أيضا أنّ الإحالة بالضمير وردت في لفظ: استخرجها (الهاء)؛ حيث أحال هذا الضمير على لفظ (السقاية أو الصواع). أما الإحالة باسم الإشارة (ذلك)، فقد أحال هذا الاسم على لفظ (الكيد) اللاحق ومن هذا ندرك أن الإحالة ساهمت في ارتباط مختلف عناصر النص القرآني السابق بعضها ببعض في شكل حلقات متصلة لتبرز تلاحم النص واتساقه.

كما نجد أن الإحالة تحققت أيضا بواسطة الضمير المنفصل في مواضع عدة من النص القرآني السابق، ولعل من أبرزها ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾؛ أي "أنتم أشدّ شرا في حالتكم هذه؛ لأنّ سرقتم مشاهدة، وأما سرقة أخي أخيك فمجرد دعوى"<sup>(2)</sup>، فالضمير (أنتم) أحال بالعودة على لفظ (إخوة)، كما يمكن أن يكون قد أحال إحالة مقامية على نوات المخاطبين الموجودة في مقام التواصل، وأيا كان نوع الإحالة فقد ساهمت في اتساق النص وتلاحم عناصره، وذلك بإقامة علاقة دلالية بين اللفظ المحيل واللفظ المحال عليه. كما نجد أن الإحالة تحققت في النص القرآني السابق عن طريق الاسم الموصول، والذي ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 310/309.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 35.

وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِنْدَهُرَ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿١﴾، ومعنى ذلك: "الامتناع من ذلك، أي نلجأ إلى الله أن يعصمنا من أخذ من لا حق لنا في أخذه. أي أن يعصمنا من الظلم لأن أخذ من وجد المتاع عنده صار حقاً عليه بحكمه على نفسه، لأن التحكيم له قوة الشريعة. وأما أخذ غيره فلا يسوغ إذ ليس لأحد أن يسترق نفسه بغير حكم. لذلك علل الامتناع من ذلك بأنه لفعله لكان ذلك ظلماً." (1) ومن هذا ندرك أن الاسم الموصل (من) وصلته (وجدنا متاعنا عنده) التي عملت على إزالة الإبهام عنه أشارا إلى مذكور سابق في الكلام، وهو لفظ (أخ) الذي يشير إلى (بنيامين) الأخ الشقيق ليوسف - عليه السلام -، حيث ساهمت هذه الإحالة في شدّ أطراف النص وإحكام ترابطها بعضها ببعض، وظهرت البنية التركيبية في شكل متسق منقطع النظير، كما نجد أنّ هذا التلاحم في التركيب اعكس على البنية الدلالية التي بدت في أكمل صور انسجامها.

أما الآلية الثانية التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي آلية الاستبدال، والتي يمكن التمثيل لها بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَنَا عِنْدَهُرَ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾؛ حيث وقع الاستبدال في هذه الآية الكريمة باستبدال لفظ (سقاية أو صواع) بلفظ (متاعنا)، فتحقق بذلك ارتباط بين مواضع توظيف اللفظ: (سقاية و صواع)، وبين موضع اللفظ (متاعنا)، ونتج عن هذا الارتباط اتساق بين عناصر النص القرآني السابق وما سبقه من آيات قرآنية، كما انعكس هذا الاتساق في مستوى البنية التركيبية على البنية الدلالية للنص القرآني من خلال ذلك الارتباط الدلالي الموجود بين هذه الألفاظ الموظفة.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 37.

أما الآلية الثالثة التي ساهمت في إبراز الاتساق الكامل للنص القرآني السابق فهي آية الحذف، والتي ظهرت جليا في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾، ف (معاذ) مصدر ميمي اسم للعوذ [...] وانتصب هذا المصدر على المفعولية المطلقة نائبا عن فعله المحذوف، والتقدير: أعوذ بالله معاذا، فلما حذف الفعل جعل الاسم المجرور بباء التعديّة متصلا بالمصدر بطريق الإضافة فقول: معاذ الله، كما قالوا: سبحان الله عوضا عن أسبح الله.<sup>(1)</sup> فحذف هذا الفعل من الكلام لم يؤثر على المعنى لوجود ما يدل عليه وينوب عنه، بل زاد في تماسك عناصر البنية التركيبية وترابطها ارتباطا تاما، كما ساهم هذا الحذف في تحقيق الاتساق النصي التام على مستوى سطح النص، والانسجام الكامل في بنيته الدلالية التي لا تدرك إلا التفسير والتأويل والبحث فيما يمكن أن ينتج عن تقليب في مستوى البنية التركيبية، وما يمكن أن يكون قد حذف من عناصرها.

أما الآلية الرابعة التي ساهمت في تلاحم واتساق النص القرآني السابق فهي آية الوصل، والتي تمثلت في الوصل بأنواعه الثلاثة: الإضافي، والسببي، والزمني. أما الوصل الإضافي فظهر من خلال أدوات العطف التي عملت على ربط جمل متتالية، إما عن طريق الجمع الذي يمثله حرف العطف (الواو) في عدة مواضع من النص القرآني نذكر منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ﴾؛ حيث جمع حرف العطف بين جملتين متتاليتين لا مهلة بينهما في زمن الوقوع. وإما عن طريق الترتيب والمهلة الظاهرة في وظيفة الرابط (ثم)؛ حيث يعمل على الربط بين جملتين متتاليتين لا تتفقان في زمن الوقوع، وذلك مثلما ورد في قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ن.

قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ<sup>(1)</sup>، قيل: قال لهم من وكل بهم: لابد من تفتيش أوعيتكم، فانصرف بهم إلى يوسف، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين؛ لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه، فقال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله، لا تتركه حتى تنتظر في رحله؛ فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فاستخرجه منه<sup>(1)</sup>؛ أي إن بين تفتيش أوعية الإخوة وتفتيش وعاء بنيامين زمن ومدة وهذا ما أفاده الرابط (ثم)، والذي تحقق بفضل الارتباط بين الجملتين، والاتصال بين عناصرهما الذي يعمل على تحقيق الاتساق العام للنص.

أما الوصل السببي فظهر في علاقة الشرط التي يمكن أن تحمل معنى السبب والنتيجة، ويمكن التمثيل لهذا النوع من الوصل بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ<sup>(2)</sup>﴾، ومعنى ذلك أنهم "استعطفوه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب، وأنه شيخ كبير السن أو كبير القدر، وأن بنيامين أحب إليه منهم، وكانوا قد أخبروه بأن ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان، وأنه مستأنس بأخيه، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ<sup>(2)</sup>﴾: فخذ بدلته على وجه الاسترهان أو الاستعباد."<sup>(2)</sup> فالسبب هو ذلك الشيخ الكبير الذي ينتظر قدوم ابنه المحبوب، والنتيجة هي أخذ أحد الإخوة بدلا من بنيامين، فتحقق بذلك الوصل السببي الذي ساهم في اتساق النص القرآني السابق وتلاحم عناصره اللفظية.

أما الوصل الزمني فيظهر من خلال استعمال أسماء تدل على الزمن وتعبّر عنه وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 309.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 311.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَؑ؛ أي "تفريطكم في يوسف - عليه السلام - كان من قبل الموثق، أي فهو غير مصدقكم فيما تخبرون به من أخذ بنيامين في سرقة الصواع"<sup>(1)</sup>، فاستعمال ظرف الزمان (قبل) ساهم في ربط عناصر الكلام ربطا زمنيا، وبذلك ظهرت النية التركيبية متلاحمة الأجزاء، متسقة العناصر.

أما الآلية الخامسة فهي **الاتساق المعجمي**، والذي تمثل في النص القرآني السابق في التكرار؛ حيث نلاحظ تكرار عدة جمل وألفاظ من بينها تكرار جملة: (وعاء أخيه) والتي وردت في موضعين: ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ و﴿أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾، وتكرار هذه الجملة يدل دلالة واضحة على دورها في تأكيد المعاني وتثبيتها. كما نلاحظ أيضا تكرار مجموعة من الألفاظ مثل اسم (يوسف)، الذي تكرر ذكره في عدة مواضع: ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾، ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ﴾، ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾، وهذا التكرار يدل على دور هذا الاسم في البنية التركيبية العامة لسورة يوسف، كما يلاحظ أيضا أنّ في تكرار هذا الاسم إحالات متكررة على الذات التي تقوم عليها القصة الواردة في سورة يوسف. وما يلاحظه متأمل النص القرآني السابق أيضا هو تكرار لفظ الفعل (قال) بدلالاته على المفرد والجمع وهذا ما يقتضيه النص السردى الحوارى الذي تستلزم بنيته وجود أطراف التحوار، كما أنّ تكرار هذا الفعل يغني عن الاستعانة بروابط لفظية تربط بين الجمل الوارد فيها. ومن هذا يمكن القول أنّ توظيف التكرار في النص بغض النظر عن نوعه، سواء أكان تكرار جملة أو فعل أو اسم فهو يساهم في إظهار الترابط والاتساق بين مختلف العناصر اللفظية المكونة لهذا النص.

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 40/39.



21- ﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٤١﴾ وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبِرْ جَمِيلًا ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٤٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يُونُسَ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ۗ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَىٰ اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾ يَبْنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

يظهر لنا من خلال التدبر والتأمل في هذا النص القرآني أنه اعتمد في اتساقه وتلاحم عناصره على جملة من أدوات الاتساق، ولعل أهمها ما يلي: الإحالة، والحذف والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فكانت أكثر الأدوات استعمالاً في هذا النص والتي تمثلت في الإحالة النصية الداخلية؛ حيث استعملت فيها مجموعة من الأدوات كالضمائر والأسماء الموصولة، والتي يمكن تبيانها في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
ارجعوا - أبيكم - فقولوا أبانا - شهدنا - علمنا كنا - أقبلنا - لصادقون لكم - أنفسكم - عنهم قالوا - تعلمون - اذهبوا	نصية داخلية	الواو - كم - الواو النون - النون - النون النون - النون - الواو كم - كم - هم الواو - الواو - الواو	عنصر سابق

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

عنصر سابق	الكاف - أنت - هو الياء - هو - هو الياء - الهاء - هو أنت - أنت - أنت هو - أنا - الياء الياء - أنا - الياء	نصية داخلية	ابنك - اسأل - قال يأتيني - تولى - قال أسفى - عيناه - فهو تفتأ - تذكر - تكون قال - أشكو - بثي حزني - أعلم - بني
عنصر سابق	التي - الهاء - هم التي - الهاء - الهاء هو	نصية داخلية	التي - فيها - بهم التي - فيها - إنّه هو

### الجدول رقم: 10

#### التعليق:

يظهر لنا من خلال الجدول السابق (الجدول رقم: 10) أنّ الإحالة الواردة في النصّ القرآني السابق هي إحالة نصية داخلية، واستعين في إظهار هذه الإحالة بجملة من الأدوات، وأول هذه الأدوات هي الضمائر باختلاف أنواعها (المنفصلة، والمتصلة والمستترة)؛ حيث يمكن التمثيل لها بقوله تعالى: ﴿أَرْجِعُونَا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ أُمَّتَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾، ويقول "الزمخشري" في تفسير هذه الآية: "قرئ: (سُرِقَ) أي: نسب إلى السرقة، ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾: عليه بالسرقة، ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾: من سرقة وتيقناه؛ لأنّ الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: وما علمنا أنّه سيسرق حين أعطيناك

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الموثق، أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف.<sup>(1)</sup> فالظاهر في هذه الآية أنها ضمت مجموعة من الضمائر التي أحالت على عناصر مختلفة؛ حيث نجد مثلاً ألفاظ: (ارجعوا، أبيكم، فقولوا أبانا، شهدنا، علمنا، كنا)، قد أحالت الضمائر المتصلة بها على لفظ (إخوة) المذكور في الآيات السابقة لهذه الآية الكريمة، وبهذا تكون هذه الإحالات قد جسدت شبكة من العلاقات بين عنصر سابق وعناصر أخرى تالية له، فتتحقق التلاحم والاتساق التام بين مختلف العناصر اللفظية المكونة للنص القرآني (سورة يوسف).

أمّا ثاني هذه الأدوات فهي الأسماء الموصولة، والتي ساهمت بدورها في تحقيق الاتساق النص الملاحظ على النص القرآني السابق، والتي يمكن التمثيل لها بقوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، والمقصود "بالعير التي كانوا فيها رفاقهم في عيرهم القادمين إلى مصر من أرض كنعان، فأما سؤال العير فسهل، وأما سؤال القرية فيكون بالإرسال أو المراسلة أو الذهاب بنفسه إن أراد الاستثبات"<sup>(2)</sup>؛ حيث نجد أن الاسم الموصول (التي) قد ورد مرتين في نص الآية السابقة وقد أحال في المرتين على عنصر لفظي سابق؛ حيث أحال في المرة الأولى على (القرية)، وأحال في المرة الثانية على (العير)، وبهذا يكون هذا الاسم قد ساهم في ترابط واتساق النص القرآني السابق، كما ساهم في إظهار انسجام المعاني وتلاحمها في مستوى البنية الدلالية الكبرى للنص.

أمّا الآية الثانية التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق وتلاحمه وارتباطه بنصوص الآيات السابقة له، فهي آية الحذف، والتي ظهرت من خلال الأسلوب البديع للقرآني الكريم في سرد الأحداث، ففي كثير من المواضع نجد إضماراً لأحداث من باب

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 314.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتتوير، ج13، ص 41/40.

الاختصار والإيجاز، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾؛ حيث يوجد بين هذه الآية والآية السابقة لها كلام محذوف تقديره: "رجعوا إلى أبيهم، وأخبروه بالقصة، وقول من قال: ارجعوا ثم استشهدوا بأهل القرية التي كانوا فيها وهي مصر، قاله ابن عباس: أي: أرسل إلى القرية، وأسأل عن كنه القصة، والعير كانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب، وقيل: من أهل صنعاء." (1) كما نجد أن الحذف وقع قبل لفظ (القرية)، وقبل لفظ (العير)؛ حيث حذف المضاف السابق لهما، والتقدير: "اسأل أهل القرية وأهل العير" (2)، والحذف لا يمكن أن يقع في الكلام إلا إذا وجد له دليل يدل عليه في السياق المقالي أو السياق المقامي، وهنا دليل الحذف يكمن في السياق المقالي؛ حيث إن القرية والعير لا تسألان، بل يسأل الناس الذين يسكنون القرية، ويسأل أصحاب العير، وبهذا يكون الحذف قد ساهم في إظهار التماسك والتلاحم في مستوى البنية التركيبية للنص القرآني السابق.

أما الآلية الثالثة التي ساهمت في تلاحم واتساق النص القرآني السابق، فهي آلية الوصل، والتي تمثلت في الوصل الإضافي، والوصل العكسي، أما الإضافي فيظهر من خلال توظيف حرف العطف الدال على الجمع بين جملتين متتاليتين مختلفتين في المعنى، وهذا ما ظهر - على سبيل المثال - في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، قال "الزمخشري" في تفسير هذه الآية: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: وأعرض عنهم؛ كراهة لما جاؤوا به، ﴿يَتَأَسَفَى﴾: أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة، والتجانس بين لفظتي

1- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 332.

2- أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 544.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿أَثَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ<sup>ج</sup> أَرْضَيْتُمْ﴾ [التوبة:38]، [...] ﴿وَأَبَيَضَتْ عَيْنَاهُ﴾: إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر، قيل قد عمي بصره، وقيل: كان يدرك إدراكا ضعيفا.<sup>(1)</sup> حيث نلاحظ أن الجمل الواردة في هذه الآية الكريمة قد ارتبط بعضها ببعض عن طريق الرابط (الواو)، الذي حقق الوصل الإضافي، وبهذا يكون قد ساهم في إظهار التلاحم والترابط والاتساق التام للنص القرآني السابق.

أما الوصل العكسي فقد ظهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، و(بل) هنا "للإضراب، فيقتضي كلاما محذوفا قبلها، حتى يصح الإضراب فيها، وتقديره: ليس الأمر حقيقة كما أخبرتم (بل سولت)"<sup>(2)</sup>، وبهذا يكون الوصل العكسي قد تحقق بواسطة الأداة (بل) التي تفيد الإضراب الانتقالي، أي الإضراب عن أمر سابق لها وإثبات أمر آخر تال لها، فتربط جملتين متتاليتين ربط نفي وإثبات، وتحقق بهذا الارتباط والاتساق بين عنصرين لفظيين من عناصر النص، كما أنها تربط بين عنصرين دلاليين في مستوى البنية الدلالية الكبرى للنص، أي إن الربط لا يقع في مستوى التركيب فحسب بل يتجاوز إلى مستوى الدلالة الجامعة للنص.

أما الآلية الرابعة التي ساهمت في اتساق وتلاحم العناصر اللفظية للنص القرآني السابق، فهي آلية الاتساق المعجمي، والتي تمثلت في التكرار؛ حيث نجد أنه تكررت مجموعة من الألفاظ مثل لفظ الفعل (قال)، والذي تكرر بتصريف مختلف في الآيات:

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 316/315.

<sup>2</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 332.

(81)، (83)، (84)، (85)، وهذا التكرار يفتضيه - كما ذكرنا سابقا - الطابع الذي يتميز به النص، وهو الطابع السردي الحوارى، كما نجد أن في تكرار هذا اللفظ دلالة على ذلك الربط المتكرر بين أقوال المخاطب وأقوال المخاطبين، وضمها في بنية تركيبية واحدة تحقق جملة من المعاني المتصل بعضها ببعض في إطار البنية الدلالية للنص. ومن الألفاظ التي يلاحظ تكررها في هذا النص القرآني، وفي النصوص السابقة له هو تكرار اسم (يوسف) الذي يوحي إلى العلاقة التي تربطه بالنص القرآني ككل (سورة يوسف)، وبالقصة التي ضمتها هذه السورة، كون أنها سورة تفردت بذكر أحداث قصة يوسف - عليه السلام -، كما أن في هذا التكرار ربط لمختلف الأحداث بالمحور الأساسي الذي تدور حوله القصة الواردة في سورة يوسف، وهو النبي يوسف - عليه السلام - وبهذا يكون التكرار بشكل عام من الآليات التي تساهم في ترابط وتلاحم عناصر البنية التركيبية للنص، كما أنه يعتبر وسيلة تشترك مع الإحالة في كونها يعملان على بناء مجموعة من العلاقات بين مختلف الجمل المكوّنة للنص.

22- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّجَةٍ فَاؤْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۗ إِنَّ اللَّهَ تَجَزَّى الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨١﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أءِنَّا لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ۗ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۗ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٨٤﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۗ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٥﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٦﴾

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

يظهر للمتدبر والمتأمل في هذا النص القرآني أنه قام في اتساقه، وتلاحم عناصره على جملة من أدوات الاتساق، والتي تمثلت في: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فكانت أكثر هذه الأدوات استعمالاً؛ حيث تنوعت بين الإحالة النصية الداخلية، والإحالة المقامية الخارجية، واستعملت في هذه الإحالة مجموعة من الأدوات، والتي تمثلت في: الضمائر (المنفصلة، والمتصلة، والمستترة)، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، ويأتي تبيان ذلك في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
دخلوا - قالوا - مسنا أهلنا - جننا - لنا علينا - علمتم - فعلتم أنتم - جاهلون - قالوا قالوا - علينا - كنا عليكم - لكم - اذهبوا فألقوه - أتتوني - بأهلكم	نصية داخلية	الواو - الواو - النون النون - النون - النون النون - تم - تم أنتم - الواو - الواو الواو - النون - النون كم - كم - الواو الواو - الهاء - الواو - كم	عنصر سابق
عليه - فأوف - تصدق قال - أخيه - أنك لأنت - أنا - هذا أخي آثرك - بقميصي - أبي أتوني	نصية داخلية نصية داخلية مقامية خارجية نصية داخلية	الهاء - أنت - أنت هو - الهاء - الكاف أنت - أنا - هذا أنت - الياء - الياء الواو - الياء	عنصر سابق عنصر مقامي عنصر سابق
إنه - من - يتق - يصبر يضيع - وهو	نصية داخلية	الهاء - من - هو - هو هو - هو	عنصر سابق

الجدول رقم: 11

### التعليق:

إنّ الملاحظ للجدول السابق يدرك أنّ الإحالة تباينت بين الإحالة النصية والمقامية، أما النصية فاستعملت فيها مجموعة من الأدوات، ولعل أبرزها الضمائر التي ساهمت في اتساق وترابط مختلف عناصر النص، والتي يمكن التمثيل لها بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِعْنَا بِبِضْعَةِ مُزَجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا<sup>ط</sup> إِنَّ اللَّهَ تَجَزَى الْمُتَصَدِّقِينَ﴾، ذكر "الزمخشري" أنّ ﴿الضُّرُّ﴾: الهزال من الشدّة والجوع، ﴿مُزَجَلَةٌ﴾: مدفوعة يدفعها كلّ تاجر؛ رغبة عنها واحتقاراً لها، من أزجيته إذا دفعته وطردته [...] ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾: الذي هو حقنا، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: ونفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة، أو زدنا على حقنا.<sup>(1)</sup> فالملاحظ من هذا أن أغلب الضمائر أحوالت على لفظ (إخوة) المذكور في النصوص السابقة، وبهذا تكون الضمائر المتصلة بألفاظ: (دخلوا، قالوا، مسنا، جئنا، لنا، علينا) قد ارتبطت بلفظ (إخوة)، وساهمت بذلك في اتساق مختلف العناصر المكونة للنص القرآني (سورة يوسف).

أما الإحالة المقامية فقد ظهرت من خلال استعمال أسماء الإشارة، والتي تعتبر ألفاظاً مبهمّة تحتاج إلى ألفاظ أخرى تتصل بها لتوضيح معانيها وإزالة الإبهام عنها والضمائر المنفصلة (أنت، أنا) المشيرة إلى ذوات المتخاطبين الموجودة في مقام التواصل والمثال الدال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أءِنَّا لَأَن نَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ<sup>ط</sup> قَالَ أَنَا يُوسُفُ

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 320.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وَهَذَا أَخِي <sup>ط</sup> قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا <sup>ط</sup> إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠﴾، فقول إخوة يوسف - عليه السلام - ﴿قَالُوا أَيْنَ نَكِّ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ يدل  
على أنهم استشعروا من كلامه، ثم من ملامحه، ثم من تفهم قول أبيهم لهم ﴿وَأَعْلَمُ  
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ إذ اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يريد  
نفسه، وتأكيد الجملة بـ (إِنَّ) وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف - عليه السلام -  
[...]. وقوله ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ خبر مستعمل في التعجب من جمع الله بينهما بعد طول  
الفرقة. <sup>(1)</sup> حيث نجد أنّ الضمير (أنت) أشير به إلى ذات يوسف - عليه السلام -  
الموجودة في المقام، كما أنّ الضمير (أنا) قد أحال إليها أيضا وسبب هذه الإحالة هو أنّ  
العنصر الموجود في المقام يغني عن إيراد عنصر آخر يعوضه ويحل محله، وهذا ما  
لاحظناه أيضا في استعمال اسم الإشارة الذي أحال على عنصر موجود في المقام أغنى  
عن نكر اسم الذات المشار إليها. ومن هذا ندرك أن الإحالة بنوعها قد ساهمت في  
ترابط مختلف العناصر اللفظية المكونة للنص القرآني السابق، كما ساهمت أيضا في  
ترابط العناصر اللفظية بالعناصر غير اللفظية الموجودة في مقام التواصل.

أما الإحالة بالاسم الموصول فنجدها في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ  
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ومعنى ذلك أنّ ﴿مَن يَتَّقِ﴾ في تركه  
المعصية ﴿وَيَصْبِرْ﴾ في السجن <sup>(2)</sup>، وقال "الزمخشري" أنّ معنى ﴿مَن يَتَّقِ﴾: من يخف  
الله وعقابه، ﴿وَيَصْبِرْ﴾: عن المعاصي وعلى الطاعات، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ﴾: أجرهم

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 49/48.

<sup>2</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحیط، ج5، ص 338.

فوضع المحسنين موضع الضمير؛ لاشتماله على المتقين والصابرين<sup>(1)</sup>، أما (من) فهي "موصول بمعنى الذي، وعطف عليه مجزوم، وهو (ويصبر) وذلك على التوهم، كأنه توهم أن (من) شرطية، و(يتق) مجزوم، وقيل (يصبر) مرفوع عطفًا على مرفوع، وسكنت الراء لا للجزم بل لتوالي الحركات."<sup>(2)</sup> فالاسم الموصول (من) ساهم في اتساق وتلاحم عناصر النص القرآني السابق، كما أنه بإحالاته على عنصر لفظي سابق حقق ذلك الترابط والاتصال بينه وبين العنصر المحال عليه، إضافة إلى أنه ساهم في إظهار المعاني وترتيبها ترتيبًا يتوافق والبنية الدلالية الكبرى للنص.

أما الآلية الثانية التي ساهمت في اتساق وتلاحم عناصر النص القرآني السابق فهي آية الحذف، والتي يمكن التمثيل لها من ذلك النص بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ حيث يجوز في الآية السابقة أن يكون خبر (لا) محذوفًا، و(عليكم) و(اليوم) كلاهما متعلقان بمحذوف آخر يدل عليه (تثريب) والتقدير: لا تثريب يثرب عليكم اليوم، كما قدروا في ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود:43]، لا عاصم يعصم اليوم.<sup>(3)</sup> فالظاهر من هذا أن الحذف وقع في الفعل الذي تعلقت به شبه الجملة (عليكم)، وتعلق به ظرف الزمان (اليوم)، وهو الفعل (يثرب) الذي دل عليه اللفظ (تثريب)، وكما هو معلوم أن الحذف لا يقع في الكلام إلا إذا دلت عليه قرينة في السياق اللفظي أو غير اللفظي، والحذف في الموضع السابق جعل الكلام يبدو أكثر اتزانًا وتناغمًا، وأكثر ارتباطًا وتلاحمًا، كما أن هذا الحذف ساهم في إظهار الاتساق العام للنص القرآني السابق.

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 322.

<sup>2</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 338.

<sup>3</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 555.

أما الآلية الثالثة التي ساهمت في اتساق النصّ القرآني السابق، فهي الوصل وهو الذي ظهر في النصّ متمثلاً في ثلاثة أنواع: الوصل الإضافي، والوصل السببي والوصل الزمني. أمّا الإضافي فعبرت عنه مختلف حروف العطف الرابطة بين جمل النصّ المتنوعة، فنجد مثلاً حرف العطف (الواو) قد جمع بين جملتين متتاليتين في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾؛ حيث جمع (الواو) بين جملتي (أنا يوسف) و(هذا أخي) جمعاً يجعل منهما بنية واحدة تحقق دلالة واحدة رغم اختلاف الجملتين في طبيعة البنية، والعناصر المكوّنة لها، إضافة إلى روابط أخرى حققت الاتساق في نصّ الآية مثل ضمير المتكلم (الياء) المتصل بلفظ (أخ) الوارد في الجملة الثانية، والذي عاد على لفظ وارد في الجملة الأولى، وهو اسم (يوسف)، وبهذا يكون الوصل الإضافي والإحالة قد ساهما في تحقيق الاتساق والتلاحم بين مختلف العناصر المكوّنة للنصّ القرآني السابق.

كما أننا نجد في النصّ القرآني السابق نوعاً آخر من الوصل، وهو الوصل السببي الذي يظهر من خلال تضمن الجملة لمعنى السبب والنتيجة، وخير مثال يظهر فيه ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾، فالمتأمل لهذه الآية يدرك أن جملة ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾، وجملة ﴿وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزَجَّةٍ﴾، تعتبران سببين لنتيجتي: ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ﴾ و﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾، و(الفاء) رابطة للسبب بالنتيجة، وبهذا يكون قد تحقق الاتساق في نصّ الآية السابقة من خلال تضمنه على سببين ونتيجتين لا يمكن الفصل بينهما بفواصل، بل لا يمكن أن تظهر البنية التركيبية في شكل كل متكامل إلا إذا ظهرت تلك العلاقة السببية الرابطة بين مختلف عناصر نصّ هذه الآية.

أما الوصل الزمني فيظهر من خلال استعمال الظرف الدال على الزمن، وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾؛ حيث إن ارتباط نص هذه الآية بزمن الحاضر الدال عليه لفظ (اليوم)، واقترانها بهذا الزمن المعين جعل البنية الكلية لها تبدو في ارتباط من نوع آخر؛ أي ليس الترابط الذي يخص تلاحم عنصر لفظي بعنصر آخر، بل ارتباط البنية اللفظية ككل بعامل الزمن، والذي يعتبر عاملا خارجيا وحيزا يجعل البنية اللفظية أكثر اتساقا وتلاحما، كما يجعل البنية الدلالية أكثر انسجاما وتآلفا باتصالها بزمن يوضحها، ويميط الغموض عن مختلف عناصرها.

أما الآلية الرابعة التي ساهمت في اتساق وتلاحم النص القرآني السابق، فهي آلية **الاتساق المعجمي**، والذي تمثل في التكرار؛ حيث يمكن من خلال التدبر والتأمل أن ندرك أنه ظهر من خلال مجموعة من الألفاظ التي ذكرت في النصوص القرآنية السابقة وتكررت في هذا النص، وهذا إنما يدل على دورها في تحقيق الترابط والاتصال بين هذا النص وما سبقه من نصوص، ومن بين هذه الألفاظ نذكر لفظ الفعل (قال) الذي تكرر في مطلع أغلب الآيات المكونة لهذا النص؛ حيث ورد في الآيات: (88)، (89)، (90) (91)، وتكرار هذا الفعل يرتبط بطبيعة النص الذي يتميز بالطابع السردى الحوارى، كما أن تكرار هذا الفعل يوحي إلى دوره في الربط بين مختلف الآيات دون الحاجة إلى الاستعانة بروابط لفظية أخرى، ومن بين الألفاظ المتكررة في النص القرآني السابق أيضا هو تكرار اسم (يوسف) في الآيتين: (89) و(90) إضافة إلى تكراره في النصوص القرآنية السابقة لهذا النص، وهذا ما جعل كل النصوص تتصل اتصالا مباشرا بالمحور الذي تقوم عليه سورة يوسف ككل، وينتج عن هذا الارتباط اتساق بين مختلف الآيات والجمل الواردة فيها، وتلاحم بين مختلف العناصر اللفظية التي ضمتها هذه الجمل إضافة إلى انسجام العناصر الدلالية واتصالها بعضها ببعض في إطار الدلالة الجامعة.

23- ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۗ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

يظهر لنا من خلال التدبر في هذا النص القرآني أنه قام في اتساقه وتلاحم عناصره على جملة من وسائل الاتساق، ولعل من أهمها: الإحالة، والحذف، والوصل والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية الداخلية، والإحالة المقامية الخارجية؛ حيث اعتمدت في تحقيقها على الضمائر (المنفصلة، والمتصلة، والمستترة) وأسماء الإشارة، ويأتي تبيان ذلك في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
اذهبوا - قميصي - فألقوه هذا	نصية داخلية مقامية	الواو - الياء - الواو - الهاء هذا	عنصر سابق عنصر مقامي
أبي - يأت أتوني - أهلكم أبوهم - قالوا - لكم لا تعلمون - يا أبانا - لنا ذنوبنا - إنا - كنا - لكم	نصية داخلية	الياء - هو الياء - الواو - كم هم - الواو - كم الواو - النون - النون النون - النون - النون - كم	عنصر سابق
قال - إني - لأجد إنك - ضلالك - وجهه	نصية داخلية	هو - الياء - أنا الكاف - الكاف - الهاء	عنصر سابق

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

	هو - هو - أنا الياء - أنا - أنت أنا - الياء		فارتد - قال - أقل إني - أعلم - استغفر أستغفر - ربي
عنصر سابق	هو - الهاء	نصية داخلية	ألقاه
عنصر سابق	الهاء - هو	نصية داخلية	إنه - هو

### الجدول رقم: 12

#### التعليق:

يتبين لنا من خلال ملاحظة الجدول السابق أن الإحالة ظهرت بنوعيتها في النص القرآني (من الآية: 93 إلى الآية: 98)، فالإحالة النصية الداخلية تجسدت عن طريق استعمال الضمائر باختلاف أنواعها (المنفصلة، والمتصلة، والمستتر)، والتي أحالت على عناصر سابقة للعنصر اللفظي الذي تضمن أداة الإحالة، أو الموضع الذي وردت فيه أداة الإحالة، والتي يمكن التمثيل لها بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا<sup>ط</sup> قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ذكر "الزمخشري" في تفسير هذه الآية أن "﴿أَلْقَاهُ﴾: طرح البشير القميص على وجه يعقوب، أو ألقاه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾: فرجع بصيرا، يقال: رده فارتد، وارتده إذا ارتجعه، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يعني قوله: (إني لأجد ريح يوسف)، أو قوله: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾: كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ولك أن توقعه عليه وتريد قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>،

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 324.

فالملاحظ من هذا أن الضمائر الوارد في نص الآية الكريمة قد أحالت على ألفاظ وعبارات وردت في النصوص السابقة لها، فمثلا ضمير (الهاء) في لفظ (ألقاه) قد أحال على لفظ (قميص) الوارد في مطلع نص الآية (93)، كما نجد أنّ الضمير نفسه (الهاء) قد أحال في لفظ (وجهه) على لفظ (أبي) الوارد أيضا في نص الآية (93)، أما الإحالة بالضمير المستتر فقد وردت في ألفاظ: (ارتد (هو)، قال (هو)، أقل (أنا)، أعلم (أنا))؛ حيث أحالت هذه الضمائر على ذات الأب (يعقوب - عليه السلام) المذكور في النصوص السابقة لنص هذه الآية الكريمة، وبهذا تكون الإحالة النّية قد ساهمت في تحقيق الترابط والتلاحم بين مختلف عناصر النّص كما أنها ساهمت في إظهار ذلك التلاحم والتآلف بين عناصر البنية الدلالية التي ظهرت في أكمل صور انسجامها وارتباط عناصرها بعضها ببعض في إطار البنية الدلالية الكبرى للنّص.

والملاحظ للجدول السابق (الجدول رقم: 12) يدرك أن النّص القرآني السابق قد احتوى على النوع الثاني للإحالة، وهي الإحالة المقامية الخارجية؛ وهذا ما ظهر في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، فقوله "اذهبوا بقميصي هذا) يدل على أنه أعطاهم قميصا، فلعله جعل قميصه علامة لأبيه على حياته، ولعل ذلك كان مصطلحا عليه بينهما"<sup>(1)</sup>، فاستعمل في هذا الوضع من الآية الإحالة باسم الإشارة (هذا) على عنصر موجود في مقام التواصل، وهو قميص يوسف عليه السلام أي إن المشار إليه شيء مادي ملموس ذكر اللفظ الدال عليه إضافة إلى الإشارة إليه للمعانية في مقام التواصل، وهذا ما جعل العناصر اللفظية لنص الخطاب تتآلف مع العناصر غير اللفظية الموجودة في المقام لتحقيق الاتساق التام والتلاحم الكامل بينها

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 50.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وهذا ما انعكس أيضا على البنية الدلالية للنص التي اتضحت وتآلفت لتبدو في أكمل صور الانسجام النصي التام.

أما الوسيلة الثانية التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق فهي **الحذف** وهي الوسيلة التي ظهرت واضحة في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ﴾، فالشاهد في هذه الآية أن "جواب (لولا) محذوف دل عليه التأكيد. أي لولا أن تفندوني لحققتم ذلك"<sup>(1)</sup>، أو تقدير المحذوف "لصدقتموني، ويجوز أن يكون تقديره: لأخبرتكم"<sup>(2)</sup>؛ أي لولا تفندوني لأخبرتكم، فهذا الحذف وقع لوجود ما يدل عليه في الكلام السابق، أي في قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، وبهذا يكون الحذف قد ساهم في تماسك عناصر البنية اللفظية واتصالها بعضها ببعض، كما نجد أن الحذف ترك في الكلام لمسة فنية تمثلت في الإيجاز والاختصار في اللفظ للدلالة على المعاني ذاتها التي يمكن أن يعبر عنها بغياب الحذف، وهذا إضافة على الأثر الذي تركه على طبيعة البنية الدلالية والتي ظهرت في شكل بديع من الانسجام والتآلف بين العناصر المكونة لها.

أما العنصر الثالث الذي ساهم في تماسك واتساق النص القرآني السابق، فهو **الوصل** الذي ظهر في النص متمثلا في نوعين: الوصل الإضافي، والوصل السببي. أما **الوصل الإضافي** فظهر من خلال استعمال حروف العطف الرابطة بين مختلف جمل النص، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾، ومعنى (فصلت): "خرجت من عريش مصر،

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 52.

<sup>2</sup> - أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 557.



يقال: فصل من البلد فصولاً: إذا انفصل منه وجاوز حيطانه<sup>(1)</sup>، فالواو في مطلع هذه الآية عملت على ربطها ووصلها بالآية السابقة لها، كما أنّها حققت الربط بين جملتين متتاليتين في نص تلك الآية السابقة (الآية 93)، وساهمت في إظهار بنيتها في شكل واحد موحد ومن هذا ندرك أنّ الوصل الإضافي يمكن أن يظهر من خلال ربط جملة بجملة أخرى كما يمكن أن يظهر أيضاً من خلال ربط نص بنص آخر، فيحقق الاتساق والتلاحم بين مختلف العناصر اللفظية المكوّنة للنص.

أما الوصل السببي فهو ما ظهر في الكلام الذي تضمن معنى السبب والنتيجة، أو في الكلام الذي يحتوي على علاقة الشرط، وهذا ما ظهر في مواضع كثيرة من النص القرآني السابق، ولعل من بين هذه المواضع ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾؛ حيث تضمنت هذه الآية الكريمة معنى السبب في قوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾، وهو السبب الذي نتجت عنه النتيجة الظاهرة في قوله: ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾، وتحقق بهذا الوصل السببي الذي جعل بنية النص تظهر في شكل متلاحم ومتصل في عناصره المكوّنة له، كما ساهم أيضاً في اتصال عناصر النص الدلالية في إطار البنية الدلالية الجامعة له.

أمّا الآية الرابعة التي ساهمت في اتساق وتلاحم عناصر النص القرآني السابق فهي الاتساق المعجمي، والذي تمثل في هذا النص في التكرار اللفظي لعدة عناصر مما جعل البنية اللفظية تبدو في ترابط واتصال تامين في جل المواضع التي ضمت التكرار ولعل من أبرز الألفاظ التي تكررت في هذا النص لفظ فعل القول (قال) بتصرفاته

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 324/323.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

المختلفة: (قال، أقل، قالوا)، وهذا يدل دليلاً واضحاً على طبيعة النص، فهو نص سردي حواري (كما ذكرنا في السابق)، ومما يلاحظ أيضاً أنّ تكرار هذا الفعل أدى إلى الفصل بين الجمل التي ورد فيها كون أن هذا الفعل هو في حد ذاته رابط يربط بين هذه الجمل كما نذكر أيضاً من الألفاظ التي تكررت اسم يوسف - عليه السلام -؛ حيث إن لتكرار هذا الاسم علاقة مباشرة بفحوى سورة يوسف التي تناولت أحداث قصة النبي يوسف - عليه السلام - دون غيرها من السور القرآنية، والتكرار بشكل عام يؤدي إلى ارتباط الجمل السابقة باللاحقة، كما أنّ الدلالات التي تحملها الألفاظ المكررة تساهم في ارتباط البنية الدلالية الكلية للنص الواردة فيه.

24- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١١﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۗ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۗ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۗ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

نلاحظ من خلال تدبر وتأمل هذا النص القرآني أنه قام في اتساقه على مجموعة من الوسائل والأدوات، والتي تمثلت في: الإحالة، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية الداخلية، والتي استعملت في إظهارها جملة من الأدوات التي تمثلت في: الضمائر (المنفصلة، والمتصلة، والمستترة)، وأسماء الإشارة والإحالة المقامية (الخارجية) التي استعملت فيها أسماء الإشارة، ويأتي تبيان ذلك في الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
دخلوا - ادخلوا - آمنين بكم - لديهم - أجمعوا أمرهم - هم - يمكرون تسألهم - يمرون - هم معرضون - أكثرهم - هم مشركون	نصية داخلية	الواو - الواو - الياء كم - هم - الواو هم - هم - الواو هم - الواو - هم الواو - هم - هم الواو	عنصر سابق
إليه - أبويه - قال - رفع هذا	نصية داخلية مقامية	الهاء - الهاء - هو هذا	عنصر سابق
أبويه - قال - ربي رؤياي - بي - أخرجني	نصية داخلية	الهاء - هو - الياء الياء - الياء - الياء	عنصر سابق
بيني - إخوتي - علمني وليي - توفني - ألحقني كنت - ما تسألهم - هو	نصية داخلية	الياء - الياء - الياء الياء - الياء - الياء أنت - أنت - هو	عنصر سابق
آتيتني - علمتني - أنت توفني - ألحقني - نوحيه عليها	نصية داخلية	أنت - أنت - أنت أنت - أنت - نحن الهاء	عنصر سابق

الجدول رقم: 13

### التعليق:

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن الإحالة النصية الداخلية قد استعملت عدة أدوات في تحقيقها، من بينها الضمائر، والتي نجدها في مواضع مختلفة من النص القرآني السابق، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، ف "الذين خروا سجدا هم أبواه وإخوته كما يدل له قوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ﴾<sup>(1)</sup>، أي إنَّ الضمير أحال في الآية على والدي وإخوة يوسف - عليه السلام - المذكوران في النصوص السابقة لهذا النص، كما نجد الإحالة بالضمير أيضا في قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، فجملة "﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ من قبيل الخبر في إنشاء الدعاء، وإن أمكن حمله على الإخبار بالنسبة لولاية الدنيا، قيل لإثباته ذلك الشيء لولاية الآخرة. فالمعنى: كن وليي في الدنيا والآخرة، وأشار بقوله ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ إلى النعمة العظمى، وهي نعمة الدين الحق.<sup>(2)</sup> فالضمير المنفصل (أنت) أحال على الله سبحانه وتعالى، فهو المقصود في كل دعاء، كما نجد أنَّ الضمير نفسه قد ورد مستترا في لفظي: (توفني، وألحقني)، وأحال إلى المحال عليه نفسه (الله سبحانه وتعالى)، أما الضمير المتصل (الياء) في ألفاظ: (وليي، توفني، ألحقني)، فقد أحال على ذات المتكلم أو الداعي، وهو يوسف - عليه السلام -، وبهذا تكون هذه الضمائر المختلفة قد ساهمت في إظهار البنية الإحالية في النص، كما ساهمت في إظهار الاتساق التام، والتلاحم منقطع النظير بين الأجزاء اللفظية المكونة للنص، كما ساهمت هذه الإحالات بالضمائر

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 56.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 60/59.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

في ارتباط عناصر البنية الدلالية ارتباطاً حقيقاً تمام التلاحم والانسجام بين مختلف المعاني المقابل لذلك الاتساق الظاهر بين عناصر البنية التركيبية للنص.

أما الإحالة باسم الإشارة فقد ظهرت في مواضع من مواضع النص القرآني السابق. أما الموضع الأول فهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَأْتِبِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾، فالإشارة في هذه الآية هي "إشارة إلى سجود أبويه وإخوته له هو مصداق رؤياه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا سجدا له"<sup>(1)</sup>؛ حيث أحال اسم الإشارة على ذلك الحدث الذي وقع في مقام يوسف عليه السلام وهو سجود أبويه وإخوته له، وبذلك تكون إحالة مقامية خارجية كون أن اسم الإشارة أشير به إلى حدث واقع في المقام. أما الموضع الثاني فهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، فالإشارة في هذه الآية بـ (ذلك) "إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(2)</sup>، فاسم الإشارة هنا أحال على كل أحداث قصة يوسف - عليه السلام - المذكورة في النصوص السابقة لنص هذه الآية الكريمة، وبهذا يكون قد ساهم هذا الاسم (ذلك) في ربط هذه الآية الكريمة بكل النصوص السابقة لها، كما ساهم في إظهار الاتساق التام الذي تميز به النص القرآني السابق.

أما الآلية الثانية التي ساهمت في اتساق وتلاحم عناصر النص القرآني السابق فهي **الحذف**، وهو الذي ظهر في مواضع كثيرة منها ما ورد في مطلع هذا النص، وهو حذف من باب الإيجاز البديع الذي تميّز به القرآن الكريم؛ حيث إن تقدير هذا الكلام

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 57.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 327.

المحذوف هو: "فرجل يعقوب بأهله أجمعين، وساروا حتى تلقوا يوسف، قيل: وجهز يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه، وخرج يوسف، قيل: والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، فتلقوا يعقوب - عليه السلام -" (1) فهذا الحذف لا يخص لفظا، أو جملة، بل يخص أحداثا من قصة يوسف عليه السلام جرى حذفها اختصارا وإيجازا مما جعل البنية اللفظية أكثر تلاحما واتساقا، والبنية الدلالية أكثر اتصالا وارتباطا في عناصرها التي ظهر في انسجام تام مع البنية الدلالية للنصوص السابقة لهذا النص.

كما يظهر الحذف في النص القرآني السابق في قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَأَمْنِينَ﴾، فالتقدير: "ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين" (2)، والحذف وقع في هذا الموضع (حذف الفعل: دخلتم) لموجود ما يدل عليه في الكلام، وهو الفعل (ادخلوا)، وهذا ما ساهم في ترابط عناصر البنية اللفظية واتصال عناصرها بعضها ببعض؛ حيث نلاحظ أن حذف هذا العنصر أثر تأثيرا كبيرا في بنية الاتساق العام للنص الذي ظهر في أكمل صور الاتساق وأتمها على الإطلاق.

أما الآلية الثالثة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق، فهي الوصل الذي تمثل في الوصل الإضافي، والوصل السببي. أما الوصل الإضافي فظهر من خلال استعمال حروف العطف للربط بين الجمل المكوّنة لهذا النص، فحرف الواو مثلا يربط بين جملتين متتاليتين ربط جمع يجعل منهما بنية واحدة تركيبا ودلالة، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، فجملة

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 341.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 325.

"تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" معطوفة على جملة ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ إلى آخرها باعتبار ما أفادته من التأييس من إيمان أكثرهم، أي لا يسوءك عدم إيمانهم فلست تبتغي جزاء على التبليغ بل إيمانهم لفائدتهم.<sup>(1)</sup> فعطف الجملة الثانية على الجملة الأولى أظهرهما في شكل بنية واحدة لتعلق الثانية بالأولى، كما يظهر الوصل الإضافي باستعمال حرف العطف (الواو) أيضا في قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، فهذه الآية "عطف على جملة ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، أي ليس إعراضهم عن آية حصول العلم للأمي بما في الكتب السالفة فحسب، بل هم معرضون عن آيات كثيرة في السموات والأرض"<sup>(2)</sup>، فإضافة إلى عطف هذه الآية على آية سابقة لها، فهناك عطف بين عناصر هذه الآية؛ حيث نجد عطف لفظ (الأرض) على لفظ (السموات)، وبهذا يكون العطف قد ساهم في اتساق النص عن طريق تلك العلاقة الرابطة التي تجمع بين الجمل والألفاظ عن طريق حروف العطف المختلفة بشكل عام، وحرف العطف الواو بشكل خاص.

أما الوصل السببي فتمثل في تلك العلاقة التي تجمع بين السبب و النتيجة في الكلام، أو ذلك الكلام الذي يتضمن علاقة الشرط، ومن أمثل ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ﴾، فهذه الآية تضمنت علاقة الشرط؛ حيث كان الدخول على يوسف - عليه السلام - بمثابة السبب، والإيواء بمثابة النتيجة التي نتجت عن هذا الدخول، فارتبطت الجملة التي تضمنت معنى السبب ارتباطا تلازم بالجملة

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 62.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 63.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

التي تضمنت معنى النتيجة، وبهذا يكون قد ساهم الوصل السببي في تحقيق التلاحم والاتساق بين مختلف عناصر النص القرآني السابق.

أما الآلية الرابعة التي ساهمت في تلاحم واتساق عناصر النص القرآني السابق فهي **الاتساق المعجمي**، والذي تمثل في التكرار؛ حيث نلاحظ من خلال التأمل والتدبر في هذا النص القرآني، وفي النصوص القرآنية السابقة له أنه تكررت عدّة ألفاظ وجمل ومن الجمل نذكر: ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾؛ حيث تكررت هذه الجملة في موضعين قبل توظيفها في الآية (101)، فالموضع الأول هو الآية (06)، والموضع الثاني هو الآية (21)، ومن الجمل المتكررة نذكر أيضا جملة: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، وهي جملة وردت من قبل في نص الآية (83)، وهذا التكرار في هذه الجمل أدى إلى ارتباط بين المواضع الواردة فيها، فكأن في التكرار إحالة الموضوع الأخير إلى المواضع السابقة التي وردت فيها هذه الجملة المكررة، وبهذا يكون التكرار قد ساهم في تحقيق التلاحم والاتساق بين مختلف عناصر النص القرآني (سورة يوسف)، كما يساهم بالضرورة في ارتباط الدلالات المحمولة في العناصر اللفظية للنص واتصال بعضها ببعض في مستوى البنية الدلالية الكبرى للنص.

أمّا تكرار الألفاظ فنذكر على سبيل المثال تكرار اسم (يوسف) الذي يعتبر أحد أكثر الألفاظ التي حظيت بقدر كبير من التكرار، كون أنّ هذا الاسم يخص صاحب الشخصية المحورية التي دارت حولها أحداث القصة الواردة في نص السورة القرآنية وتكرار هذا الاسم كغيره من الألفاظ المتكررة يساهم بدرجة كبيرة في تثبيت المعاني المتعلقة به، وربط بعضها ببعض في مستوى البنية اللفظية للنص، وفي مستوى البنية الدلالية التي ترتبط فيها مختلف المعاني والدلالات لتحقق التلاحم الكامل والانسجام التام بين مختلف



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

أجزائها ومكوناتها، كما يسهم تكرار الألفاظ بصفة عامة في إظهار الشكل التام للبنية الكلية للنص، والتي تضم ارتباط الألفاظ والعبارات بما يقابلها من دلالات ومعان التي تتدرج ضمن ما يصطلح عليه بموضوع الخطاب أو النص.

25- ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٧) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي <sup>ط</sup> وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>ط</sup> وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ <sup>ط</sup> وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ <sup>ط</sup> مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢١)

إن المتدبر والمتأمل للنص القرآني السابق يدرك أنه قام في اتساقه وتلاحم عناصره على جملة من الأدوات، والتي تمثلت في: الإحالة، والحذف، والوصل. أما الإحالة فتمثلت في الإحالة النصية الداخلية، والإحالة المقامية الخارجية؛ حيث استعملت في تحقيق هذه الإحالة مجموعة من الأدوات التي تمثلت في: الضمائر (المنفصلة والمتصلة، والمستترة)، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وهذه الأدوات سنحاول إظهارها من خلال الجدول التالي:

الشاهد	نوع الإحالة	أداة الإحالة	مرجعية الإحالة
أفأمنوا - تأتيتهم - وهم يشعرون - يسيروا	نصية داخلية	الواو - هم - هم الواو - الواو	عنصر سابق

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

عنصر سابق	الواو - الذين - هم الذين - الواو - الواو	نصية داخلية	فينظروا - الذين - قبلهم للذين - اتقوا - تعقلون
عنصر مقامي عنصر سابق	هذه الياء - الواو - أنا الياء - أنا - الكاف الذي - الهاء	مقامية خارجية نصية داخلية	هذه سبيلي أدعو - أنا اتبعني - وما أنا - قبلك الذي - يديه
عنصر سابق	النون - نحن - النون نحن - النون	نصية داخلية	أرسلنا - نوحى - نصرنا نشأ - بأسنا
عنصر سابق	هم	نصية داخلية	إليهم

### الجدول رقم: 14

#### التعليق:

نلاحظ من خلال الجدول السابق (الجدول رقم: 14) أن الوسائل المستعملة في تحقيق الإحالة تنوعت بين الضمائر، والتي وردت على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وُظُنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ<sup>ط</sup> وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، قال أبو حيان: «فالضمير في ﴿وُظُنُّوْا﴾ عائد على المرسل إليهم لتقدمهم في الذكر في قوله ﴿كَيْفَ كَانَ عَنَقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ولأنَّ الرسل تستدعي مرسلًا إليهم، وفي ﴿أَنَّهُمْ﴾، وفي ﴿قَدْ كُذِبُوا﴾ عائد على الرسل، والمعنى: وظن المرسل إليهم أنَّ الرسل قد كذبهم من ادعوا أنَّه جاءهم بالوحي عن الله، وبنصرهم إذ لم يؤمنوا به ويجوز في هذه القراءة أن تكون الضمائر الثلاثة عائدة على المرسل إليهم، أي: وظن المرسل إليهم أنَّهم قد كذبهم الرسل فيما ادعوه من النبوة وفيما

يوعدون به من لم يؤمن بهم من العذاب." (1) فهذه الضمائر المختلفة التي وردت في الآية (110) ساهمت في ربط عناصرها بعضها ببعض، كما ساهمت في ربط هذه العناصر بالعناصر اللفظية المكوّنة للآيات السابقة لها، وبهذا تكون هذه الضمائر قد ساهمت في تحقيق الاتساق العام للنص القرآني (سورة يوسف).

كما نجد أنّ الإحالة تحققت في النص القرآني السابق عن طريق اسم الإشارة وهي **إحالة مقامية خارجية**؛ والتي وردت في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، ففي هذه الآية إشارة إلى الشريعة بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لبلوغه من الوضوح للعقول حدا لا يخفى فيه إلا عمّن لا يعد مدركا، وما في جملة ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ من الإبهام قد فسرتة جملة ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (2)، فكان لفظ (السبيل) الذي يقصد به شريعة الله السمحاء، والذي يعتبر مدلوله مدركا بالعقل لا بالحواس، أنزل منزلة المدرك بالحواس، والمشار إليه بلفظ (هذه) الدالة على وجود المشار إليه في مقام التواصل، وبهذا تكون الإحالة المقامية قد ساهمت في تحقيق ذلك الترابط والاتساق بين عناصر النص اللفظية والعناصر غير اللفظية التي أنزل فيها غير المحسوس منزلة المدرك بالحواس لبلوغه درجة كبيرة من الوضوح عند المرسل إليهم.

أما الإحالة بالاسم الموصول فظهرت في مواضع كثيرة من النص القرآني السابق والتي نذكر منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 347.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 65.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

حيث ساهم الاسم الوصول في الموضوعين اللذين ورد فيهما في تحقيق الترابط التام بين العناصر اللفظية المكوّنة للآية الكريمة، كما نجد أن هذا الاسم قد ساهم في انسجام عناصر البنية الدلالية التي بدت في تلاحم واتصال من خلال استعمال هذا الاسم المبهم الذي اتصلت به صلة موصول تفسر معناه وتوضح دلالاته في الموضوعين الوارد فيهما. وبهذا يكون الاسم الموصول قد حقق الإحالة النصية الداخلية، والإحالة قد ساهمت في تحقيق الاتساق العام للنص القرآني السابق.

أمّا الآلية الثانية التي ساهمت في تلاحم واتساق النص القرآني السابق، فهي آلية الحذف التي ظهرت في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، فشاهد الحذف في هذه الآية أنّ "مفعول ﴿أَدْعُو﴾ هو محذوف، تقديره: أدعو الناس" (1)، أي: أدعو الناس إلى الله، فحذف المفعول من الكلام لوجود دليل يدل عليه في الآيات السابقة كون أن مضمون الآيات السابقة يشتمل على ضلال الناس وغفلتهم عن عذاب الله وإنكارهم قيام الساعة التي لا يعلم وقتها وحينها، وبهذا يكون الحذف قد حقق ارتباط الآيات السابقة التي ورد فيها الإشارة إلى اللفظ المحذوف، بالآية التي وقع فيها الحذف فتلاحمت بذلك مختلف عناصر النص القرآني السابق واتسقت في بنية لا تكاد تترك أجزاءها لاندماج بعضها ببعض في مستوى البنية الكلية للنص.

أمّا الآلية الثالثة التي ساهمت في اتساق النص القرآني السابق، فهي آلية الوصل والتي تمثلت في الوصل الإضافي، والوصل العكسي. أمّا الوصل الإضافي فقد تجسّد من خلال استعمال حروف العطف التي تعمل على ربط مختلف الجمل بعضها ببعض

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 346.

وأبرز هذه الحروف حرف (الواو) الذي ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ حيث "عطفت جملة ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ على جملة ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾، أي: أدعو إلى الله وأنزهه"<sup>(1)</sup>، أما جملة ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فهي "بمنزلة التذييل لما قبلها، لأنها تعم ما تضمنته"<sup>(2)</sup> وبهذا يكون حرف العطف (الواو) قد وصل بين جملتين مختلفتي الدلالة، وجعلهما يجتمعان في بنية واحدة لتحقيق المعنى العام الذي تحمله هذه البنية.

أما الوصل الإضافي باستعمال (حتى) التي تفيد التراخي فقد ورد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ ف (حتى) "متعلقة بمحذوف دلّ عليه الكلام كأنه قيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾: فترخى نصرهم حتى استيأسوا عن النصر ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾؛ أي: كذبتهم أنفسهم، حين حدثتهم بأنهم ينصرون، أو رجاؤهم لقولهم: رجاء صادق، ورجاء كاذب، والمعنى: أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت، حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا، فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب."<sup>(3)</sup> فاستعمال (حتى) في مطلع هذه الآية ساهم في ربط الكلام السابق لها بالكلام والوارد فيها، من خلال ما أفادته من تراخ وتباعد بين المديتين الزمئيتين اللتين ورد فيهما الكلام الأول والكلام الثاني، وهذا التراخي الحاصل بين مضموني الكلامين لا

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 66.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

<sup>3</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 330.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

يمكن أن يتحقق إلا باستعمال هذه الأداة، وبهذا يكون الوصل الإضافي قد ساهم في تحقيق الترابط والاتساق التام بين العناصر اللفظية المكوّنة للنص القرآني السابق.

أما النوع الثاني من أنواع الوصل الذي ساهم في اتساق النص القرآني السابق فهو **الوصل العكسي** الذي ظهر في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، فجملة "﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾" إلى آخرها تعليل لجملة ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾، أي لأن ذلك القصص خبر صادق مطابق للواقع، وما هو بقصة مخترعة. ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كانت خبرا عن أمر واقع لأن ترتب الآثار على الوقعات ترتب طبيعي فمن شأنها أن تترتب أمثالها على أمثالها كلما حصلت في الواقع.<sup>(1)</sup> ثم استدرك معنى هذه الجملة بجملة معارضة لهذا المعنى، وهي جملة ﴿تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ حيث توسط حرف الاستدراك (لكن) الجملتين وعمل على نفي المعنى السابق المتضمن في الجملة الأولى، وإثبات المعنى المتضمن في الجملة الثانية، وبهذا يكون الوصل العكسي قد ساهم في الربط بين جملتين متتاليتين ربطا ساهم في تحقيق الاتساق التام بين عناصر الجملتين المتتاليتين، كما ساهم في اتساق النص القرآني بشكل عام (سورة يوسف).

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 72/71.

### 4- وسائل الانسجام في سورة يوسف:

#### 4-1- السياق:

حاولنا في الفصل الثالث من هذا البحث الإحاطة بمفاهيم السياق عند علماء العربية الذين أشاروا إلى السياق في مختلف مؤلفاتهم، على غرار "سيبويه" و"ابن جني" و"الجرجاني"، إما إشارة مباشرة أثناء تحليل وتفسير مختلف الظواهر اللغوية، وإما إشارة غير مباشرة باعتبار السياق في هذه الحالة عاملاً ثانوياً يكفي العالم اللغوي بالإشارة إليه فقط، كما حاولنا الإحاطة بمفاهيم السياق عند علماء اللغة الغربيين الذين اهتموا به اهتماماً بالغاً لا يقل أهمية عن اهتمام العرب به، فمن أمثال هؤلاء نذكر "فيرث" الذي أسس مدرسة قائمة بذاتها تهتم بالسياق، وتفسر كل الظواهر اللغوية انطلاقاً منه، ونحن من خلال هذا البحث حاولنا الاستفادة من آراء الفريقين لإثراء بحثنا وجني الفوائد التي يمكن أن تحصي باتفاق آراء الفريقين، حيث قسمنا السياق في الفصل الثالث إلى أربعة أقسام، وهي: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، والسياق الموقف، والسياق الثقافي، واستندنا في ذلك على آراء علماء اللغة الذين لهم الرأي السديد في هذا الباب، إلا أننا ارتأينا أن نعتمد في الشق التطبيقي (الفصل الرابع) على تقسيم ربما يكون أكثر دقة وموضوعية وهو أن يقسم السياق إلى نوعين كبيرين: سياق داخلي، وهو ما يقابل السياق اللغوي؛ حيث يضم السياق النحوي، والسياق الصرفي، والسياق الصوتي، والسياق المعجمي. أما النوع الثاني فهو السياق الخارجي، والذي يضم كل الظروف والملابسات الخارجية المحيطة بالنص.

إن هذا التقسيم لا يختلف كثيراً عن التقسيم الذي أوردناه في الشق النظري من هذا البحث، بل نرى أن بين التقسيمين تشابه كبير، وأن الاختلاف الوحيد بينهما يتمثل في أن الثاني يمكن أن يسهل عملية التطبيق على النص القرآني (سورة يوسف).

4-1-1- السيق الداخلي (اللغوي): يقسم السيق الداخلي إلى عدة أصناف يمكن عرضها كما يلي:

#### 4-1-1-1- السيق النحوي:

يقصد به البنية النحوية للنص، وهو أيضا مجموع العلاقات الرابطة بين الألفاظ والجمل داخل النص، إضافة إلى هذا يمكن أن تدرج ضمن السيق النحوي مجموعة من الخصائص المتعلقة باللفظ في حالة التركيب، كالوظيفة والموقع والرتبة، وإذا ما عدنا على سورة يوسف نجد في كل موضع من مواضعها جملة من الشواهد التي تعبر عن السيق النحوي ودوره في تحقيق انسجام المعاني وتلاحمها، وسنحاول في هذا الجزء من البحث أن نذكر بعض الشواهد التي يمكن أن نمثل بها للسيق النحوي، وهذا لعله كثرتها وتنوعها، فإذا تأملنا النص القرآني لسورة يوسف نجد أنه ضم على سبيل المثال قضية التقديم والتأخير بين مختلف عناصر الكلام لعله معينة حددها المفسرون، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:04]، حيث يقول "الطاهر بن عاشور": "تقديم المجرور على عامله في قوله: ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ للاهتمام، عبّر به عن معنى تضمّنه كلام يوسف - عليه السلام - بلغته يدل على حالة الكواكب من تعظيم له تقتضي الاهتمام بذكره، فأفاد تقديم المجرور في اللغة العربية.<sup>(1)</sup> أي إنّ تقديم المفعول على عامله لا يكون إلا إذا وجدت علة تقتضي ذلك في السيق التركيبي للكلام، والعلة هنا هي الاهتمام والتعظيم للموقف الذي رواه يوسف ليعقوب - عليهما السلام -، كما يمكن أن يكون التقديم

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 208.



في هذا الموضوع مراعاة للفاصلة وحرصا على اتفاقها كما هو الحال في كل آي القرآن الكريم.

كما نجد أنّ التقديم والتأخير بين العامل ومعموله قد ورد في موضعين آخرين من سورة يوسف تحديدا في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف: 11/12]، حيث إنّ "تقديم (له) في (له لناصحون)"، و(له لحافظون) يجوز أن يكون لأجل الرعاية للفاصلة والاهتمام بشأن يوسف - عليه السلام - في ظاهر الأمر، ويجوز أن يكون للقصر الادّعائي، جعلوا أنفسهم لفرط عنايتهم به بمنزلة من لا يحفظ غيره، ولا ينصح غيره.<sup>(1)</sup> فتقديم المعمول على عامله كان لسبب الاهتمام الذي خص به الله سبحانه وتعالى يوسف عليه السلام، كما يمكن أن يكون للقصر، وهذا ما دل عليه السياق العام الذي يندرج ضمنه هذا التركيب النحوي.

ويبرز السياق النحوي أيضا في حذف لفظ أو أكثر من التعبير القرآني دون حدوث خلل في التركيب، بل يشكّل هذا الحذف غرضا بلاغيا في غاية الفن والجمال، كما يعتبر ميزة فنية لا يمكن أن تدرك إلا بالبحث الدقيق في عناصر الكلام ومكوناته، وهذا البحث يقتضي إدراكا للدليل الذي يُستدل به على وجود الحذف، وهو إما أن يكون في اللفظ المذكور، وإما في السياق العام الذي اندرج فيه التركيب، ويمكن التمثيل للحذف بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِءٍ وَأَجْمَعُوا أَن تَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: 15]، حيث نجد أنّ جواب (لَمَّا) غير ظاهر في الكلام، وهذا ما أشار إليه "الطاهر بن عاشور" في قوله:

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ج12، ص 229.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

"جواب لما: محذوف، ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة، وأخذوا يهينونه ويضربونه"<sup>(1)</sup>، فجواب لما المحذوف دلّ عليه السياق العام للنص القرآني، وهذا ما جعل البنية تبدو في صورة تامة، بل إنّ الحذف الواقع في الكلام كساه ثوبا بلاغيا في غاية الحسن والجمال، ولم يقتصر هذا الحسن على التركيب فقط بل انعكس أيضا على المعاني فظهرت تامة غير منقوصة، وهذا يعود لوجود الدليل الذي يستدل به على الحذف، حيث إنّ معظم النحاة ذكروا أنّ الحذف شروطا من بينها أن يكون في المذكور دلالة على المحذوف يعرف من لفظه أو من سياقه، أي أن يدل على الحذف إما دليل لفظي يعرف من التركيب الذي وقع فيه الحذف، وإما دليل يستنتج من السياق العام الذي يندرج ضمنه هذا التركيب.

كما يمكن أن يظهر السياق النحوي من خلال استعمال الضمائر، وتحديد الألفاظ التي عادت عليها هذه الضمائر، فبالنظر إلى طبيعة العلاقة الرابطة بين هذين العنصرين اللفظيين (الضمائر والألفاظ)، نجد أنّ النص بشكل عام، والنص القرآني بشكل خاص هو عبارة عن شبكة من العلاقات الرابطة بين الألفاظ والضمائر التي عادت عليها، ولا يمكن تحديد هذه العلاقات إلا بمعرفة السياقات التركيبية التي يندرج ضمنها النص، ونكتفي في هذا المقام بذكر مثال واحد لهذه الضمائر من سورة يوسف كون أننا خصصنا لها حيزا واسعا في الصفحات السابقة من هذا البحث، وهذا المثال هو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ

فَذَلِكَ الَّذِي لَمْتَنِي فِيهِ<sup>ط</sup> وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ<sup>ط</sup> عَن نَّفْسِهِ<sup>ط</sup> فَاسْتَعْصَمَ<sup>ط</sup> وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا<sup>ط</sup>  
ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ<sup>ط</sup> وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ<sup>ط</sup>﴾ [يوسف:32]، والشاهد في هذه الآية هو الضمير في (أمره)، وعلام عاد هذا الضمير؟ يقول "الزمخشري": "فإن قلت: الضمير في:

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ج12، ص 261.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

﴿أَمْرُهُ﴾: راجع إلى الموصول أم إلى يوسف؟ قلت: بل إلى الموصول، والمعنى: ما أمره به؛ فحذف الجار كما في قولك: أمرتك الخير، ويجوز أن تجعل (ما) مصدرية، فيرجع إلى يوسف، ومعناه: ولئن لم يفعل أمري إياه، أي: موجب أمري ومقتضاه<sup>(1)</sup>، فتحديد ما عاد عليه الضمير يقتضي إمعان النظر في السياق التركيبي للنص الذي وردت فيه هذه العلاقة النحوية، ومن كلام "الزمخشري" ندرك أن تحديد اللفظ الذي عاد عليه الضمير يكون وفق تأويلين: إما أنه عائد على الاسم الموصول، وإما أنه عائد على اسم يوسف، والاختيار بين التأويلين ليس عشوائياً، بل يخضع التأويل إلى قراءة في البنية النحوية للكلام، وبين الاختيارين اختلاف في طبيعة بنية المعاني.

كما يظهر السياق النحوي أيضاً في استعمال مختلف أدوات الربط التي تساهم في اكتمال الشكل التركيبي للبناء، ومن بين هذه الأدوات (الحروف) نذكر: (العطف، الجر، الجزم، النصب، الشرط، والاستدراك... وغيرها)؛ حيث إن هذه الأدوات هي بمثابة الروابط الجامعة بين الحلقات إذا شبهنا الكلام بسلاسل لا تستقيم إلا باتصال كل قطعة (حلقة) منها بالأخرى، ويمكن التمثيل لهذه الروابط بعدة أمثلة من سورة يوسف إلا أننا اخترنا بعض الأمثلة فقط، كون أننا خصصنا لهذا الأمر مجالا واسعا في الشق الأول من الجانب التطبيقي لهذا البحث، والمثال الأول هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18]، والشاهد في هذه الآية هو قوله: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 281.

مَا تَصِفُونَ ﴿١﴾، حيث إن هذه الجملة "عطف على جملة ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾" (1)، وهو عطف بحرف "الواو".

أما المثال الثاني فهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [يوسف:36]، والشاهد في هذه الآية هي الأداة "مع" التي تدل "على معنى الصحبة واستحداثها، تقول: خرجت مع الأمير، تريد مصاحبا له، فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له" (2)، فالمعنى الذي أفاده هذا الرابط، وهو التشارك في فعل الدخول بين يوسف - عليه السلام - والفتيين، لا يمكن أن يظهره رابط آخر، كما لا يمكن أن يظهر المعنى في صورته المنسجمة إذا حدث تغيير في البنية التركيبية لهذا الكلام.

أما المثال الثالث فهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف:66]، والشاهد في هذه الآية: ﴿إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾، وهو استثناء بالأداة "إلا" وفيه أوجه أحدها: أنه منقطع، وتقدير الكلام: لكن إذا أحيط بكم خرجتكم من عتبي وغضبي، والثاني: أنه متصل، وهو استثناء من المفعول له العام، فقوله: (أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) مفعول له، والكلام المثبت الذي هو قوله: (لَتَأْتُنِّي بِهِ)، وفي معنى النفي يكون تقديره: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم، وهو استثناء من أعم العام في المفعول له، أما الوجه الثالث فهو: أنه مستثنى من أعم العام في الأحوال وتقديره: لتأتني به على كل حال إلا في حال الإحاطة بكم، أما الوجه الرابع فهو: أنه مستثنى من أعم العام في الأزمان، وتقديره: لتأتني به في كل وقت إلا في

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 240.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 283.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وقت الإحاطة بكم.<sup>(1)</sup> فأداة الاستثناء (إلا) المستعملة في هذه الآية ربطت بين جملتين، حيث ارتبط معنى الجملة الأولى بطبيعة معنى الجملة الثانية، وفتح هذا الاتصال بين الجملتين عن طريق هذه الأداة باب التأويل لتحديد المعنى الدقيق الذي أفادته هذه الأداة.

أما المثال الرابع فهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف:73]، والشاهد في هذه الآية هو قوله: (تالله)، حيث إن (التاء) أداة تستعمل للقسم، حيث يرى "ابن عطية" أن التاء في (تالله) بدل من واو كما أبدلت في تراث، وفي تورا، والتخمة، ولا تدخل التاء في القسم إلا في المكتوبة من بين أسماء الله تعالى، وهذا رأي أكثر النحويين، إلا أن "السهيلي" خالفهم في ذلك وزعم أنها أصل بنفسها، وليست بدلا من واو.<sup>(2)</sup> وبعيدا عن خلاف النحاة في أصل (التاء) المستعملة للقسم، فإنها أداة رابطة تظهر طبيعة معنى الجملة الواقعة بعدها، وعلاقتها بالجملة السابقة لها؛ حيث إن قسم إخوة يوسف - عليه السلام - لن يكون له معنى إلا بارتباطه بالاتهام الموجه لهم، والذي ورد في الآية السابقة للآية التي ورد فيها القسم وبذلك يكون قد تحقق الارتباط في اللفظ وفي المعنى بين جملتين متتاليتين عن طريق استعمال رابط (التاء).

أما المثال الخامس فهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج6، ص 521

<sup>2</sup> - ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 327.

والشاهد في هذه الآيات هو مجموع الأدوات المستعملة فيها: من حروف عطف، وجر وشرط، ونفي، واستثناء، وإذا ما عدنا إلى المعاني التي حملتها هذه الآيات وأردنا البحث في طبيعتها، عدنا إلى سبب نزول سورة يوسف، وهو أن قريشا واليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف - عليه السلام - فنزلت مفصلة تفصيلا كاملا "وأمل أن يكون ذلك سببا لإسلامهم، فخالفوا تأميله، فعزاه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ

النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات، وقيل في المنافقين، وقيل الثنوية، وقيل في النصارى، وقال ابن عباس: في تلبية المشركين، وقيل في أهل الكتاب، آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فجمعوا بين الإيمان والشرك.<sup>(1)</sup> فهذه المعاني التي ظهرت في الآيات السابقة ساهمت في ظهورها الأدوات والحروف المختلفة، والتي تمثلت في: العطف بحرف الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾، حيث إن "الواو للعطف على جملة ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ باعتبار إفادتها أن هذا القرآن من وحي الله، وأنه حقيق بأن يكون داعيا سامعياً إلى الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم"<sup>(2)</sup>، أما الجر فتمثل باستعمال حرفي الجر (على) و(من) في قوله: ﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، حيث إنهما أداتين ساهمتا في الربط المباشر من خلال ذلك التعلق الحاصل بين شبه الجملة والألفاظ السابقة لها، ومنه فإن المعاني قابلت الألفاظ المتسقة فشكل تام في انسجامه وتلاحمه. أمّا الشرط فتمثل في استعمال (لو) في قوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، ومعنى (لو حرصت: "لو بالغت في طلب إيمانهم (لا يؤمنون) لفرط عنادهم وتصميمهم على

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 344.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 61.

الكفر وجواب (لو) محذوف، أي: لو حرصت لم يؤمنوا، إنما يؤمن من يشاء الله إيمانه<sup>(1)</sup> فالحرف (لو) هنا أفاد الربط بين جملتين الواحدة منهما سابقة له وأخرى لاحقة، وبالتالي تحقق ذلك الانسجام التام في المعاني من خلال اتصال الألفاظ وترابطها في المستوى التركيبي للبنية.

كما يظهر السياق النحوي وعلاقته بانسجام المعاني من خلال غياب العامل الدافع لاكتساب اللفظ حركة غير حركته الأصلية، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ [يوسف:25]، والشاهد هنا هو لفظ (الباب) الذي ورد منصوبا دون وجود عامل ظاهر عمل على نصبه، يقول "الظاهر بن عاشور" في ذلك: "انتصب (الباب) على نزع الخافض، وأصله: استبقا إلى الباب، مثل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف:155]، أي من قومه، أو على تضمين (استبقا) معنى ابتدرا<sup>(2)</sup>، فبالبحث في السياق النحوي الذي وردت فيه هذه الآية يدرك المتدبر أن النصب وقع بعد حذف حرف الجر من الكلام الأصلي، كما يمكن الاستشهاد في هذا المقام أيضا بقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ ۗ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف:101]، والشاهد هنا هو لفظ (فاطر) الذي ورد منصوبا، والعلة في نصبه هي كون "أنه وصف لقوله: (رب)؛ كقولك: أبا زيد حسن الوجه، أو على النداء"<sup>(3)</sup>، إذا فغياب العامل الظاهر لفظا يفتح باب التأويل والبحث عن السبب والعلة التي جعلت حركة اللفظ على غير الوجه الظاهر، والمعرفة بأبواب النحو ومباحثه شرط من شروط تحديد المعاني وفهمها.

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 344.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 255.

<sup>3</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 327.

ويمكن أن يظهر دور العلاقات النحوية في توضيح المعاني وبيان انسجامها من خلال تلك القرائن المعنوية واللفظية، أما القرائن المعنوية فتفيد عفي تحديد المعنى النحوي، كعلاقة الإسناد مثلاً، وهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل أو نائبه، ولا يمكن للمعرب أن يصل إلى هذا التحديد (تحديد العلاقة بين لفظين) إلا إذا فهم طبيعة العلاقة الرابطة بين الطرفين، لكن في علاقة الإسناد لا تكفي بذاتها للوصول إلى الحديد الدقيق للمعنى النحوي، بل نحتاج إلى قرائن لفظية مساعدة تعيننا على ضبط هذا التحديد، فنلجأ إلى مباني التقسيم لنرى إن كان طرفا الإسناد اسمين، أو اسماً وصفة، أو اسماً وفِعلاً، أو فعلاً واسماً... إلخ، كما يمكن أن نلجأ إلى مباني التصريف لتحديد الشخص والنوع والعدد، كما يمكن أن يُنظر إلى طبيعة العلامة الإعرابية، والمطابقة بين الجزئين وما نوعهما.<sup>(1)</sup> فبهذا لا يمكن تحديد المعنى وفهمه من خلال النظر في طبيعة العلاقات المعنوية في المستوى التركيبي فحسب، بل يمكن الاستعانة في الوقت ذاته ببعض السمات اللفظية الخاصة بالمباني كالنظر في نوع اللفظ وطبيعته، أو اللجوء إلى البحث في طبيعة العلامات الإعرابية سواء كانت ظاهرة أو مقدرة.

أما القرائن اللفظية فلها دور كبير في تحديد المعنى النحوي باعتبارها قرائن مساعدة (كما أشرنا إلى ذلك في الفقرة السابقة)، أو باعتبارها قرائن يمكن أن يظهر المعنى من خلالها ظهوراً جلياً، ويمكن التمثيل لها بقريئة الرتبة، "وهي قريئة نحوية ووسيلة أسلوبية: أي أنها في النحو قريئة على المعنى، وفي الأسلوب مؤشر أسلوبية ووسيلة إبداع"<sup>(2)</sup>، ويقصد بذلك أنّ الرتبة تمثل الموضع الذي يقع فيه اللفظ في مستوى

<sup>1</sup> - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص 192/191.

<sup>2</sup> - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دار عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص 91.



التركيب، وتغير موقع اللفظ يؤدي دون شك إلى تغيير في المعنى، والرتبة نوعان: رتبة محفوظة، ورتبة غير محفوظة، أما المحفوظة فهي "رتبة في نظام اللغة، وفي الاستعمال في الوقت نفسه"<sup>(1)</sup>، أي الموقع الذي يحفظه نظام اللغة للفظ في الاستعمال، أما الرتبة غير المحفوظة فهي "رتبة في النظام فقط، وقد يحكم الاستعمال بموجب عكسها، كما في تقديم المفعول على الفاعل في نحو: (حياك الله)، أو بموجب المحافظة عليها نحو: (هذا أخي)، وإنما يكون هذا أو ذاك عند خوف اللبس، أو اتقاء مخالفة القاعدة أو الأصل"<sup>(2)</sup>؛ أي إن موقع الكلمة يمكن أن يتغير في الرتبة غير المحفوظة بفعل السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة، وقد يكون تغيير الأصل في الرتبة بدافع عامل معين كأمن اللبس مثلاً.

### 4-1-1-2- السياق الصرفي:

وهو كل ما يتعلّق بطبيعة الألفاظ في مستوى تصريفها، "والتصريف: تفعيل من الصّرف، ومعناه التغيير، والتقليب، والتحويل من جهة إلى أخرى [...] وهو ما يلحق الكلمة في بنيتها وجوهرها لمعرفة ما فيها من التغييرات العارضة طلباً لتكثير الألفاظ، ومن ثم تكثير الدلالات، أو الوقوف على ما تم على اللفظ من تغيير طارئ ليس له في لأكثر الوجوه صلة بالمعنى، كما هو الحال في مسائل: الحذف، والإبدال، والقلب، والنقل، والإعلال، والإدغام، وغير ذلك مما لا يتصل بضرب من ضروب المعاني."<sup>(3)</sup> فالصّرف هو كل تغيير يحدث في مستوى بنية اللفظ، وما يهّمنا في هذا المقام هو ذلك التغيّر الذي له صلة بالمعنى؛ أي أنّ السياق الصرفي يختصّ بدراسة السوابق واللواحق، وكل الزوائد التي تضاف على أصل اللفظ، إذ إنّ كلّ زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى، فعلى

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص ن.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

<sup>3</sup> - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، ط1، الأردن: 1427هـ/2007م، ص 75.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

سبيل المثال: المعنى الذي يفهم من اللفظ (كسر) يختلف عن المعنى الذي يفهم من لفظ (كسر)؛ حيث إنّ التضعيف أكسب اللفظ الأول زيادة معنوية تضاف على المعنى الأصلي المحمول في اللفظ الثاني، ومن هذا ندرك أنّ الألفاظ الأصول في اللغة تتكّيف الزيادات المضافة إليها بحسب السياقات الواردة فيها، وحسب ما يقتضيه التركيب النحوي.

ويمكن القول أيضا أنّ المبنى الصّرفي الواحد "متعدد المعنى ومحتمل كل معنى مما نسب إليه وهو خارج السياق. أمّا إذا تحقق المبنى بعلامة في سياق فإنّ العلامة لا تفيد إلا معنى واحدا تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، وهذا التعدد والاحتمال في المعنى الوظيفي يقف بإزائه تعدد واحتمال في المعنى المعجمي أيضا"<sup>(1)</sup>، وبهذا تكون المعاني التي تحملها الألفاظ تتغير حسب ما أضيف إلى أصولها من زيادات، وتتغير أيضا حسب السياقات التي وظفت فيها، والتي لا تدرك إلا بالنظر في مجموع القرائن الموضحة لها.

وبالرجوع إلى نصّ سورة يوسف نجد أنّ أمثلة السياق الصّرفي ودوره في ظهور المعاني وانسجامها كثيرة ومختلفة باختلاف القواعد الصرفية الموظّفة في هذا النصّ، ومن هذه الأمثلة تلك التي يمكن الاستشهاد بها على باب جموع القلّة والكثرة، وكيف تتباين مواضع الاستعمال حسب السياق اللغوي العام، ومن هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَقَالَ

لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بُضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف:62]، والشاهد في هذه الآية هو لفظ (فتيانه)، "وقرى (لفتيته)، وهما جمع (فتى)، كإخوة وإخوان في أخ، و(فعله): للقلّة، و(فعلان): للكثرة"<sup>(2)</sup>، فتغيير الوزن يؤدي إلى تغيير في المعنى الذي ينتقل بين الوزنين من الدلالة على الكثرة في الأول (فتيانه) إلى الدلالة على القلة في الثاني (فتيته)، وهذا

<sup>1</sup> - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 165.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 302/303.

التباين راجع إلى الاختلاف في القراءات، ودليل ذلك ما ذكره "أبو حيان الأندلسي" بقوله: "قرأ الأخوان وحفص (لفتيانه) وباقي السبعة (لفتيته) فالكثرة على مراعاة المأمورين، والقلة على مراعاة المتأولين"<sup>(1)</sup>، وفي هذا دلالة واضحة على أنه كلما تغيرت بنية اللفظ الصرفية تغيرت البنية الدلالية التي ستؤثر لا محالة على البنية الدلالية العامة للنص.

وإذا أردنا أن نفهم معنى الاختلاف بين جمع القلة وجمع الكثرة، ودور كلٍّ منهما في تغيير الدلالة وإظهار الاتصال بينها وبين جملة المعاني المراد إظهارها، نعقد مقارنة بين آيتين: آية واردة في سورة البقرة، وآية أخرى واردة في سورة يوسف، والأمر المشترك بينهما هو استعمال العدد نفسه مع معدود جمعه جمع كثرة في الآية الأولى (سورة البقرة)، وجمعه جمع قلة في الآية الثانية (سورة يوسف)، أمّا جمع الكثرة فظهر في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: 261]، حيث "جعل أصل التمثيل في تضعيف حبة لأنّ تضعيفها من ذاتها لا بشيء يضاف عليها، وقد شاع تشبيه المعروف بالزرع وتشبيه الساعي بالزرع"<sup>(2)</sup>. أمّا جمع القلة فظهر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: 43]، والشاهد لفظ (سمان)، وهو "جمع سمين وسمينة، وكذلك رجال ونسوة كرام"<sup>(3)</sup>، حيث جاء هذا اللفظ على القلة لأن السبعة قليلة ولا توجد علة واضحة لتكثيرها، عكس ما ورد في الآية الأولى (من سورة البقرة) التي اقتضى السياق فيها إظهار الكثرة لا إظهار القلة.

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 320.

<sup>2</sup> - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 41.

<sup>3</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 288.

ويمكن التمثيل للسياق الصّرفي وعلاقته ببنية المعاني وانسجامها بقوله تعالى:

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف:23]، والشاهد هنا هو لفظ (راودته)؛ حيث إنّ المرادة "مقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة في التكرير. وقيل المفاعلة تقديرية بأن اعتبر العمل من جانب والممانعة من الجانب الآخر من العمل بمنزلة مقابلة العمل بمثله، والمرادة مشتقة من الفعل راد يرود، إذا ذهب وجاء. شبه حال المحاول أحدا على فعل شيء مكررا ذلك بحال من يذهب ويجيء في المعاودة عن الشيء المذهوب عنه." (1) وفي هذا دليل واضح على أنّ الإضافات التي زيدت على الأصل راد (الذي حدث فيه إعلال وأصله رود بالنظر إلى الاشتقاق) جعلت المعنى يتغيّر للدلالة على المشاركة التي تعتبر أصل وزن المفاعلة، لكنها في الآية السابقة دلت على المزج بين فعلين، أي فعل الذهاب والمجيء، ومن هذا الكلام ندرك أنّ السياق أدى إلى تغيير في أصل الفعل بإضافات أدت هي الأخرى إلى تغيير في بنية المعاني وهيكلتها.

### 4-1-1-3- السباق الصوتي:

وهو كلّ ما تعلّق بالجانب الصوتي وارتبط به من ظواهر صوتية يؤدي عدم العلم بها عند المتكلم إلى إحداث خلل على مستوى بنية المعاني، أو إخراج البنية عن أصل معناها، ومن بين هذه الظواهر الصوتية التي تجدر الإشارة إليها في هذا المقام هي ظواهر مخارج الأصوات وكيفيات النطق السليم بها، والعلم أيضا بالصفات التي تمتاز بها هذه الصفات، فإذا عدنا إلى التراث اللغوي العربي نجد أنّ "الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) قد اعتنى كثيرا بدراسة الأصوات وموسيقى اللغة، وقد ساعده سمعه المرهف

<sup>1</sup> - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 250.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

الحساس على التفوق في هذه الناحية<sup>(1)</sup>؛ حيث طرق "الخليل" كل أبواب أصوات اللغة العربية وذلك خوفاً منه بعدما تذوق أسمع العرب أصوات اللغات الأخرى أن يشوب أصوات العربية ما يبعدها عن أصلها.

وبعد "الخليل" جاء "سيبويه" تلميذه الذي "خصّص للدراسة الصوتية فصلاً في كتابه: (الكتاب) فذكر عدد حروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، وذلك في باب عقده للإدغام"<sup>(2)</sup>، ولا ننسى في هذا المقام الإشادة بجهود العلماء الذين جاؤوا بعد "الخليل" و"سيبويه" وعملوا على إثراء ميدان علم الأصوات وتطويره حيناً بعد حين، على غرار "ابن جني" و"ابن سينا" وغيرهما.

وما يمكن أن يؤثر على سلامة المعنى وانسجام بنيته هو العلم بمقاطع الكلام وتقسيماته الصوتية؛ حيث "إن الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة يكون لها تتابع تحدده البنية المقطعية، وهي بنية تختلف باختلاف اللغات"<sup>(3)</sup>، فالمقطع في اللغة العربية يختلف نوعه عن المقطع في لغة أخرى غيرها، والمقطع هو "قطع الهواء أو وقوفه كلياً كما في الأصوات (الوقفات)، أو جزئياً كما في (الاحتكاكات) حتى يتكوّن الحرف (الصوت) ويتحقق قطعة من مخرج معين"<sup>(4)</sup>، ويتصل بالمقطع في معظم الدراسات الصوتية - إن لم نقل جلّها - "النبر"؛ لأنّه لا يمكن تحديد النبر في اللفظ المنطوق إلا إذا حددت مقاطع هذا اللفظ، والنبر هو "درجة ارتفاع الصوت، لذا ففي الكلمة المكوّنة من مقطع واحد لا مجال للحديث عن مقطع منبور وغير منبور، فالمقطع الواحد منبور دائماً. ولكن قواعد

<sup>1</sup> - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة: 1417هـ/1997م، ص 14.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 16/15.

<sup>3</sup> - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، (دط)، القاهرة: (دت)، ص 80.

<sup>4</sup> - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، (دط)، القاهرة: 2000م، ص 506.

النبر تتناول بالتفصيل الكلمة المكوّنة بنفسها وبما اتصل بها من أكثر من مقطع، كأن تكون على مقطعين أو ثلاثة أو أكثر، وهنا تكون قواعد النبر للكلمة مع ما اتصل بها.<sup>(1)</sup> إذا فالنبر هو الضغط على أحد مقاطع الكلمة لإظهاره وتمييزه عن بقية المقاطع الأخرى المكوّنة لها، والنبر من السمات الصوتية فوق المقطعية التي لا يمكن أن تظهر من خلال البنية السطحية للكلمة، بل تظهر هذه السمة الصوتية المميّزة من خلال النطق بالكلمة، وتحديد النبر يجب أن يكون وفق قواعد معينة يفرضها العرف اللغوي العام.

والنبر يرتبط في مجال الدراسة الصوتية أيضا بالتنغيم، وهو "موسيقى الكلام، فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن (الموسيقى) إلا في درجة التواؤم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تصنع كلا متناغم الوحدات والجنبات، وتظهر موسيقى الكلام في صور ارتفاعات وانخفاضات أو تنوعات صوتية، أو ما نسميه نغمات الكلام، إذ الكلام - مهما كان نوعه - لا يلقى على مستوى واحد بحال من الأحوال"<sup>(2)</sup>، وللتنغيم وظائف أهمها ما تعلق بالجانب النحوي من خلال تحديد الإثبات والنفي والاستفهام والتعجب في مختلف أبنية اللغة، ومن الوظائف ما تعلق بالجانب الدلالي من خلال ترتيب النغمات وإسقاطها على البنية التركيبية لإظهار مختلف المعاني والدلالات.

انطلاقا مما سبق وبالعودة إلى سورة يوسف نجد أنّها اشتملت على عديد الظواهر الصوتية التي لها علاقة مباشرة بتحديد المعاني، والتحكم في انسجامها وائتلاف عناصرها، وسنحاول في هذا المقام ذكر مثالين لإثبات هذا الطرح وذلك من خلال تحليلهما والبحث في مختلف عناصرهما، ولعل أول هذين المثالين هو الشاهد الوارد في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونُ﴾

<sup>1</sup> - محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 81.

<sup>2</sup> - كمال بشر، علم الأصوات، ص 533.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

[يوسف:11]، وهو قوله: ﴿تَأْمَنَّا﴾؛ حيث إنّ هذا اللفظ "قرئ بإظهار النونين، وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام، وتيمنا: بكسر التاء مع الإدغام، والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه، وما وجد منا في بابه ما يدلّ على خلاف النصيحة والمقة." (1) فكما ذكرنا في السابق أنّ المعرفة بالقواعد الصوتية من أحكام القراءات والمخارج الصوتية، والصفات المتعلقة بالأصوات اللغوية تؤدي بالقارئ إلى فهم المعاني وترتيبها ترتيبا يتوافق والغاية التي أنتج التركيب اللغوي من أجل توضيحها وإظهارها، أما إن كان القارئ جاهلا لهذه الأحكام والقواعد فإنّ ذلك سينعكس حتما على بنية المعاني وانسجام عناصرها.

ويمكن التمثيل للسياق الصوتي وعلاقته بانسجام المعاني من سورة يوسف أيضا بقوله تعالى: ﴿يَصْصِحِي السَّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39]، ويتجلى المعنى العام لهذه الآية في أنّ يوسف - عليه السلام - استدل على بطلان ملة الرجلين بالاستفهام حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير الاستفهام (2)، وكما رأينا في السابق أن للاستفهام نغمته الخاصة التي تدرك بشكلها الصوتي الخاص دون غيرها من النغمات المتعلقة بالأغراض البلاغية الأخرى، وللنغمة دور كبير في توضيح المعاني وتفسيرها، وتمييز أنماط الكلام بعضها من بعض (3)، لأنّ النغمات تختلف باختلاف نوع الغرض البلاغي الذي تختص به الجملة، وفي بعض الأحيان نجد أنّ الجملة الواحدة يمكن أن تدرج في أكثر من غرض، وذلك بحسب النغمة

1- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 259.

2- ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 309.

3- كمال بشر، علم الأصوات، ص 534.

التي تميّزها، وبهذا يمكن القول أنّه كلّما تغيرت النّعمة تغير المعنى، لكن هذا لا يمكن أن يكون دقيقاً إلا بالنظر في السياق العام الذي وردت فيه هذه الجملة.

### 4-1-1-4- السياق المعجمي:

يعدّ السياق المعجمي مستوى آخر من مستويات البنية اللغوية الأفقية التي تقوم بين المفردات بوصفها وحدات معجمية دلالية، لا بكونها وحدات نحوية أو أقسام كلامية، والظاهر أنّ المعجم العربي لا يستطيع حصر كلّ السياقات التي يمكن أن تقع فيها الكلمة مما جعل علماء اللغة يستندون على السياق في تفسير ما اهتموا بتفسيره من اللغة<sup>(1)</sup>، ودور السياق في تحديد معنى الكلمة يتجلى في أنّ الكلمة الواحدة يمكن أن تحمل أكثر من معنى، والذي يتحكم في أيّ من المعاني أقرب إلى الكلمة هو السياق الذي وردت فيه. فمثلاً كلمة (حسن) التي تقع في سياقات لغوية متنوعة، فقد تكون وصفاً لأشخاص أو أشياء أو غير ذلك، فإذا وردت وصفاً لرجل كانت تعني الناحية الخلقية، أما إن وردت وصفاً لطبيب مثلاً فينحصر معناها في وصف التفوق والأداء<sup>(2)</sup>، والأمثلة التي يمكن أن توضح المعاني المتعددة للفظ الواحد (المختلفة باختلاف السياقات) كثيرة ومتعددة، لكن الأمر الذي لا يختلف في فحواه هو أنّ "معنى الكلمة في المعجم متعدد ومحتمل، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد بسبب ما يأتي:

(أ) ما في السياق من قرائن تعين على التحديد (... القرائن المقالية).

(ب) ارتباط كلّ سياق بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: خليل خلف بشير العمري، السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج9، ع2، العراق: 2010م، ص 49.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 70/69.

<sup>3</sup> - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 316.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

حيث إنّ المعرفة بمجموع القرائن (المقالية والحالية) تجعل المعنى المرتبط باللفظ واضحاً، وهذا لا يظهر إلا من خلال وضع اللفظ في السياقات التي تتناسب مع طبيعة المعنى المراد إظهاره في التركيب.

ويمكن أن نستدل على السياق المعجمي من سورة يوسف بمجموعة من الأمثلة التي تضمنت مجموعة من الألفاظ التي لا يمكن أن تفهم معانيها إلا بربط المعنى المعجمي للفظ الواحد منها بالسياق اللغوي الذي وردت فيه، وإظهار دور معاني هذه الألفاظ في تماسك البنية العامة للمعاني، ولعلّ أول هذه الأمثلة هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمَا عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف:16]، والشاهد في هذه الآية هو لفظ (يبكون)، "والبكاء: خروج الدموع من العينين عند الحزن والأسف والقهر [...] وقد أطلق هنا على البكاء المصطنع وهو التباكي"<sup>(1)</sup>، وقيل أنّ الدمع المصنوع لا يخفى ولا يدارى، كما قال الحكيم<sup>(2)</sup>:

إذا اشتبكت دموعاً في خُدودٍ      تبيّن من بكى ممّن تباكى

فهذا المعنى (التباكي) استنتج من السياق الذي ورد فيه لفظ (بكاء)، حيث لا يمكن للمتدبر أن يدرك المعنى الحقيقي إلا بالنظر إلى معنى اللفظ المعجمي، والمعنى المكتسب من السياق الوارد فيه.

<sup>1</sup> - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 236.

<sup>2</sup> - ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان: 1427هـ/2006م، ج11، ص 281.

كما يمكن التمثيل للسياق المعجمي أيضا من سورة يوسف بقوله تعالى: ﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ نَّحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف:20]، والشاهد هنا هو لفظا: (شَرَّوهُ، بَخْص) حيث "يقال: شريت بمعنى اشتريت، وشريت بمعنى بعت لغة، قال الشاعر:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي      مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً<sup>(1)</sup>

أي: بعت، وقال آخر:

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً      وَفِي الصِّدْرِ حُرْزٌ مِنَ اللَّوْمِ حَامِزُ<sup>(2)</sup>

﴿بِثْمَنِ بَخْسٍ﴾ أي: نقص، وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم، أي: باعوه بثمن مبخوس، أي: منقوص.<sup>(3)</sup> فلفظا: (شَرَّوهُ، بَخْص) دلا دلالة لا تفهم إلا بالبحث في أصلي هذين اللفظين، وذلك من خلال تقصي كلام العرب المحتج بأقوالهم، أو البحث في الدلالات التي يمكن أن يكتسبها من سياقات الاستعمال، وبهذا يكون السياق المعجمي المتحكم في دلالة مختلف الألفاظ قد ساهم في تماسك المعاني وانسجام عناصر بنيتها من خلال ذلك الاتصال بين بنية اللفظ في مستوى التركيب ودلالته في مستوى بناء المعاني.

<sup>1</sup> - قائله: يزيد بن مفرغ الحميري، وبرد اسم غلام ندم على بيعه، والهامة: من طيور الليل، كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة تزفُو عند قبره، تقول: اسقوني اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت.

<sup>2</sup> - قائله: الشماخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص 190، الحرز: ما حرَّ في القلب، الحمزة: الشدة، وقد حمز الرجل بالضم، فهو حميز الفؤاد وحامز.

<sup>3</sup> - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص 295.

ويمكن التمثيل أيضا في هذا المقام للسياق المعجمي بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف:37]، حيث إن الشاهد في هذه الآية هو لفظ "ترزقانه" فهو تصريح بالضبط بأنه طعام معلوم الوقت لا ترقب طعام يهدى لهما لا ينضبط حصوله. وحقيقة الرزق ما النفع، ويطلق على الطعام كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران:37]، أي طعاما، وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف:50]، وقوله: ﴿وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:62]، ويطلق على الإنفاق المتعارف كقوله: ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ [النساء:05]، ومن هنا يطلق على العطاء المؤقت، يقال: كان بنو فلان من مرتزقة الجند.<sup>(1)</sup> فمن خلال الآيات الكريمة السابقة التي ورد فيها لفظ "رزق" بمختلف اشتقاقاته ندرك ذلك التباين الملاحظ في المعاني السياقية لأصل اللفظ، وفي هذا دليل واضح على أنّ الألفاظ تملك دلالة معجمية وأخرى سياقية لا تفهم إلا من خلال ارتباطها بالسياق العام للتركيب، كما يمكن أن نخلص إلى أنّ انسجام المعاني وانتلافها لا يكون إلا بعد فهم المعاني المعجمية لجلّ الألفاظ مع ربط معنى اللفظ الواحد بالآخر في شكل يتحقق منه المعنى العام للتركيب أو النص.

### 4-1-2- السياق الخارجي (غير اللغوي):

ويتمثل هذا النوع من السياق في مجموع الظروف الخارجية المحيطة بالبنية اللغوية، والتي تساهم في إظهار معناها وتحقيق انسجام عناصرها وأجزائها، وظهورها في الشكل الذي يوافق مقاصد المتكلم وغاياته من إنتاج بنية لغوية معينة، وتتمثل الظروف

<sup>1</sup> - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 271.

الخارجية في الموقف الملازم للنص، والإطار الاجتماعي الثقافي، والإطار التاريخي الكرونولوجي؛ حيث تجعل هذه الظروف المتلقي (المخاطب) ملما بكل الملابس التي لا يمكن أن يفهم التركيب اللغوي إلا إذا كان على دراية بها، ولعل علماء البلاغة كان لهم الفضل الكبير في الإشارة إلى ضرورة الاعتناء بالمقام أو الموقف في فهم مختلف الأنماط اللغوية المنتجة في اللغة؛ فإنهم "فطنوا إلى أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأنّ هذه الثقافة جعلتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية المختلفة يسمون كلا منها (مقاما)، فمقام الفخر غير مقام المدح وهما يختلفان عن مقام الدعاء، أو الاستعطاف، أو التمني، أو الهجاء، وهلم جرا. وكان من رأي البلاغيين أنّ (لكل مقام مقالا)؛ لأنّ صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام"<sup>(1)</sup>؛ أي إنّ المقام ربما يكون واحدا في عدّة مواضع إلا أنّ فهم هذا المقال قد يتغير بحسب المقامات التي يرتبط بها، فربما في موضع يوحي المقام إلى أنّ المقال فيه دلالة على المدح، وفي موضع آخر يوحي إلى أنّ المقال يحمل دلالة الذمّ، فتغير المعنى راجع إلى تغير المقام المرتبط بالمقال، ومن هذا ندرك أنّ المعرفة بمقام الكلام وسياق موقفه تجعل الفهم لا يحيد عن أصل المعنى الذي لا يجب أن يفهم غيره من الكلام.

وفي السياق نفسه لو عدنا إلى سيرة الصحابة - رضوان الله عنهم - لوجدنا أن أبا بكر - رضي الله عنه - قد تحرى اختيار ما يناسب المقام ويلائمه من خلال استشهاده بالقرآن الكريم، ومن ذلك ما استشهد به بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلَبُ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل

<sup>1</sup> - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 337.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

عمران:144]، فقد قال عمر - رضي الله عنه - عند سماعه هذه الآية: والله لكأنني لم أسمع هذه الآية من قبل.<sup>(1)</sup> وما هذا إلا دليل واضح على دقة اختيار ما يناسب الموقف من القرآن الكريم، وفي ذلك تجديد لارتباط الآية بسبب نزولها، وتثبيت للمعاني التي حملتها الموضحة في تفسيرها.

وعمر - رضي الله عنه - أيضا لم يكن يكتفي بمعنى المقال؛ أي منطوق الآية أو الحديث، وإنما كان يتوغل في سبيل معرفة أسباب النزول وظروفه الاجتماعية والتاريخية؛ بمعنى أنه كان يتخطى المعنى الحرفي إلى المعنى الاجتماعي<sup>(2)</sup>؛ أي أنه كان يحتكم في تفسيره للنصوص القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة إلى كل الظروف المحيطة بها لكي يصور المعاني تصويرا كاملا غير منقوص.

إذا فسبب النزول يعتبر من بين ملابسات السياق الخارجي الذي يجعل المفسر يقف على أهم المعاني المطروحة في نص الآية الكريمة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن علماء التفسير لم يهتموا بمستويات اللغة الظاهرة في نص القرآن الكريم وعلاقتها بالمعاني فحسب، بل اهتموا أيضا بكل الظروف والملابسات الخارجية التي تمكّن من فهم المضمون فهما سليما؛ حيث إن من بين أهم فوائد معرفة أسباب النزول "الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، قال الواحدي: (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها). وقال ابن دقيق العيد: (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن). وقال ابن تيمية: (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"<sup>(3)</sup>)، ومن فوائد المعرفة بسبب النزول أيضا "دفع توهم

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص 340.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 338.

<sup>3</sup> - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 190/191.

الحصر. قال الشافعي: ما معناه في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: 145]، الآية إن الكفار لما حرّموا ما أحل الله وأحلوا ما حرّم الله، وكانوا على المضادة والمحادّة، جاءت الآية مناقضة لغرضهم فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرّمتموه، ولا حرام إلا ما أحلّتموه.<sup>(1)</sup> ومن هذا نفهم أنّ الوصول إلى فهم مضمون النصّ القرآني لا يقتصر على فهم قضايا التركيب والبناء من تقديم وتأخير وحذف فقط، بل فهم مضمون النصّ القرآني يستوجب أيضا المعرفة بحال سبب النزول وما ارتبط به من أحوال وملابسات السياق الخارجي.

وبالعودة إلى نصّ سورة يوسف - عليه السلام - نجد أنّ سبب نزولها كما روي "أن اليهود سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قصة يوسف فنزلت السورة، قال سعد بن أبي وقاص: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا: لو قصصت علينا؛ فنزل: ﴿خَنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾"<sup>(2)</sup>، ويختلف الرواة في سبب نزول سورة يوسف - عليه السلام - (كما أشرنا إلى ذلك في بداية هذا الفصل)، لكن المتفق عليه أنّها نزلت لتسليّة النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك لتشابه حاله مع قومه الذين كذبوه وألحقوا به الأذى مع حال يوسف - عليه السلام - الذي قابله إخوته بالإساءة والأذى والتعذيب.

تعد أسباب النزول السابقة سببا لنزول سورة يوسف، وهي أسباب جامعة لكلّ آيات السورة باعتبارها نصّا واحدا ترتبط عناصره بعضها ببعض، لكن تفسير كل آية على حدة يجعل علماء التفسير يستندون على ملابسات وظروف خارجية في إيضاح المعاني

<sup>1</sup> - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 29.

<sup>2</sup> - نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص 504.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وتبيانها، وسنحاول في هذا الجزء من بحثنا الاستشهاد ببعض الآيات التي اعتمد العلماء في تفسيرها على مختلف الظروف الخارجية المحيطة بها، والتي تجعل المعاني تتجلى في أكمل صور انسجامها وأبهى مظاهر تلاحمها، ولعلّ أوّل هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:04]، حيث ورد في تفسير "القرطبي" (ت 671 هـ) أنّ أسماء هذه الكواكب جاء ذكرها مسندا؛ رواه الحارث بن أبي أسامة قال: جاء بستانة - وهو رجل من أهل الكتاب - فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الأحد عشر كوكبا الذي رأى يوسف، فقال: «الحارثان وطارق والذيال وقايس والنطح والطروح وذو الكنفان وذو الفرع والفيلق ووئاب والعمودان، رآها يوسف عليه السلام تسجد له.»

قال ابن عباس وقتادة وابن جريج: الكواكب إخوته، والشمس أمّه، والقمر أبوه. وقال قتادة أيضا: الشمس خالته؛ لأنّ أمّه كانت قد ماتت، وكانت خالته تحت أبيه.<sup>(1)</sup> فهذا المقام متعلق بسياق المتكلم الذي نزلت الآية على لسانه، وهو يوسف - عليه السلام - حيث أخبر النبي يعقوب - عليه السلام - بما رآه في منامه من حال الكواكب التي سجدت له، لكن الآية الكريمة بشكل خاص، والنص القرآني (سورة يوسف) بشكل عام لم تخبر بأسماء هذه الكواكب وعلام دلت في المنام، بل الذي أخبر بهذه الأسماء والدلالات هو النبي صلى الله عليه وسلم، وبهذا لا يمكن تفسير هذه الآية إلا بالرجوع إلى ما هو خارج عن نصّها، أي الموقف المرتبط بالآية والذي شهده الصحابة - رضوان الله عنهم - بسند صحيح موثوق.

<sup>1</sup> - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص 247/246.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

كما يمكن التمثيل لدور الظروف الخارجية في فهم النص القرآني من سورة يوسف بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:08]، فالظاهر أنّ قول إخوة يوسف - عليه السلام - عبرة من عبر الأخلاق التي تنشأ من حسد الإخوة والأقارب، وعبرة من المغالاة في تغليب الأب، والاستخفاف برأيه غرورا منهم، وغفلة عن مراتب موجبات ميل الأب إلى بعض أبنائه<sup>(1)</sup>، وكان بنو يعقوب - عليه السلام - اثني عشر رجلا، وهم: "روبل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوي ويهوذا وزيالون ويشجر، وأمهم ليا بنت ليان، وهي بنت خال يعقوب، وولد له من سرّيتين أربعة نفر؛ دان ونفتالي وجاد وآشر، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين"<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى على لسان إخوة يوسف - عليه السلام -: ﴿لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ يُقصد به يوسف وبنيامين، "وكان بنيامين أصغر من يوسف، فكان يعقوب يحبهما بسبب صغر سنّهما، وموت أمهما، وحب الصغير والشفقة عليه مركز في فطرة البشر، وقيل لابنة الحسن: أيّ بنيك أحب إليك؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والمرض حتى يفيق"<sup>(3)</sup>، فمحبّة يعقوب لابنه يوسف - عليهما السلام - حركت في نفوس أبنائه غريزة الغيرة العمياء الممزوجة بالحسد والحقد الذي جعلهم يفعلون فعلتهم الشنعاء، وذلك من خلال اجتماعهم وتعصبهم للرأي ذاته، وهو إبعاد الابن عن وجه أبيه، وهذا ما دلّ عليه لفظ العصبية الوارد في نص هذه الآية، والعصبية "قيل: من عشرة إلى خمسة عشر، وقيل من عشرة إلى أربعين، وقال الزجاج: العشرة ونحزهم، وفي الزهراوي: الثلاثة نفر، فإذا زادوا فهم رهط إلى التسعة، فإذا زادوا فهم عصبية، ولا يقال لأقل من

<sup>1</sup> - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 220.

<sup>2</sup> - القرطبي، الجامع لأحكام التنزيل، ج11، ص 260.

<sup>3</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص283.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

عشرة عصابة<sup>(1)</sup>، وقيل معنى العصابة: "جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر والرّهط."<sup>(2)</sup>، فالغيرة والحسد جعل إخوة يوسف - عليه السلام - يتآمرون عليه وعلى أخيه، ويصفون أباهم بالضلال، لكنهم "لم يردوا ضلال الدين؛ فلو أرادوه لكانوا كفارا، بل أرادوا: لفي ذهاب عن وجه التدبير، في إيثار اثنين على عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه. وقيل: لفي خطأ بين بإيثاره يوسف وأخاه علينا"<sup>(3)</sup>

من خلال ما سبق ذكره من أقوال علماء التفسير في شرح مضمون الآية السابقة يتبين لنا أنّ فهم نصّها لم يقتصر على إمعان النظر في المستويات المتعلقة بالبنية التركيبية فحسب، بل تعدّها إلى البحث في كل العوامل الخارجية، والظروف المحيطة بهذا النصّ، والتي يمكن للمفسّر من خلالها الوصول إلى ربط مختلف المعاني وإعادة نسجها بكيفية تتوافق والإطار العام للقصة الواردة في نصّ سورة يوسف، كما أنّ الرجوع إلى عامل السياق الخارجي والموقف الذي يمكن أن يرتبط بالعناصر اللفظية المكونة لنصّ الآية يمكن المفسّر من إدراك المعاني الخفية، والأحداث غير المبيّنة، والأسماء غير المعينة، إذ أنّ كلّ هذه الملاحظات غير اللغوية تساهم بدرجة كبيرة في انسجام المعاني وارتباطها باتساق النية اللفظية ارتباطا تقابليا تكامليا يؤدي إلى فهم النصّ بالكيفية السليمة الموافقة لأصل معناه.

ويمكن التمثيل أيضا لدور الظروف الخارجية أو السياق غير اللغوي في تحقيق انسجام المعاني وتلاحم عناصرها بقوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾

<sup>1</sup> - أبو محمد بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان: 1422هـ/2001م، ج3، ص 221.

<sup>2</sup> - أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تح: سليمان مسلم الحرش وآخرون، دار طيبة، (دط)، الرياض: 1411هـ، مج4، ص 217.

<sup>3</sup> - أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام التنزيل، ج11، ص 261.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وَعَلَّقَتِ الْأَبْيُوتَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿[يوسف:23]﴾؛ حيث قال "القرطبي" في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾: "وهي امرأة العزيز طلبت منه أن يواقعها، وأصل المرادة الإرادة والطلب برفق ولين. والرود طلب الكلاء؛ وقيل: هي من رويد؛ يقال فلان يمشي رويداً، أي: برفق؛ فالمرادة: الرفق في الطلب؛ يقال في الرجل: راودها عن نفسها، وفي المرأة: راودته عن نفسه." (1) كما يمكن أن يستشهد في تفسير الآية السابقة بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - عن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، "قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا يحيى، عن عبيد الله قال: حدثني خبيب بن عبد الرحمان، عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق وأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.»" (2) فالشاهد في هذا الحديث الشريف هو ذكر الرجل الذي دعتة امرأة ذات منصب وجمال فأبى خوفاً من الله، وهذا ما يتوافق مع موقف النبي يوسف - عليه السلام - الذي أبى أن يوافق على طلب امرأة العزيز، ومن هذا ندرك أن المفسر اعتمد في إظهاره للمعاني وتفسيرها بموقف خارج عن نصّ اللغوي للآية الكريمة، وهو حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -.

1- المرجع السابق، ص 305.

2- حكمت بن بشير بن ياسر، التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح السبور من التفسير بالمأثور)، دار المآثر، ط1، المدينة المنورة: 1420هـ/1996م، مج3، ص 83.

أما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، ففي جملة (وَعَلَّقَتِ) (الأبواب) "تضعيف تكثير بالنسبة إلى وقوع الفعل بكل باب باب، قيل: وكانت سبعة أبواب (هيت) اسم فعل بمعنى أسرع، و(لك) للتبيين أي لك: أقول أمرته بأن يسرع إليها، وزعم الكسائي والفراء أنها لغة حورانية وقعت إلى أهل الحجاز، فتكلموا بها، ومعناها: تعال" (1)، فقضية معرفة عدد الأبواب المذكورة في نص الآية، وطبيعة الحوار الذي دار يوسف عليه السلام وامرأة العزيز كانت لها إشارات لغوية فقط في نص الآية، أما التفصيل فيها فيعود إلى النظر في مواقف غير لغوية خارجة عن هذا النص تستمد من السياق العام للقصة القرآنية، والذي يمكن تحديده من خلال الإمعان فيما روي من أحداث تخص قصة يوسف عليه السلام.

أما قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ فقد ذكر "الزمخشري" في تفسيره أن أصل ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ بالله معاذاً، ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ الشَّأْنَ والحديث، ﴿رَبِّي﴾: سَيِّدِي ومالكي، يريد قطفير ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ حين قال لك: أكرمي مثواه، فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: الذين يجازون الحسن بالسيء، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون أنفسهم. (2) وبهذا تكون قد تحددت المعاني العامة الواردة في الآية بالاعتماد على إمعان النظر في كل ما يخص الجانب اللغوي السطحي للنص، ويكون ذلك بالنظر في مختلف الإشارات اللغوية الدالة على طبيعة المعاني وحقيقة توافقها مع ما يناسب الانسجام العام لنص السورة القرآنية، والاعتماد أيضاً على مختلف المواقف الخارجية غير

1- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 294.

2- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 267.

اللغوية التي تسهم في إحكام ربط المعاني بما دلت عليه، وإظهارها في أكمل صور انسجامها وتآلف عناصرها المكوّنة.

من خلال تتبع شرح وتفسير الآيات المستشهد بها يمكن القول أنّ المعاني عبارة عن بنية تقابل بنية الألفاظ وتراكيبها، فأى تغيير يطرأ في مستوى التركيب يقابله تغيير في مستوى بنية المعاني، لكن هذا الأمر غير كاف بالنسبة لتحديد انسجام المعاني وتآلفها مع المعاني الأخرى المشتركة معها في مستوى النص، بل يجب الاعتماد في هذا على مختلف المواقف والظروف الخارجية التي من شأنها أن تكوّن السياق العام الذي يجمع بين مختلف المعاني جمع انسجام وتآلف وتلاحم.

### 4-2- التآويل:

يعتبر التآويل - كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الثالث - من المصطلحات المتأصلة في مختلف الثقافات القديمة والحديثة، حيث يعتبر بابا من أبواب الفهم، وعاملا من عوامل تحديد الدلالة وبيانها، كما أنّ التآويل يعد في لسانيات النص من العوامل الأساسية في تحديد انسجام النص/الخطاب، وتلاحم عناصره وأجزائه؛ حيث لا يمكن للمتلقي أن يفهم طبيعة العلاقة الموجودة بين مختلف المعاني الواردة في نص ما إلا إذا كان عارفا بملايسات السياق وظروفه، ويكون على دراية أيضا بمضامين النصوص التي تربطها مختلف العلاقات بالنص المقروء أو المسموع، كون أنّ هذه النصوص لها دور كبير في الوصول إلى التفسير السليم والتآويل الصحيح لمعاني هذا النص، كما أنّ لها الأثر الكبير في فهم المتلقي (المؤول) لمختلف العلاقات التي تربط بين المعاني في حد ذاتها، والعلاقات التي تربط المعاني بمختلف المواقف والأحداث، وهذا ما عمل علماء التفسير في مختلف مؤلفاتهم على إظهاره وتبينه من خلال محاولة الإحاطة بكل الجوانب

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

(اللغوية الظاهرة، والمعنوية الباطنة) التي من شأنها الإسهام تأويل وتفسير النص القرآني تفسيراً وتأويلاً صحيحين.

وبالعودة إلى نص سورة يوسف نجد أنه نصّ احتوى على مواطن كثيرة فتحت للمفسرين باب التأويل والاجتهاد للوصول إلى فهم هذا النصّ فهما سليمان، وتفسيره تفسيراً يتناسب مع طبيعة المعاني الواردة فيه، ومن بين هذه المواطن ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلْسَائِلِينَ﴾ [يوسف:07]، "بمعنى من سأل عن حديثهم، وقرأ أهل مكة: ﴿آيَةٌ﴾ على التوحيد؛ واختار أبو عبيد: ﴿آيَاتٌ﴾ على الجمع؛ قال: لأنها خير كثير. قال النحاس: ﴿آيَةٌ﴾ هنا قراءة حسنة، أي: لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف آية خبروا بها"<sup>(1)</sup>؛ أي إنّ جماعة من اليهود جاؤوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن خبر الأنبياء، وعن حال النبي يوسف - عليه السلام - الذي وقع له ما وقع مع إخوته، فأنزل الله تعالى سورة يوسف لكي تكون القصة الواردة فيها حجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على من كذب به وبعثته، وهذا ما يجعلنا ندرك أنّ فهم هذا النصّ وتأويله تأويلاً صحيحاً لا يستقيم إلا إذا كان المفسر عارفاً بكل الظروف الخارجية المحيطة بالنصّ المؤلّ، مدركاً لكل ما يمكن الارتكاز عليه من خلال التمعن في بنيته السطحية الظاهرة، ملماً بكل الجوانب التي تجعله يفهم المعاني ويُفهمها للمتلقى/القارئ في صورة الانسجام التام.

وفي تفسير الآية السابقة نفسها ذكر "أبو حيان الأندلسي" أن معنى لفظ (آيات) هو "علامات ودلائل على قدرة الله تعالى، وحكمته في كل شيء، (السائلين) لمن سأل عنهم، وعرف قصّتهم، وقيل: آيات على نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - للذين سألوه

<sup>1</sup> - أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام التنزيل، ج11، ص 259.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

من اليهود عنها، فأخبرهم من غير سماع من أحد، ولا قراءة كتاب، والذي يظهر أنّ الآيات دلالات على صدق الرسول، وعلى ما أظهر الله في قصته من عواقب البغي عليه، وصدق رؤياه وصحة تأويله، وضبط نفسه، وقهرها حتى قام بحق الأمانة وحدث السرور بعد اليأس.<sup>(1)</sup> فهذا التفسير ساهم في إظهار المعاني وتبيانها، وربط بعضها ببعض لكي لا يزيغ فهم المتلقي عن أصل المعنى، وربما تأويل ظاهر النص إلى ما لا علاقة له بسبب نزول السورة ككل؛ حيث اعتمد المفسر في إيضاحه لمعنى هذا النص على كل التأويلات الصحيحة القريبة من المعنى العام الذي تشترك فيه آيات سورة يوسف لتحقيق الانسجام التام، والتلاحم الكامل بين مختلف عناصر المعنى المكونة له.

ومن المواطن التي اعتمد فيها المفسرون على الاجتهاد والتأويل هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف:10]، حيث أشار "القرطبي" إلى أنّ هذه الآية ضمت ثلاث عشرة مسألة، نذكر منها مسألتين: الأولى أنّ القائل في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهودا، وهو أكبر ولد يعقوب؛ قاله ابن عباس، وقيل: روبيل، وهو ابن خالته، وقيل شمعون. والمسألة الثانية أنّ في الآية ما يدل على أنّ إخوة يوسف ما كانوا أنبياء أولاً ولا آخراً؛ لأنّ الأنبياء لا يبادرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية ثم تابوا، وقيل كانوا أنبياء ولا يستحيل في العقل زلّة نبي، فكانت هذه زلّة منهم، وقيل ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبأهم الله.<sup>(2)</sup> فالوصل إلى كل هذه المسائل - التي لم نذكرها كلها في هذا المقام لكثرة تفاصيله - دليل على قوة التمعّن والتدبّر في مضمون الآية، ودقة

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 282.

<sup>2</sup> - ينظر: أبو بكر القرطبي، الجامع لأحكام التنزيل، ج11، ص 265/262.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

التأويل والتفسير المؤدي إلى إظهار المعاني وتبيان العلاقات الرابطة بين مختلف عناصرها.

ومن تلك المواطن أيضا ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:18]، حيث أشار "القرطبي" أيضا في تفسيره لهذه الآية إلى أنها ضمت ثلاثة مسائل: أما الأولى فهي ما روي أن يعقوب لما أخبر بحال يوسف - عليهما السلام - قال لأبنائه: ألم يترك الذئب له عضوا فتأتوني به أستأنس به؟ ألم يترك ثوبا أشم فيه رائحته؟ قالوا: بلى، هذا قميصه ملطوخ بدمه، فبكى يعقوب عند ذلك، وجعل يقلبه فلا يرى فيه شقا ولا تمزيقا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت كالليوم ذئبا أحلم منه أكل ابني واختلسه منه ولم يمزقه عليه. أما المسألة الثانية فهي ما تعلق بالصبر الجميل، وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى، وقيل: المعنى: لا أعاشركم على كآبة وعبوس الجبين، بل أعاشركم على ما كنت عليه معكم، وفي هذا دليل على أنه عفا عن مؤاخذتهم. أما المسألة الثالثة فهي ما قاله ابن أبي رفاعه في أنه ينبغي لأهل الرأي أن يتهموا رأيهم عند ظن يعقوب - عليه السلام - وهو نبي الله حين قال له بنوه: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فأصاب هنا، ثم قالوا له: ﴿إِنَّ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فلم يصب.<sup>(1)</sup> فهذا التأويل الوارد في المسألة الثالثة، والذي رد عليه "القرطبي" من التأويلات غير الصحيحة التي اعتمد فيها أصحابها على روايات كاذبة، وآراء فلسفية غير مطابقة

<sup>1</sup> - ينظر المرجع السابق، ص 291/288.

لا للعقل ولا للمنطق، ورد "القرطبي" يعتبر تأويلا كرد على تأويل غير صحيح، ومن هذا ندرك أنّ الوصول لهذه المسائل الثلاثة السابقة لم يكن إلا عن طريق قوّة التدبّر في آي الله سبحانه وتعالى، ودقّة الإمعان في ما حملته هذه الآيات الكريمة من معان ودلالات، وأنّ كل مسألة تعلق أمر ظهورها بجزء من أجزاء البنية التركيبية لنصّ الآية المفسّرة، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ المعاني تتصل أولا بالنية التركيبية وطبيعتها ومكوناتها اللفظية، وتتصل ثانيا بالسياق وملابساته وظروفه المتصلة بهذه البنية، وتتصل ثالثا بالنصوص الأخرى التي يمكن أن تؤكّد ارتباط هذا المعنى بهذه البنية دون ذلك؛ أي إنّ انسجام المعاني لا يحدث إلا باتصال كل العناصر المكونة له، ونخص بالذكر السياق والتأويل.

ومن المواطن التي اعتمد فيها المفسرون على التأويل أيضا ما ورد في قوله تعالى:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف:58]، أي:

"جاءوا من القرى من أرض فلسطين بأرض الشام، وقيل: من الأولاج من ناحية الشعب إلى مصر ليتماروا منها فتوصلوا إلى يوسف للميرة فعرفهم، لأنّه فارقهم وهم رجال، ورأى زيهم قريبا من زيهم إذ ذاك، ولأنّ همته كانت معمورة بهم وبمعرفتهم، فكان يتأمل ويتقطن، وروي: أنهم انتسبوا في الاستئذان عليه فعرفهم، وأمر بإنزالهم، وذلك قال الحسن: ما عرفهم حتى تعرفوا له"<sup>(1)</sup> وهذا الإنكار الذي أظهره إخوة يوسف - عليه السلام - له كان "لطول العهد ومفارقتهم إياهم في سن الحداثة، ولاعتقادهم أنّه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم؛ لقلّة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، وبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر [...] وقيل رأوه على زي فرعون: عليه ثياب الحرير، جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج، فما خطر ببالهم أنّه

<sup>1</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 319.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

هو".<sup>(1)</sup> فكل هذه المعاني المبينة من خلال التأويل والتفسير اتصل بعضها ببعض في شكل بنية دلالية منسجمة، ومن هذا يكمن دور التأويل في إظهار انسجام النص وتلاحم عناصره في تلك العلاقات الموجودة بين مختلف المعاني، وفي الكيفية التي ترتب وفقها هذه المعاني لتشكل صورة الوجه المقابل لسطح النص الظاهر وما تعلق به من اتساق خاص بارتباط عناصره اللفظية بعضها ببعض.

كما يمكن التمثيل لمواطن التأويل أيضا بقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ<sup>ط</sup> إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:78]؛ حيث ذكر يف تفسيرها أنهم "استعطفوا يوسف، إذ كان قد أخذ عليهم الميثاق، ومعنى (كبيراً) في السنّ، أو القدر وكانوا قد أعلموا يوسف بأنه كان له ابن قد هلك، وهذا شقيقه يستأنس به، وخاطبوه بالعزير، إذ كان في تلك الخطبة بعزل قطفير، أو موته على ما سبق، ومعنى (مكانه) أي: بدله على جهة الاسترهان، أو الاستعباد [...] وقال ابن عطية: يحتمل قولهم أن يكون مجازاً، وهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حر بسارق بدل من قد أحكمت السنة رقه، وإنما هذا كمن يقول لمن يكره فعله: اقتلني ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تريد أن يقتلك، ولكنك تبالغ في استنزاله".<sup>(2)</sup> فبفضل التأويل السليم، والتفسير المعتمد على مختلف القرائن والملابسات يمكن أن يصل المتدبر في نص الآية إلى حقيقة العلاقة الجامعة بين مختلف المعاني الواردة فيها، وإلى التعرّف على طبيعة هذه المعاني وعلاقتها بالمعاني السابقة لها التي تجتمع معها عن طريق وحدة النص الواحد (سورة يوسف)، أو عن طريق وحدة النصّ الشامل لنصّ السورة (القرآن الكريم)، وباجتماع كل

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 301.

<sup>2</sup> - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 330.

هذه المعاني، واتصالها بعضها ببعض يوحي إلى ذلك الانسجام التام والتلاحم الكامل بين مختلف عناصر المعنى، سواء كانت جزئية أو كلية.

### 4-3- المعرفة الخلفية (معرفة العالم):

تتمثل هذه الآلية في الإلمام بكَمِّ هائل من المعلومات أو المعارف التي جمعها القارئ أو المؤول من قبل، وهذه المعلومات لا يمكن الاستغناء عنها كونها تعتبر من الحلقات الأساسية التي تقوم عليها عملية تأويل النصوص وفهمها، فالنص القرآني مثلا يرتكز القارئ أو المفسر في قراءته أو تفسيره على كل المعلومات الخارجية التي تؤدي به إلى فهم مضمونه وتأويل معانيه تأويلا سليما لا يخرج عن سياق انسجامه وتلاحم عناصره في مستوى بنية المعاني أو مستوى البنية الدلالية للنص، فقارئ أو مفسر نص سورة يوسف يجب أن يكون مطلعاً على كل النصوص القرآنية الأخرى (سور القرآن الكريم)، وما جاء في نصوص آياتها من أحكام وقواعد فقهية أصولية أو اجتماعية تربوية، وأن يكون مطلعاً أيضاً على كل التفسيرات السابقة التي اعتمدت هي الأخرى على مختلف الظروف المحيطة بالنص القرآني في تفسيره وتأويل معانيه.

كما يجب على قارئ نص سورة يوسف أو مفسرها أن يكون عارفاً متمكناً من فهم كل نصوص الأحاديث النبوية الشريفة التي لها علاقة بنص سورة يوسف بطريقة أو بأخرى؛ أي ربّما يكون نص الحديث له علاقة بقصة يوسف وما ورد فيها من أحداث، أو له علاقة بمعنى آية من آيات هذه السورة، كما يجب على القارئ أن يكون ملماً بكل الأشعار العربية التي يمكن الاستشهاد بها في مختلف التأويلات النحوية والمعجمية الخاصة بالجانب التركيبي لنص سورة يوسف، والمعرفة الدقيقة والإلمام الشامل بكل المسائل النحوية التي كانت محل خلاف، وموطن اجتهاد النحاة المنتمين إلى مختلف مدارس النحو العربية.

وبالرجوع إلى نصّ سورة يوسف نجد أنّ معظم التفسيرات اعتمدت على ما ذكرناه سابقاً من معرفة بالتّصوّص الأخرى، لكننا في هذا المقام لم نعتد كل التفسيرات وإنما اعتمدنا على تفسيريْن اثنين وهما: تفسير الزمخشري (الكشاف)، وتفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير)، وذلك لعدم سعة المجال لإيراد أكثر من ذلك، وحاولنا أن نختار أمثلة من التفسيرين تخص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي، والتي فصلناها كما يلي:

**4-3-1- القرآن الكريم:** أي إنّ المفسّر يعتمد في تأويله لنصّ آية من آيات سورة يوسف على نصّ آية واردة في سورة أخرى من سور القرآن الكريم، وهذا ما يظهر في تفسير "الزمخشري" لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:24]، حيث قال: "الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم [...] وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ معناه: بعض عبادنا، أي: هو مخلص من جملة المخلصين، أو هو ناشئ منهم؛ لأنّه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص:46]"<sup>(1)</sup>، فـ "الزمخشري" استند في تأويله للمعاني الواردة في هذه الآية على نصّ ورد في سورة (ص)، وهذا ما جعل هذا التّأويل غير مبني على العقل وظاهر النصّ فحسب، بل مبني على ما ورد في النصّ القرآني من إشارات ودلائل تتصل بالنصّ المفسّر، وبهذا الفعل يكون النصّ مرتبطاً في معناه مع معاني النصوص الأخرى التي ترتبط به إما عن طريق طبيعة الألفاظ المشكّلة لجانبه التركيبي، وإما عن طريق المعاني التي تحملها هذه الألفاظ.

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 270.

كما نجد أن "الزمخشري" في موضع آخر من تفسيره - على سبيل المثال - قد استشهد في تفسير لقوله تعالى: ﴿يَصْصِحِي السِّجْنَ﴾ [يوسف: 39] بنص آية واردة في موضع آخر من القرآن الكريم، إذ قال: "يريد: يا صاحبي في السجن، فأضافهما إلى السجن كما تقول: يا سارق الليلة، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب؛ وإنما المصحوب غيره وهو يوسف - عليه السلام - [...] ويجوز أن يريد يا ساكني السجن؛ كقوله: ﴿أَصْحَبَ النَّارِ وَأَصْحَبَ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: 20]"<sup>(1)</sup>، فتأويل معنى الآية السابقة كان بالرجوع إلى مختلف الاستعمالات اللغوية الممكنة التي تقارب الاستعمال اللغوي الوارد في نص الآية، لكن النظر في طبيعة السياق اللغوي وما يشابهه من استعمالات مماثلة غير كاف للتأكد من صحة التأويل، بل الذي يؤكد ذلك هو الرجوع إلى أصل المعنى الوارد في نص آية أخرى، وبهذا يكون المعنى قد تشكّل عن طريق ارتباطه بشبكة المعاني الكلية التي تضم معاني كل آي القرآن الكريم.

أمّا "محمد الطاهر بن عاشور" فقد أورد في تفسيره لنصّ سورة يوسف في مواضع كثيرة اعتماده أيضا على نصوص قرآنية أخرى، وارتكز على معانيها في إظهار مختلف المعاني وتأويلها، نذكر منها ذلك الذي ورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: 46]، حيث قال: "الصدّيق أصله صفة مبالغة مشتقة من الصدق، كما تقدّم عند قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ في سورة العنكبوت، وأغلب استعمال وصف الصدّيق استعمال اللقب الجامع لمعاني الكمال واستقامة السلوك في طاعة الله تعالى، لأنّ

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ج3، ص 284.

تلك المعاني لا تجتمع إلا لمن قوي صدقه في الوفاء بعهد الدين.<sup>(1)</sup> ف "الطاهر بن عاشور" اعتمد في تأويل معنى هذه الآية بالعودة إلى المعاني التي تشترك معه في اللفظ والدلالة؛ حيث استشهد بقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة:75]، كون أن هذه الآية حملت لفظ (صدّيقة) الذي اشتركت فيه مع اللفظ الوارد في نصّ الآية المفسّرة (صدّيق)، وبهذا يكون التأويل قد حدث عن طريق البحث في شبكة المعاني المتصلة للنصّ القرآني ككل.

كما نجد أنّ "الطاهر بن عاشور" قد استشهد في أكثر من موضع أيضا بنصوص آيات قرآنية في تأويل وتفسير نصّ سورة يوسف، نذكر منها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَتَأْتِيََنَّ بِهِ﴾ [يوسف:66]، حيث قال: "هو حكاية لقول يقوله أبناؤه المطلوب منهم إيقاعه حكاية بالمعنى على طريقة حكاية الأقوال لأنهم لو نطقوا بالقسم لقالوا: لنأتينك به، فلما حكاه هو ركب الحكاية بالجملة التي هي كلامهم، والضمائر المناسبة لكلامه بخطابهم إياهم. ومن هذا النوع قوله تعالى حكاية عن عيسى - عليه السلام - : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:117]، وإن أمره الله: قل لهم أن يعبدوا ربك وربهم.<sup>(2)</sup> حيث نلاحظ من خلال ما سبق أن تفسير معنى وتأويل مضمونها كان أكثر دقة بربط معناها بمعنى آية وردت في نصّ سورة أخرى، وسبب ذلك هو التأكيد صحة التأويل وسلامته من خلال إبراز العلاقة الموجودة بين مختلف عناصر المعنى المكوّنة للنصّ القرآني.

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 284.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج13، ص 19.

4-3-2- الحديث النبوي الشريف: وهو كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - صحيح

السند والرواية؛ أي إن المفسر يعتمد في تفسيره وتأويله للنص القرآني على ما ثبت من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم، حيث نجد "الزمخشري" مثلاً يعود في تفسيره لسورة يوسف في عدة مواضع إلى أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - لتكون دليلاً قاطعاً على صحة تأويله للمعاني وإظهارها، ومن بين هذه المواضع ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:04]، حيث قال: "فإن قلت ما أسماء تلك الكواكب؟

قلت: روى جابر أن يهودياً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف، فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فنزل جبريل فأخبره بذلك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لليهودي: «إن أخبرتك هل تسلم؟» قال: نعم، قال: «جريان، والطارق، والذئال، وقابس، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، والفرغ، ووثبان، وذو الكتفين، رآهن يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له». فقال اليهودي: إي والله، إنها لأسمائها. (1) وقيل: الشمس والقمر أبواه، وقيل: أبوه وخالته، والكواكب: إخوته. (2) فهذا التأويل للمعاني الواردة في الآية السابقة كان بالاستناد على ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأن أسماء الكواكب، وتأويل معانيها بالمطابقة بينها وبين المحيط الاجتماعي ليوسف - عليه السلام

<sup>1</sup> - أخرجه الحاكم (396/4) من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن عبد الرحمان بن سابط عن جابر بن عبد الله به. وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، وأخرجه العقيلي (259/1)، وابن جبان في «المجروحين» (250/1، 251)، والبخاري وأبو يعلى والبيهقي في «الدلائل»، وكذا أبو نعيم؛ كما في «تخريج الكشاف» (160/2)، من طريق الحكم بن ظهير الفزاري عن السدي بالإسناد السابق.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 253/254.

-، وبهذا يكون تأويل معاني النَّصِّ مستندا على سند صحيح يغني عن أي تأويل آخر استند على حجة أخرى، كون أنّ نصّ الحديث يغلق كل أبواب التأويل المخالفة.

كما نجد أنّ "الزمخشري" قد اعتمد في تأويله للنصّ القرآني على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع أخرى نذكر منها موضع تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف:26]، حيث قال: "قيل: كان ابن عمّ لها؛ إنّما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها؛ ليكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب، وقيل: كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره، ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار، فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق، وقيل: كان ابن خال لها صبيا في المهد، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ابن مَاشِطَةَ فِرْعَوْنَ، وشَاهِدُ يُوسُفَ، وصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى»<sup>(1)</sup>، فإن قلت: لم سمي قوله شهادة، وما هو بلفظ الشهادة؟

قلت: لما لما أدى مؤدي الشهادة في أن ثبت به قول يوسف، وبطل قولها سمي شهادة.<sup>(2)</sup> حيث نلاحظ أنّ "الزمخشري" قد ذكر كل التأويلات الممكنة التي يمكن أن ترتبط بلفظ (شاهد)، إلا أنّه تبت على التأويل القائل أنّ (الشاهد) هو صبي في المهد أنطقه الله تعالى ليكون حجة ودليلا على صدق يوسف - عليه السلام -، وذلك لما روي من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - إثباتا لذلك، وحجة قاطعة على أنّه التأويل الصحيح، والفهم السليم، ومن خلال هذا تكون المعاني الواردة في الآية متصل تأويلها وفهمها فهما صحيحا بنصّ آخر خارج عن نصّها، وهذا ما يوجب على المؤول الدراية به، والعلم بمضمونه وسنده.

<sup>1</sup> - أخرجه الحاكم (496/2، 497)، وأحمد (310/1)، والبخاري (37/1، 38) رقم (54)، والبيهقي (389/2)، والطبري (191/7) رقم (19109)، وذكره السيوطي في الدرر المنتور (26/4) عن ابن عباس.

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، 272/273.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

وقد أورد "الزمخشري" في موضع آخر من تفسيره لسورة يوسف المزوجة بين الاستشهاد بالنص القرآني ونص الحديث الشريف، وظهر ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:42]، إذ قال: "لم أنكر على يوسف الاستغاثة بغير الله في كشف ما كان فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:02]، وقال حكاية عن عيسى - عليه السلام -: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:52].

وفي الحديث: «الله في عون العبد ما دام في عون أخيه المسلم»<sup>(1)</sup>، «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ الآخِرَةِ»، وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله لم يأخذه النوم ليلة من الليالي، وكان يطلب من يحرسه، حتى جاء سعد فسمعت غطيته<sup>(2)</sup>، وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية، والتقوي بالأشربة والأطعمة.<sup>(3)</sup> فالاستشهاد بنص القرآن الكريم، ونص الحديث الشريف أغلق باب الشك في صحة التأويل وسلامته، كما أن التدرج في الاستشهاد زاد من قوة التأويل ودقته في إظهار المعاني وتبينها.

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم (2074/4) كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث (2699/38)، والترمذي (26/4) كتاب الحدود: باب ما جاء في الستر على المسلم، حديث (1425)، (287/4، 288)، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في الستر على المسلم، حديث (1930)، وأبو داود (704/2)، كتاب الأدب: باب في المعونة للمسلم، حديث (4946)، وابن ماجه (82/1) المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث (225)، وأحمد (202/2)، وأبو نعيم في الحلية (119/8)، والبخاري (شرح السنة) (221/1)، كلهم عن طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.

<sup>2</sup> - أخرجه البخاري (232/13) كتاب التمني، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «ليت كذا وكذا»، ومسلم (195/8)، والنووي كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد رقم (2410)، والحاكم (501/3).

<sup>3</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 288/287.



أما "الظاهر بن عاشور" فقد اعتمد تأويله وتفسيره لسورة يوسف أيضا على نصوص الأحاديث النبوية الشريفة في مواضع كثيرة ومتعددة، نذكر منها ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]، إذ قال: "ووصف (جميل) يحتمل أن يكون وصفا كاشفا إذ الصبر كله حسن دون جزع [...] وفي الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرّ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: اتقي الله واصبري، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفها - فلما انصرف مرّ بها رجل، فقال لها: إنّه النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنت باب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: لم أعرفك يا رسول الله، فقال: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»<sup>(1)</sup>، أي الصبر الكامل<sup>(2)</sup>، فهذا التأويل المعتمد على حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - أظهر المعاني في صورة التكامل والالتحام والانسجام بين ما ورد في نص الآية الكريمة ونص الحديث النبوي الشريف.

**3-3-4- الشعر العربي:** وهو كلام العرب الموزون المقفى الذي صدر عن شعراء يحتجّ بكلامهم، ويأخذ عن لغتهم، ويشهد لهم بالفصاحة وسلامة اللغة، فالمفسّر يستشهد بهذا الشعر للاستدلال على ظاهرة لغوية تخص سياق الاستعمال، وما يرتبط به من المعاني والدلالات، وهذا ما يظهر جليا في تفسير "الزمخشري" لنص سورة يوسف؛ حيث إنه استشهد بالشعر العربي في مواضع كثيرة نذكر منها ما أورده في تفسيره لقوله تعالى:

<sup>1</sup> - رواه البخاري (430/1) في باب زيارة القبور، حديث (1223)، وفي باب الصبر عند الصدمة الأولى، حديث (1240)، ورواه مسلم (637/2) في باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، حديث (926)، والترمذي (313/3، 314)، باب ما جاء أنّ الصبر عند الصدمة الأولى، حديث (987)، والنسائي (22/4)، باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة، حديث (1596)، والبيهقي (65/4) باب الرّغبة في أن يتعزى بما أمر الله تعالى به من الصبر والاسترجاع، حديث (6919)، وأبو داود (198/3) باب الصبر عند الصدمة، حديث (3124).

<sup>2</sup> - الظاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 240/239.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ<sup>ط</sup> وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف:24]، إذ قال: "همَّ

بالأمر: إذا قصده وعزم عليه؛ قال [من الطويل]:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَاثِلُهُ<sup>(1)</sup>

ومنه قولك: لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما، أي: لا أكاد أن أفعله كيدا، ولا أهم بفعله هما: حكاة سيبويه، ومنه: الهمام: وهو الذي همَّ بأمر أمضاه ولم ينكل عنه.<sup>(2)</sup> حيث استدلَّ هنا "الزمخشري" على صحة المعنى اللغوي لكلمة "همَّ" ببيت شعر لشاعر يحتجّ بشعره، ويأخذ عن لغته، وحاول بذلك أن يربط بين معنيين من خلال استعمال كلٍّ منهما في سياقه، وأكد بذلك أنّ تأويله لم يكن تأويلا عقليا بعيدا عن أصل الاستعمال، وإنما كان تأويلا مرتكزا على أصل ما تعارف العرب عليه.

ونجد أن "الزمخشري" قد استشهد بالشعر العربي أيضا في موضع آخر من مواضع تفسيره لسورة يوسف، وذلك حين فسّر قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ [يوسف:43]، حيث قال: وحقيقة (عبرت الرؤيا): ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر، إذا قطعتة حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره؛ ونحوه: أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها [...]. وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الأعراب<sup>(3)</sup> [من السريع]:

<sup>1</sup> - البيت لعمير بن ضابئ البرجمي، ينظر حماسة البحري ص11، خزانة الأدب (323/9)، الشعر والشعراء (358/1).

<sup>2</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 269/268.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص 290.

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِلْأَحْلَامِ عَبَّارًا<sup>(1)</sup>

من هذا ندرك أنّ تأويل المعاني تأويلا سليما يقتضي الإمام بكل الجوانب المؤدية إليه، من معرفة بطبيعة الاستعمال في مختلف النصوص، ثم ربط هذه المعاني بالمعنى الوارد في نص الآية، ومن قدرة أيضا على التمييز بين مختلف الاستعمالات وطبيعة علاقتها بالاستعمال اللغوي الوارد في نص الآية المقصود تفسيرها وتأويل معناها.

### 4-4- موضوع النص (سورة يوسف):

يمثل النص عبارة عن متتالية من الجمل المرتبط بعضها ببعض في شكل واحد متلاحم، وهذا الارتباط يكون متعلقا بالبنية التركيبية فيحدث عن طريق تضافر أدوات الاتساق المختلفة، ويكون متعلقا بمستوى البنية الدلالية فيحدث عن طريق ربط معنى كل جملة بالمعنى العام، أو البنية الدلالية الكبرى للنص، ويكون ذلك من أجل خدمة الموضوع العام، أو البنية الموضوعية للنص؛ حيث يمكن أن "يختزل موضوع النص وينتظم ويصنف الاختيار الدلالي للمتتاليات ككل".<sup>(2)</sup> وموضوع النص هو الجامع الدلالي الذي يضم كل المعاني والدلالات الواردة في النص، فمن خلاله يمكن للقارئ/ المتلقي أن يدرك أهم المحاور التي قام النص من أجل توضيحها والتفصيل في مضامينها.

وموضوع النص لا يمكن التعرف عليه إلا بالنظر إلى جملة من الإشارات المعانية، والمفاتيح الشكلية المتعلقة بالبنية وسطحه الظاهر؛ حيث إنّنا لو عدنا إلى سورة

<sup>1</sup> - أنشده المبرد في كتابه، والرؤيا بالألف: مصدر رأى المنامة ويقال مجيئه بالتاء، ومصدر البصرية بالعكس، وعبرت الرؤيا بالتخفيف والتضعيف كما هنا: تكررت عاقبتها وأدركت غايتها كأولتها. إذا تكررت مألها ومرجعها . ينظر البيت في روح المعاني 250 / 12، والبحر 311/5، و التاج (عبر)، والدر المصون 187/4. (ينظر هذا الهامش في هامش الكشف للزمخشري، ص 290).

<sup>2</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 128.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

يوسف لوجدنا أنّ اسمها يرشدنا إلى أنّ مضمونها وفحواها والمحور الأساسي فيها هو ذكر أحداث قصة يوسف - عليه السلام - منذ نشأته إلى أن صار عزيز مصر والقائم على شؤونها؛ حيث "تمتاز سورة يوسف بأنها تناولت قصته كاملة من أولها إلى نهايتها، حيث شرحت أمره مع أبيه ومع إخوته في صغره وشبابه، وكهولته في فقره وغناه، وبيّنت كيف تأمر عليه إخوته حتى ألقوه في غيابة الجب، وكيف التقطه بعض المسافرين وباعوه بثمن بخص دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين، وأنه تربى في بيت عزيز مصر، ونشأ في نشأة عبد مملوك، وأنّ جماله في شبابه أغرى زوجته فراودته عن نفسه فاستعصم، فكادت له عنده، ودفع به كيدها إلى السجن الذي عاش فيه بضع سنين." (1) كما أنّ سورة يوسف أظهرت حال يوسف - عليه السلام - في السجن وقدرته على تأويل الرؤيا، وما وقع للرجلين اللذين أول لهما ما رأياه في المنام؛ حيث إن أحدهما صلب، والثاني عفي عنه وأصبح ساقيا لملك مصر، وبيّنت السورة أيضا عجز الكهنة على تأويل الرؤيا التي رآها الملك، وإخبار الساقى للملك بمكانة يوسف - عليه السلام - في تعبير الرؤيا وتأويلها فاستدعاه فعبّرها تعبيراً عرف منه الملك منزلته من العلم وجعله على خزائن الأرض أمينا لها، ثم بيّنت القحط الذي أصاب الناس، وكيف كان ذلك سببا في لقائه بإخوته وأبويه. (2) كما أنّ السورة بيّنت كيف تحققت الرؤيا التي رآها يوسف - عليه السلام - في منامه في صغره، من رفع أبويه على العرش وسجود إخوته له.

والمتأمل المتدبر في نصّ سورة يوسف يدرك أنّها سورة تبدأ بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾

تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

[يوسف: 2/1]، وتنتهي بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا

1- لجنة من العلماء، التفسير المحيط، مج4، ص 273.

2- ينظر المرجع نفسه، ص ن.

كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿يوسف:111﴾؛ حيث لو تأملنا هذه البداية والنهاية لأدركنا أنها  
سورة فيها دليل على أنّ منزل هذا القرآن هو الله، وأنّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون مكذوبا  
على الله تعالى، وأنّ ذكر قصة يوسف - عليه السلام - على مثل هذا البيان والتفصيل  
والكمال والعظمة والصدق والبلاغة في اللفظ والأسلوب، والعرض بما يصدق ما في الكتب  
السماوية السابقة، وكل ذلك دليل على أنّ مثل هذا الكمال لا يصدر إلا عن المحيط بكل  
شيء علما، وهو الله جل شأنه.<sup>(1)</sup> فالمحاور التي قامت عليها سورة يوسف تؤكد أنها سورة  
تفردت بذكر قصة يوسف - عليه السلام -، فكلّ محور من محاورها يسهم في إظهار  
البنية الدلالية في صورة كامل التلاحم وتام الانسجام، وكلّ محور من هذه المحاور  
يتصل ببقية المحاور اتصالا دلاليا يؤدي إلى اكتمال البنية الموضوعية للنصّ الشامل  
لها.

### 4-5- التغيريـض:

يعدّ التغيريـض آلية من آليات الانسجام النصي التي لها دور كبير في تأويل معاني  
النصّ وفهم مضمونه العام، وتقوم هذه الآلية على مجموعة من الطرق والإجراءات التي  
من شأنها تحديد أجزاء النصّ الدلالية وما يرتبط بها من أجزاء ثانوية، ومن هذه  
الإجراءات العنوان؛ حيث نجد أنّ معظم النصوص يلخص مضمونها في عنوان يكون  
بمثابة الدليل الجامع لكلّ الدلالات الواردة فيها، كما نجد أنّ أغلب النصوص أيضا تقوم  
في مستوى بنيتها على جمل أساس تتحكم في الطبيعة الدلالية للجمل المتصلة بها، والتي  
ترتبط بها ارتباط ترتيبي يتوافق وترتيب المعاني المحمولة فيها، كما نجد أنّ لتكرار اسم

<sup>1</sup> - ينظر: سعيد حوى، الأساس في التفسير، مج5، ص 219/218.

شخص بعينه أو بالإحالة عليه دورا في تحقيق آلية التغميض في مختلف النصوص والخطابات. سنفصل في هذه الآليات كما يلي:

**4-5-1- العنوان:** حيث إنّ للتغميض علاقة وطيدة بالعنوان المرتبط بموضوع النص ومضمونه، فالعنوان له تأثير كبير في تأويل النص الذي يليه<sup>(1)</sup>، وتتجلى العلاقة بين العنوان وتأويل مضمون النص في كون أنّ العنوان هو "أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع النص/الخطاب"<sup>(2)</sup>، وبالنظر إلى طبيعة مدونة بحثنا هذا فإنّ العنوان فيها يتمثل في تسمية السورة (سورة يوسف)؛ حيث إنّ مضمونها يمكن أن يفهم من خلال اسمها، فالمتأمل لاسمها يدرك أنّها سورة ضمت أحداث قصة يوسف، "فقد ذكر ابن حجر في كتابه الإصابة أنّ أبا رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف؛ يعني بعد أن بايع النبي-صلى الله عليه وسلّم- يوم العقبة، ووجه تسميتها ظاهر لأنّها قصّت قصة يوسف -عليه السلام- كلّها ولم تذكر في غيرها"<sup>(3)</sup>؛ أي إنّ القارئ قبل قراءته لنص هذه السورة يحال من خلال اسمها إلى فهم أنّها سورة ضمت أحداث قصة يوسف - عليه السلام -، وهذا ما يوحي إلى أنّ للعنوان دورا كبيرا في تحديد المعاني وتحقيق الانسجام بينها في إطار البنية الدلالية الكبرى للنص. إذا فالعنوان هو الباب الذي يلج من خلاله القراء إلى المضمون العام الذي يهدف النص إلى توضيحه وتبيانه من خلال جملة وعباراته، وهذا ما يجعلنا نستنتج أيضا أنّ الكاتب إذا لم يوفّق في اختيار العنوان المناسب لمضمون نصه فإنّه لن يوفّق أيضا في بناء نص متكامل يتناسب وتطلعات القارئ التي استمدّها من العنوان، وهذا ما ينعكس سلبا على انسجام المعاني والدلالات الواردة في النص.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص 59.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 60.

<sup>3</sup> - نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج3، ص 503.

4-5-2- الجملة الأولى: حيث إنّ الجملة الأولى في النص لها دور كبير في تحديد معاني الجمل اللاحقة لها؛ لأنّ "الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تقيّد فقط تأويل الفقرة، وإنما بقية النصّ أيضاً، بمعنى أنّنا نفترض أنّ كل جملة تشكّل جزءاً من توجّه متدرج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم"<sup>(1)</sup>، وتحديد معنى هذه الجملة يعني تحديد كل المعاني المتصلة بها عن طريق الجمل اللاحقة لها، ومثال ذلك من سورة يوسف قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِينَ﴾ [يوسف: 03]، فمعنى "نقصّ" نخبر الأخبار السالفة، وهو منقول من قصّ الأثر، إذا تتبّع مواقع الأقدام ليتعرّف منتهى سير صاحبها. ومصدر القصّ بالإدغام، والقصص بالفك، قال تعالى: ﴿فَأَرْتَدَّ إِلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: 64]، وذلك أنّ حكاية أخبار الماضين تشبه إتباع خطاهم [...] وجعل هذا القصص أحسن القصص لأنّ بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح له النفوس، وقصص القرآن الكريم أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه، وبما يتضمّنه من العبر والحكم، فكلّ قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه، وكل قصّة في القرآن هي أحسن من كلّ ما يقصّه القاص في غير القرآن.<sup>(2)</sup> والمقصود هنا بالقصص قصّة يوسف عليه السلام، فكل الآيات التي جاءت بعد هذه الآية ترتبط بها كونها تروي أحداث قصّة يوسف - عليه السلام -، وهي بذلك إجمال تفصيله ما جاء بعدها من جمل ضمنتها آيات سورة يوسف، وأنّ الارتباط بين هذه الآيات واتصال عناصرها الدلالية بعضها ببعض أدى إلى ذلك الانسجام التام والتلاحم الكامل في مستوى البنية الدلالية الشاملة لنص سورة يوسف.

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 59.

<sup>2</sup> - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 204/203.

**4-5-3- تكرار الاسم:** وهو أن يكون النص قائماً في بنيته الدلالية وتركيب معانيه على اسم شخص معيّن، فيتكرر هذا الاسم في النصّ خدمة لبنيته التركيبية السطحية، وخدمة لبنيته الدلالية فيساهم هذا التكرار في تحقيق انسجام معاني النصّ وتلاحم عناصرها، ويكون التكرار بـ "تكرار اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، واستعمال جزء من اسمه، واستعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه، أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية معيّنة." (1) فلو عدنا إلى نصّ سورة يوسف لوجدنا أنّ اسم يوسف - عليه السلام - قد تكرر مرات عديدة، وهذا يدل على أنّه محور من محاورها الأساسية التي تقوم عليها معاني البنية الموضوعية لهذه السورة، كما ندرك من خلال هذا التأمل في نصّها أنّ هذا الاسم لم يتكرر بلفظه فحسب، بل تكرر في مواضع أخرى عن طريق الإحالة إليه بالضمير أيضاً، ومثال ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف:09]؛ حيث يظهر في هذه الآية أنّ في بدايتها ذكر اسم (يوسف)، ثم غرّض لهذا الاسم بالضمير المتصل بلفظتي: (اطرحوه، بعده)؛ فضمير الهاء المتصل باللفظتين حل محل الاسم الظاهر (يوسف)، وبهذا يكون قد تحقق التغييض في نصّ سورة يوسف عن طريق الاسم المكرر بلفظه، وعن طريق ما أحال عليه من الضمائر المختلفة. أما تكرار اسم يوسف في نصّ سورة يوسف فيمكن إظهاره في الجدول الآتي:

الآية	رقمها	التكرار	فائدة التكرار
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾	04	01	ساهم تكرار اسم (يوسف) في
﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ﴾	07	01	نصّ سورة يوسف في إظهار

<sup>1</sup> - محمد خطابي، لسانيات النص، ص 59.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

<p>تماسك البنيتين التركيبية والدلالية. أما في مستوى البنية التركيبية فقد أدى تكرره إلى تعلق عناصرها بعضها ببعض من خلال اشتراكها في عنصر واحد وهو اسم يوسف. أما في مستوى البنية الدلالية فقد ربط بين مختلف المعاني بالنظر إلى أنّ هذا الاسم يعدّ محورا رئيسا وعنصرا فاعلا في اكتمال شبكة المعاني المحمولة في النص.</p>	01	08	﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾
	01	09	﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾
	01	10	﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾
	01	11	﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾
	01	17	﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا﴾
	01	21	﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾
	01	29	﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا﴾
	01	46	﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾
	01	51	﴿إِذْ رَاوَدْتَن يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾
	01	56	﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾
	01	58	﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾
	01	69	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾
	01	76	﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾
	01	77	﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾
01	80	﴿فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾	
01	84	﴿وَقَالَ يَا سَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾	
01	85	﴿تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾	
01	87	﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾	

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

	01	89	﴿مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾
	02	90	﴿قَالُوا أَأَنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾
	01	94	﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾
	01	99	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾
	25	/	المجموع

### الجدول رقم: 15

### التعليق:

نلاحظ من خلال تأمل الجدول السابق أنّ التغميض بتكرار الاسم (اسم يوسف) قد ساهم في انسجام نصّ سورة يوسف انسجاماً تاماً، فاسم يوسف عبّر عن الشخصية الرئيسية التي ارتبطت بها كل أحداث القصة من بدايتها إلى نهايتها، ذلك ما انعكس على ارتباط المعاني وتآلفها، كما أنّ تكرار اسم يوسف (الدال على نبي من أنبياء الله الذين صبروا على المكاره لتبليغ الرسالة الإلهية) له دور مهم في جعل المتلقي للنصّ القرآني يفرّق بين الأحداث التي ارتبطت به وبين الأحداث التي ارتبطت بالشخصيات الأخرى كيعقوب عليه السلام، أو إخوة يوسف، أو الملك وغيرها من الشخصيات، وبهذا تكون المعاني منسجمة، متصل بعضها ببعض في إطار الدلالة الجامعة للنصّ القرآني، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقع المتلقي في اللبس أثناء تفريقه بين الأحداث وتصنيفها حسب الشخصيات. كما نجد أنّ التغميض يحدث في مواضع أخرى دون الحاجة إلى تكرار الاسم، بل يحدث عن طريق الإشارة إلى هذا الاسم بالضمير (متصل أو منفصل أو مستتر)، أو باسم الإشارة، أو عن طريق إشارة غير لفظية تفهم من سياق الكلام، فالمواضع التي وقع فيها تكرار الاسم لا يصلح فيها إلا التكرار والمواضع التي أحيل فيها

إلى هذا الاسم لا يصلح التكرار فيها، وهذا ضرب من أضرب الإعجاز القرآني الذي تختص به نصوص القرآن الكريم عامة.

### 4-6- العلاقات الدلالية:

هي عبارة عن مجموعة من العلاقات الداخلية في النص تعمل على الجمع بين أطرافه وأجزائه، كما أنها عبارة عن وسيلة نصية تجمع بين متتاليات الجمل المكونة للنص، فإذا عدنا إلى نص سورة يوسف نجد أنه ضم مجموعة من العلاقات الدلالية التي يمكن التفصيل فيها كما يلي:

#### 4-6-1- علاقة الإجمال والتفصيل:

وهي إحدى العلاقات الدلالية التي تعمل على ربط مقاطع النص ببعضها ببعض، حيث يظهر في بداية النص إجمال للمعاني والدلالات، ثم يظهر في مقاطع النص اللاحقة تفصيل لهذه المعاني المجملة حسب ما يقتضيه المقام وما يحتاجه الإجمال من تفصيل، حيث تظهر هذه العلاقة في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ لَّا تَقْضُصَ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٥﴾ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالٍ يَعْقُوبُ كَمَا أَنَّمَا عَلَيَّ أَبُوَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ إِنِّي بِرَهِيمٍ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿يوسف: 6/4﴾، ففي هذه الآيات إجمال تفصيله ما ورد في آيات أخرى لاحقة لها. أما الآية الأولى (رقم 04) فتفصيلها ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا

عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويِهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٢٦﴾ وَرَفَعَ أَبُويِهِ  
عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۗ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي  
حَقًّا ۗ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَزَّغَ  
الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۗ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٧﴾

[يوسف:100/99]، قال "الزمخشري" في تفسير هذا النص: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى  
يُوسُفَ﴾ قيل: وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهزوا إليه بمن معه، وخرج  
يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، فتلقوا يعقوب  
وهو يمشي يتوكأ على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا، أهذا فرعون مصر؟  
قال: لا، هذا ولدك، فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام: عليك السلام يا مذهب الأحزان  
[...]. ﴿وَحَرُّوا لَهُرُ﴾ يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين ﴿سُجَّدًا﴾ يجوز أن يكون قد خرج  
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال، فامر أن يرفع إليه أبواه، فدخلا عليه  
القبة، فأواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه، وقال بعد ذلك ادخلوا مصر. <sup>(1)</sup> فبالتدبير  
والتأمل في النص القرآني السابق (الآيتان: 99 و100) ندرك أنه تفصيل لما ورد في  
الآية (04)، حيث ظهر فيه الشأن العظيم الذي خص به الله سبحانه وتعالى نبيه يوسف  
- عليه السلام - من ملك وحسن تدبير ودعوة الناس إلى دين الحق، وبهذا ارتبط أول  
النص بآخره ارتباطا دلاليا ساهم في انسجام عناصره وتلاحم أجزائه.

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 325.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

أما الآية الثانية من نص الإجمال (الآية رقم 05)، فتفصيلها ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي غِيبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف: 8/10]، ففي هذه الآيات تفصيل لكيد الإخوة الذي حذر منه يعقوب ابنه يوسف - عليهما السلام -، فهؤلاء الإخوة "لم يكن فيهم من يشك أن يوسف - عليه السلام - وأخاه أحب إلى أبيهم من بقيتهم ولكنهم لم يكونوا سواء في الحسد لهما والغيرة من تفضيل أبيهم إياهما على بقيتهم، فأراد بعضهم إقناع بعض بذلك ليتمالؤوا على الكيد ليوسف - عليه السلام - وأخيه." (1) فأقنعوا يعقوب عليه السلام بجعلهم يصطحبون يوسف - عليه السلام - ليكيدوا له الكيد الذي حذر منه وقت علمه بالرؤيا التي رآها، فكانت الآيات التي ذكرت كيفية تأمر الإخوة على يوسف عليه السلام تفصيل للآية التي حملت تحذير يعقوب عليه السلام لابنه، حيث ارتبطت آية الإجمال بآيات التفصيل ارتباطا دلاليا ساهم في تحقيق الانسجام التام الظاهر في نص سورة يوسف.

أما الآية الثالثة من آيات الإجمال (الآية رقم 06)، فتفصيلها ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [يوسف: 37]، قال "القرطبي" في تفسيره لهذه الآية: "إن يوسف كره أن يعبر

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص 220.

لهما ما سألاه؛ لما علمه من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما، وأخذ في غيره فقال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ في النوم ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا﴾ بتفسيره في اليقظة؛ قاله السدي. فقالا له: هذا من فعل العرفين والكهنة، فقال لهما يوسف عليه السلام: ما أنا بكاهن، وإنما ذلك مما علمني ربي، إني لا أخبركما به تكهنا وتتجيمان، بل هو وحي من الله عز وجل.<sup>(1)</sup> فالإجمال الوارد في الآية السادسة: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُؤُكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تفصيله ما ورد في الآية السابعة والثلاثين (37)، من إخبار الرجلان بحالهما في النوم واليقظة، وبهذا يكون الرابط الجامع بين الآيتين رابط دلالي ساهم في انسجام المعاني الواردة في نص سورة يوسف واتصال عناصرها بعضها ببعض في مستوى البنية الدلالية الجامعة له.

### 4-6-2- علاقة التوضيح:

يقصد بهذه العلاقة وجود جملة أو أكثر في النص مبهمة المعنى، غامضة الدلالة تحتاج إلى جملة تأتي بعدها لتوضح معناها توضيحا تاما، فتنشأ بين الجملتين علاقة توضيحية تساهم في انسجام النص وتآلف عناصره الدلالية، وبالرجوع إلى نص سورة يوسف نجد أن هذه العلاقة ظهرت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِن بَابِ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا

<sup>1</sup> - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص 349.

وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿يوسف: 67/68﴾،  
يقول "محمد الطاهر بن عاشور" في تفسير هذا النص القرآني: "وجملة ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ<sup>ط</sup>  
وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ في موضع البيان لجملة ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ  
مِنْ شَيْءٍ﴾ ليبين لهم أن وصيته بأخذ الأسباب مع التنبيه على الاعتماد على الله هو  
معنى التوكل الذي يضل في فهمه كثير من الناس اقتصارا وإنكارا. لذلك أتى بجملة  
﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أمرا لهم ولغيرهم على معنى أنه واجب الحاضرين  
والغائبين، وأن مقامه لا يختص بالصدّيقين بل هو واجب على كل مؤمن كامل الإيمان لا  
يخطئ إيمانه بأخطاء الجاهليات." (1) فجملة ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ<sup>ط</sup> وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ جاءت موضحة لمعنى جملة ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾  
وبيانا لمعناها الذي يمكن أن يلتبس على المتلقين فهم مضمونه.

كما نجد أن علاقة التوضيح قد ظهرت أيضا بين جملة: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ  
وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ وجملة: ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ  
إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾، قال "الزمخشري" في تفسير هذه الآية: "﴿مَا  
كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾: رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط؛ حيث أصابهم ما ساءهم  
مع تفرقهم، من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك، وأخذ أخيهم بوجودان الصواع في  
رحله، وتضاعف المصيبة على أبيهم ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾: استثناء منقطع: على معنى: ولكن

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 24/23.

حاجة ﴿فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَنَهَا﴾: وهي شفقتة عليهم وإظهارها بما قاله لهم ووصاهم به.<sup>(1)</sup> أي إنَّ الجملة اللاحقة بينت ووضحت السبب الذي جعل يعقوب - عليه السلام - يأمر أبناءه بالدخول من أبواب متفرقة لا من باب واحد كما بدا ظاهرا في الجملة السابقة، وهذا ما أحكم الاتصال الدلالي بين الجملتين وجعل البنية الدلالية للنص تظهر في شكل الانسجام التام الذي يعد من الخصائص الثابتة في النص القرآني عامة، ونص سورة يوسف على وجه الخصوص.

### 4-6-3- علاقة التعليل:

وهي علاقة دلالية تتضمن معنى السؤال والجواب، فكأن الجملة المعللة تحمل في طياتها سؤالا عن العلة والسبب الذي يبرر هذا الكلام، أما الجملة المعللة ففيها معنى الجواب عن السؤال المستنتج من الجملة السابقة لها (الجملة المعللة)، وقد يكون الرابط الجامع بين الجملتين لفظيا أو بيانيا، أما اللفظي فيتمثل في حروف وأدوات مثل: اللام، إنَّ، كي، لعلّ وغيرها من الأدوات، وبالتأمل والتدبر في نص سورة يوسف نجد عدّة مواضع لعلاقة التعليل، منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67]، قال "محمد الطاهر بن عاشور" في تفسير هذه الآية: "وجملة ﴿إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في موضع التعليل لمضمون ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، والحكم: هنا بمعنى التصرف والتقدير، ومعنى الحصر أنّه لا يتم إلا ما أراد الله.<sup>(2)</sup> أي إنَّ الجملة الأولى تتضمن معنى

<sup>1</sup> - الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 306/307.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 23.



## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

عدم قدرة يعقوب - عليه السلام - على ردّ ما قد يسوء أبناءه والعلة في ذلك ما جاء في الجملة الثانية وهو أن الحكم لله سبحانه وتعالى في التصرف والتقدير، فهو الفعّال لما يشاء ويقدر، إذا فالجملة الأولى اتصلت بالجملة الثانية اتصالاً دلالياً تمثل في علاقة رابطة هي علاقة التعليل التي جعلت البنية الدلالية للجملتين تظهر في شكل بنية واحدة منسجمة العناصر والأجزاء.

كما تظهر علاقة التعليل أيضاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف:83]، وتمثل ذلك في أن جملة: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ تعليل لما قبلها من جملة: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ وفي ذلك يقول "محمد الطاهر بن عاشور": "وجملة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ تعليل لرجائه من الله بأنّ الله عليم فلا تخفى عليه مواقعهم المنفرقة، حكيم فهو قادر على إيجاد أسباب جمعهم بعد التفرّق." (1) وهذه العلاقة التي جمعت بين جملتين جمعا دلالياً ساهمت في الانسجام التام الذي يميّز النصّ القرآني.

### 4-6-4- علاقة التدرج:

وهي من العلاقات الدلالية التي تحقق انسجام النصّ وتآلف عناصره الدلالية؛ حيث تعمل على إظهار التدرج الدلالي بين عناصر النصّ وترتيبها وفق ما تقتضيه الدلالة الشاملة للنصّ، وبالرجوع إلى نصّ سورة يوسف نجد أنّ هذه العلاقة قد ظهرت في

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 41.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

مواضع كثيرة من النص بالنظر إلى أنّ هذا النص يمثل في أغلب مواضعه ترتيباً لأحداث قصة يوسف - عليه السلام - والقصة تعتمد في العموم على ترتيب الأحداث ترتيباً زمنياً، فكل حدث يمهد لوقوع حدث لاحق له في الزمن، ويمكننا التمثيل لهذا التدرج بقوله تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ خَسِيسٍ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَلِكَ نُحْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿يوسف: 19/22﴾، قال "القرطبي" في تفسير هذا النص القرآني: "﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: أي فرقة مارة يسرون من الشام إلى مصر فأخطوا الطريق حتى نزلوا قريباً من الجبّ في قفرة بعيدة من العمران، وكان مأواها ملحاً، فعذب حين ألقى فيه يوسف. ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ فنكر على معنى، ولو قال: فأرسلت واردة لكان على اللفظ، مثل (وجاءت)، والوارد يرد الماء يسقي للقوم." (1) حيث ظهر في الآيات تدرج في الأحداث: قدوم السيارة وتوقفها عند البئر للاستراحة والتزود ببعض الماء، ثم إرسال الوارد إلى البئر وتعلق يوسف - عليه السلام - بالدلو وانبهار الوارد وأفراد القافلة من شدة جمال هذا الغلام، ثم اصطحابه وبيعه في سوق النخاسة لأحد حكام مصر، ثم قيام هذا الحاكم بإهداء هذا الغلام إلى زوجته ليقوم على شؤونها في قصرها. فهذا التدرج ترتيب أحداث قصة يوسف - عليه السلام - انعكس على الجانب الدلالي ليظهر في أكمل

<sup>1</sup> - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص 291.

## الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

---

صور الانسجام وأتم مظاهر الترابط الدلالي الذي يختص به النصّ القرآني دون غيره من النصوص الأخرى.

مما سبق ندرك أنّ الانسجام النصّي قد تحقق في البنية الدلالية لنصّ سورة يوسف عن طريق مجموعة من الأدوات التي ذكرناها وحاولنا أن نبحث عن أمثلة لها من نصّ السورة، وربما هناك أدوات أخرى ساهمت في انسجام هذا النصّ وتلاحم عناصره الدلالية إلا أننا لم نذكرها لعدم علمنا بها، ولعدم سعة المجال للتفصيل في كل ما يتعلق بوصف النصّ القرآني، كون أنّه نصّ يعلو عن كلّ وصف، ويسمو عن كلّ دراسة لا يمكن أن توصف إلا بالنقص والتقصير.

# الختامة

بعد هذه المحطات العلمية، والفصول البحثية النظرية والتطبيقية كان لا بد علينا أن نظهر أبرز النتائج التي خلصنا إليها، والتي يمكن عرضها كالآتي:

- لا يمكن أن يوصف البناء اللغوي بأنه نص إلا إذا اجتمعت فيه مجموعة من المعايير النصية، والتي حددها علماء النص في سبعة معايير، وهي: الاتساق، والانسجام، والقصد، والقبول، والموقفية، والتناص، والإعلامية.
- يمكن توسيع دائرة الإحالة في نحو النص والقول أن مختلف الأسماء هي عبارة عن إحالات إلى ما دلت عليه في الأصل في المرجع.
- هناك تشابه كبير بين الاستبدال والحذف؛ حيث إنهما علاقتان نصيتان تجمعان بين عنصرين في نص واحد، وأن كلا منهما يستند في تفسيرهما وتأويلهما إلى العنصر المفترض السابق لهما، إلا أن الحذف يختلف عن الاستبدال في كون أنه استبدال بالصفرة؛ أي إن علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها وجود عنصر الاستبدال، أما الحذف فلا يخلف أثراً، بل يدرك من خلال السياق اللغوي للكلام.
- يتحقق الترابط النحوي النصي بواسطة عدة أدوات، منها الوصل الذي لا يتضمّن إشارة إلى عنصر مفترض سابق أو لاحق في النص، بل هو الجمع بين جملتين متتاليتين بطريقة منتظمة بواسطة أداة مخصوصة، ويتحدد نوع الوصل حسب اختلاف نوع هذه الأداة.
- يعتبر علم اللغة النصي الحديث أن السياق والنص وجهان لعملة واحدة، بحيث لا يمكن أن يفسر النص إلا إذا أحيط بكامل الظروف التي أنتج فيها، فـ "هاليداي" مثلاً يرى أن النص هو اللغة التي تخدم غرضاً معيناً في إطار سياق ما.
- إن موضوع النص هو الجامع الدلالي الذي يجمع بين المتتاليات الجمالية المكوّنة للنص؛ حيث يمكن أن يختزل موضوع النص/الخطاب وينتظم ويصنف الاختيار الدلالي للمتتاليات ككل، ومن هذا يمكن اعتبار موضوع النص بنية دلالية يتحقق

بواسطتها انسجام البنية الدلالية الكلية للنص، وهو أيضا أداة إجرائية حدسية تقارب بها البنية الكلية للنص.

- يمكن للترتيب الطبيعي للجمل داخل النص أن يتحكّم في تغيير المعنى الذي أنتج النص من أجل إظهاره، ولا يمكن أن يحدث الفهم إلا إذا كان هذا الترتيب موافقا لما يقتضيه موضوع النص من دلالات ومعان.

- تجع العلاقات الدلالية أطراف النص وتربط بين متتالياته دون الحاجة إلى وسائل لفظية ظاهرة، كما تتغير هذه العلاقات حسب طبيعة النص ومضمونه، نذكر منها علاقة الإجمال والتفصيل، وعلاقة التوضيح، وعلاقة التعليل على سبيل المثال.

- من خلال الدراسة التحليلية لنص سورة يوسف استنتجنا أنه نصّ تنوع فيه استعمال مختلف أدوات الاتساق النصي، من إحالة واستبدال وحذف ووصل واتساق معجمي، إلا أنّ أكثر الأدوات استعمالا هي أداة الإحالة التي لا تكاد تخلو أي آية منها.

- كل أداة من أدوات الاتساق ساهمت رفقة الأدوات الأخرى في تحقيق كمال وتمام البنية التركيبية؛ حيث نجد الإحالة مثلا بالضمير أو اسم الإشارة قد ساهمت في الربط اللفظي بين عنصرين أحدهما سابق والآخر لاحق دون الحاجة إلى تكرار العنصر المبدل منه بالضمير أو اسم الإشارة.

- يعدّ الوصل وسيلة الاتساق الثانية التي حققت أعلى نسبة تواتر في نصّ سورة يوسف بعد وسيلة الإحالة؛ حيث نجد أنّ الوصل (بأنواعه المختلفة) قد ساهم في ترابط وتلاحم العناصر التركيبية المكوّنة للنصّ القرآني، وذلك من خلال استعمال أدوات لفظية كـ "الواو"، و"أو" و"لكن"، و"بل"، أو دون الاستعانة بهذه الأدوات من خلال الربط وفق العلاقات البيانية كالعلاقة السببية.

- من خلال الدراسة التحليلية لنصّ سورة يوسف تبين لنا أنّه نصّ اعتمد في انسجامه على مجموعة من آليات الانسجام النصّي، وهي: السياق، والتأويل والمعرفة الخلفية، وموضوع النصّ، والتغريض، والعلاقات الدلالية.
- يظهر السياق التّحوي في سورة يوسف في عدة مظاهر منها ما تمثّل في مجموع العلاقات الرابطة بين الألفاظ والجمل داخل النصّ، ومنها ما تمثّل في جملة الخصائص المتعلقة باللفظ في حالة تركيبه، كالوظيفة، والموقع، والرتبة.
- يتمثّل السياق الصرفي في نصّ سورة يوسف في كل ما تعلّق بطبيعة الألفاظ في مستواها الصّرفي؛ إذ إنّ كلّ تغيير أو زيادة في بنية اللفظ يقابله زيادة في المعنى، ومن أمثلة هذا السياق ما تعلّق بالجموع وأنواعها، والإعلال، والإبدال، والحذف، وغيرها من الظواهر الصّرفية الظاهرة في نصّ سورة يوسف.
- السياق الصوتي هو كل ما تعلّق بالجانب الصوتي من ظواهر صوتية، والتي يؤدي عدم العلم بها إلى إحداث خلل في مستوى بنية المعاني، أو إخراج هذه البنية عن أصلها، كمخارج الأصوات وصفاتها، ومقاطع الكلام وتقسيماته الصوتية، والنبر والتنغيم، وغيرها من الظواهر التي تساهم بشكل مباشر في تحقيق تآلف المعاني وانسجامها.
- يتمثّل السياق غير اللغوي (الخارجي) في مجموع الظروف الخارجية المحيطة بالبنية اللغوية، ويظهر هذا النوع من السياق في نصّ سورة يوسف في سبب التّزول، والذي يجعل القارئ المتدبّر يقف على أهمّ المعاني المطروحة في نصّ هذه السورة.
- يوجد في نصّ سورة يوسف مواطن كثيرة فتحت أمام المفسّرين أبواب التأويل والاجتهاد في فهم النصّ القرآني فهما سليما بالارتكاز على دلائل مقالية فيه، وأخرى مقامية مرتبطة به.

- يجب على قارئ نصّ سورة يوسف أن يكون عارفا متمكّنا من النّصوص المرتبطة به، سواء تعلّق الأمر بنصوص القرآن الكريم، أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو الأشعار العربية المحتجّ بها، ذلك لأنّ تأويل المعاني وفهمها مرتبط بفهم طبيعة التركيب وألفاظها، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى النّصوص الأخرى التي ضمّت مثل تلك التراكيب والألفاظ.
- لا يمكن التعرّف على موضوع النّص إلا بالنظر إلى جملة من الإشارات الظاهرة، والمفاتيح الشكلية المتعلقة ببنية النّص، فاسم سورة يوسف يعتبر مفتاحا لمعرفة موضوعها، آلية لفهم فحوى مضمونها الذي تمثل في ذكر أحداث قصّة يوسف عليه السلام، وما ارتبط بها من مواعظ وفوائد وحكم.
- يعدّ التّغريض آلية من آليات الترابط الدلالي، والذي له دور كبير في تأويل المعاني وفهمها فهما سليما؛ حيث تظهر هذه الآلية في نصّ سورة يوسف من خلال عدة وسائل منها: اسم السورة، والجملة المفتاح فيها، وتكرار اسم يوسف في مواطن عدة منها.
- وفي الأخير نسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل المتواضع، وأن يبارك فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



# ملحق المصطلحات

حاولنا في هذا الجزء من البحث أن نجمع كل المصطلحات التي اعتمدنا عليها فيه مع إرفاق كل مصطلح بترجمة له باللغتين: الفرنسية والإنجليزية، كما حاولنا جمع هذه المصطلحات في الجدول التالي:

الرقم	المصطلح بالعربية	ترجمته	
		إلى الفرنسية	إلى الإنجليزية
01	الإبطلاي	Réfutation	Refutation
02	الاتساق	Cohésion	Cohesion
03	الاتساق المعجمي	Cohésion Lexicale	Lexical cohesion
04	الإحالة	Référence	Reference
05	أدوات المقارنة	Outils de Comparaison	Comparison Tools
06	أدوار أخرى	Autre Rôles	Other Roles
07	أدوار الكلام	Rôles de Discours	Speech Roles
08	الاستبدال	Substitution	Substitution
09	الاستعارة	Métaphora	Metaphora
10	الاسم الموصل	Nom Relatif	Nam Relative
11	أسماء الإشارة	Noms Démonstratifs	Demonstrative Names
12	الإعلامية	Informatif	Informative
13	الأفعال اللغوية	Les actes de Langage	Speech acts
14	الانسجام	Cohérence	Coherence
15	الإيجاز	Brièveté	Shortness
16	البعديّة	Dimensionnalité	Dimensionality
17	بنية	Structure	Structure
18	بنية سطحية	Structure Surface	Surface Structure

Deep Structure	Structure Profonde	بنية عميقة	19
Confirmational	Confirmatif	تأكيدي	20
Interpretation	Interprétation	التأويل	21
Interpretability	Interprétabilité	تأويلية	22
Contextual Analysis	Analyse Contextuelle	تحليل سياقي	23
Gradation	Gradation	تدرج	24
Cohesiveness	Cohésivité	ترابط	25
Arrangement	Arrangement	ترتيب	26
Syntactic	Syntaxique	تركيبية	27
Conjugation	Conjugaison	التصريف	29
Antonymy	Antonymie	التضاد	30
Collocation	Collocation	التضام	31
Explanation	Explication	التفسير	32
Reiteration	Réitération	التكرار	33
Cohesiveness	Cohésivité	التماسك	34
Intertextuality	Intertextualité	التناص	35
Intonation	Intonation	التنغيم	36
Confirmation	Confirmation	التوكيد	37
Sentence	Phrase	الجملة	38
Deletion	Effacement	الحذف	41
Discourse	Discours	الخطاب	42
Oratorical	Oratoire	الخطابي	43
Logical Bender	Lieur Logique	رابط منطقي	44
Order	Ordre	الرتبة	45
Antecedent	Antécédent	سابق	47

Context	Contexte	السياق	48
Cultural Context	Contexte Cultural	السياق الثقافي	49
Emotional Context	Contexte Émotionnel	السياق العاطفي	50
Linguistic Context	Contexte Linguistique	السياق اللغوي	51
Situational Context	Contexte Situational	سياق الموقف	52
Textuelle context	Contexte Textuelle	السياق النصي	53
Morphemic	Morphématique	صرفي	54
Voiced	Sonore	صوتي	55
Extragrammatical Factor	Facteur Extragrammatical	عامل غير لغوي	60
Conjunction	Conjonction	العطف	61
Inversive	Inversif	عكسي	62
Relation	Relation	العلاقة	63
Part to all Relation	Relation de Partie a tout	علاقة الجزء بالكل	64
Semantic Elements	D'élément Sémantique	العناصر الدلالية	65
Intentionality	Intentionnalité	القصدية	71
Linguistic Textual	Linguistique Textuelle	لسانيات النص	73
Full Interpretation Principle	Principe D'interprétation Totale	مبدأ التأويل التام	74
String	Séquence	متتالية	75
Cohesive	Cohésif	تماسك	76
Addressee	Destinataire	مخاطب	77
Addresser	Destinateur	مخاطب	78
Referent	Référent	مرجع	79

World Knowledge	Connaissance de Monde	المعرفة بالعالم	80
Acceptability	Acceptabilité	مقبولية	81
Syllable	Syllabe	مقطع	82
Productive	Productive	منتج	83
Position	Position	موقف	84
Positivism	Positivisme	موقفية	85
Accant	Accent	نبر	86
Sentence Grammar	Grammaire de Phrase	نحو الجملة	87
Text Gammare	Grammaire de Texte	نحو النص	88
Text	Texte	النص	89
Informative Text	Texte Informatif	النص الإعلامي	90
Argumentative Text	Texte Argumentatif	النص الحجاجي	91
Narrative Text	Texte Narratif	النص السردى	92
Descriptive Text	Texte Descriptif	النص الوصفى	93
Textuality	Textualité	النصية	94
Morphemes	Morphèmes	الوحدات الصوتية	95
Link	Liaison	الوصل	96
Referential Function	Fonction Référentielle	الوظيفة المرجعية	97

في الأخير نود أن نشير إلى أن أغلب المصطلحات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية) التي وردت في الجدول السابق اقتبسناها من مؤلف: معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي - فرنسي - عربي)، عبد القادر الفاسي الفهري بمشاركة نادية العمري، دار الكتاب الجديد المتحدة، (دط)، الرباط: 2007م.

# قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

### أ- الكتب العربية:

(1) إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النَّص، دار المسيرة، ط2، عمان، الأردن: 1430هـ/2009م.

(2) أحمد بن يوسف (السمين الحلبي)، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دط، دمشق، دت.

(3) أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت: 1380هـ/1960م، مج5.

(4) أحمد عزت يونس، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة: 1435هـ/2014م.  
- أحمد عفيفي:

(5) الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر: (دت).

(6) نحو النَّص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة: 2001م.

(7) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، القاهرة: 1998م.

(8) إدوارد سابير، اللغة (مقدمة في دراسة الكلام)، تر: المنصف عاشور، سلسلة مساءلات، الدار العربية للكتاب، (دط)، تونس: 1995م.

(9) الأزهر الزناد، نسيج النَّص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت: 1993م.

(10) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، (دط)، القاهرة: 1427هـ/2006م.

- 11) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تع: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة: 1416هـ/1996م.
- 12) بشير إبرير، استراتيجية الانسجام في قراءة النص الأدبي (قصة سميرة عزام، دموع البيع نموذجاً)، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر. - أبو البقاء العكبري:
- 13) مسائل خلافية في النحو، تح: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، ط1، بيروت: 1992م، ج1.
- 14) اللباب في علل البناء والإعراب، تح: مختار غازي طليمات، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت: 1995م.
- 15) أبو بكر محمد بن السري البغدادي بن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مطبعة سلمان الأعظمي، دط، بغداد، 1973م.
- 16) بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب: 2006م. - تمام حسان:
- 17) اجتهادات لغوية، عالم الكتب، ط1، القاهرة: 1428هـ/2007م.
- 18) البيان في روائع القرآن، دار عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1413هـ/1993م.
- 19) اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1994م. - تون فان دايك:
- 20) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتب، ط1، القاهرة، مصر: 1421هـ/2001م.



- (21) النَّص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، (دط)، المغرب: 2000م.
- (22) ج. ب. براون، ج. بول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطيف الزليطي ومنير التريكي، دط، جامعة الملك سعود، الرياض: 1418هـ/1997م.
- (23) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض: 1418هـ/1998م.
- جلال الدين السيوطي:
- (24) الإتيقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان: 1429هـ/2008م.
- (25) تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان: 1406هـ/1986م.
- (26) معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد النجاوي، دار الفكر العربي، (دط)، مصر: 1973م.
- (27) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد السلام محمد هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، (دط)، بيروت: 1413هـ/1992م.
- (28) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، مصر: 1998م.
- (29) جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، ط2، الدار البيضاء: المغرب، 1997م.

- (30) جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد: 1987م.
- (31) حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي، (دط)، بغداد: 1989م.
- (32) حسام البهنساوي، أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، مصر: 1423هـ/2003م.
- (33) أبو الحسن علي بن علي الحسين الباقولي، شرح اللمع للأصفهاني، تح: إبراهيم بن محمد أبو عبادة، جامعة الإمام بن مسعود الإسلامية، دط، المملكة العربية السعودية: 1411هـ/1990م.
- (34) الحسين بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، لبنان: 1413هـ/1992م.
- (35) حكمت بن بشير بن ياسر، التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح السبور من التفسير بالمأثور)، دار المآثر، ط1، المدينة المنورة: 1420هـ/1996م.
- (36) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1413هـ/1993م.
- (37) خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، ط1، عمان، الأردن: 2009م.
- (38) ديوان قيس بن الخطيم، تح: ناصر الدين الأسد، دار صادر، دط، بيروت، دت.

- رمضان عبد التواب:

(39) التطور النحوي للغة العربية (محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية  
المستشرق الألماني برجستراسر)، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة:  
1414هـ/1994م.

(40) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط3،  
القاهرة: 1417هـ/1997م.

(41) روبرت دي بوجراند وولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: إلهام  
أبو غزالة وعلي خليل حمد، دار الكتاب، ط1، نابلس: 1413هـ/1992م.

(42) روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: حسان تمام، عالم  
الكتب، ط1، القاهرة: 1418هـ/1998م.

(43) زاهر مرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، دار جرير، ط1،  
عمان، الأردن: 2010م.

(44) زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تر:  
سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة: 1424هـ/2003م.

(45) أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تح: محمد عليّ النجار وأحمد يوسف  
نجاتي، دار الكتب المصريّة، ط1، القاهرة: 1955م.

- سعيد حسن بحيري:

(46) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ط1، مكتبة الآداب،  
القاهرة: 1429هـ/2005م.

(47) علم لغة النصّ (المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت،  
لبنان: 1997م.

- (48) سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، ط1، القاهرة: 1405هـ/1975م.
- (49) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، ط1، القاهرة: 1431هـ/2000م.
- (50) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار عالم المعرفة، (دط)، الكويت: 1992م.
- (51) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تع: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، دط، القاهرة، دت.
- (52) طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، دط، الإسكندرية، 1998م.
- (53) أبو العباس الميرد، المقتضب، تع: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط2، القاهرة: 1399هـ/1979م.
- (54) عبد الجليل منقور، علم الدلالة، اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2001م.
- (55) عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، تع: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، ط1، الجزائر: 1430هـ/2009م.
- عبد القاهر الجرجاني:
- (56) أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة: 1991م.

- 57) دلائل الإعجاز، تع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، (دط)، القاهرة: (دت).
- 58) عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدنبري، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة: 1414هـ/1993م.
- 59) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان: 1427هـ/2006م.
- 60) عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المسيرة، ط3، عمان، الأردن، 1431هـ/2010م.
- 61) عز الدين المجذوب، المنوال النحوي العربي، قراء لسانية جديدة، دار محمد علي الحامي، ط1، تونس: 1998م.
- 62) علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البنية إلى القراءة)، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء: 1421هـ/2000م.
- 63) علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، دار الثقافة، ط1، عمان، الأردن: 2002م.
- 64) ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، (دط)، الإسكندرية: 1995م.
- 65) فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، ط2، عمان، الأردن: 1427هـ/2007م.
- أبو الفتح عثمان بن جني:

- (66) الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار عالم الكتب، ط1، بيروت: 1995م.
- (67) اللّمع في العربية، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، دط، الكويت: 1972م.
- (68) فتحي عبد الفتاح الدّجني، الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا، مكتبة الفلاح، ط2، الكويت: 1408هـ/1986م.
- (69) فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي، ط5، حلب، سوريا: 1409هـ/1989م.
- (70) فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، (دط)، القاهرة: (دت).
- (71) قاسم محمد بن أحمد بن جوزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط: محمد سالم هاشم، دار الكتب العالمية، ط1، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.
- (72) كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط2، القاهرة: 1431هـ/2010م.
- (73) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، (دط)، القاهرة: 2000م.
- (74) لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، إشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، مطبعة المصحف الشريف، ط3، مصر، 1413هـ/1992م.
- (75) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان: 1426هـ/2005م.
- (76) محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية مكوناتها أنواعها تحليلها، مكتبة الآداب، (دط)، القاهرة، (دت).

- (77) محمد أحمد خضير، الأدوات النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم، مكتبة الانجلو المصرية، (دط)، القاهرة: 2001م.
- (78) أبو محمد الحسن بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تح: سليمان مسلم الحرش وآخرون، دار طيبة، (دط)، الرياض: 1411هـ.
- (79) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (دط)، تونس: 1984م.
- (80) أبو محمد بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان: 1422هـ/2001م.
- (81) محمد حماسة عبد اللطيف وأحمد مختار عمر ومصطفى النحاس زهران، النحو الأساسي، دار الفكر العربي، دط، القاهرة: 1417هـ/1997م.  
- محمد حماسة عبد اللطيف:
- (82) بناء الجملة العربية، دار غريب، (دط)، القاهرة: 2003م.
- (83) النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي - الدلالي)، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1420هـ/2000م.
- (84) محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء: 2006م.
- (85) محمد صبحي الأخضر، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، القاهرة: 2008م.
- (86) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان: 1994م.

- (87) محمد عزة شبل، علم النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، مصر: 2009م.
- (88) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الكريم العزباوي، مراجعة: أحمد مختار عمر وعبد اللطيف محمد الخطيب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط1، الكويت: 1421هـ/2000م.
- (89) محمود عكاشة، تحليل النص، دراسة في الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، القاهرة: 1435هـ/2014م.
- (90) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، (دط)، القاهرة: (دت).
- (91) مختار غازي طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، (دط)، دمشق، سوريا: (دت).
- (92) مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، لبنان: 1997م.
- (93) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، ط28، صيدا، بيروت: 1414هـ/1993م.
- (94) منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص (نصوص مترجمة)، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب: 2004م.
- (95) ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت: 1414هـ/1994م.
- (96) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، لبنان: 1406هـ/1986م.



- 97) موسى بن مصطفى العبيدان، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، دار الأوائل، ط2، سوريا: 2002م.
- 98) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 1431هـ/2010م.
- 99) نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط6، بيروت: 2006م.
- 100) نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، جدارا للكتاب العالمي، ط1، الأردن: 1429هـ/2009م.
- 101) هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل، ط1، الأردن: 1427هـ/2007م.
- ابن هشام الأنصاري:
- 102) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، المساهم فهرست، ط1، الكويت: 1421هـ/2000م.
- 103) رسالة المباحث المرضية المتعلقة بمن الشرطة، تح: مازن المبارك، دار ابن كثير، ط1، دمشق: 1408هـ.
- 104) أبو هلال الحسن بن عبد الله سهل العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد باسل عبدون السود، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان: 2003م.
- 105) ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة النبوية، (دط)، مصر: (دت).
- يوسف نور عوض:
- 106) علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة، ط1، مكة المكرمة: 1410هـ.

107) نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين، ط1، القاهرة: 1994م.

ب - المجلات والدوريات:

1) تراث حاكم الزيايدي وعقيل محمد العنكوشي، الاستبدال في جملة التذييل في القرآن الكريم دراسة في ضوء لسانيات النص، مجلة أروك للعلوم الإنسانية، ع363، العراق: 2017م.

2) جلال مصطفاوي، الانسجام النصي وعلاقاته (النظرية والتطبيق)، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، ع 39، الجزائر: دت.

3) حسين علي هادي، الإعجاز التعبيري في سورة الواقعة (التماسك النصي أنموذجا)، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العراق: 2017م، ص 111/110.

4) حمادة عبد الإله حامد، التماسك النصي بالإحالة، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة، دار الكتب المصرية، ع9، ج6، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مصر: 1436هـ/2015م.

5) خالد علي مصطفى وربى عبد الرضا عبد الرزاق، مفهومات نظرية القراءة والتلقي، بحث مستل من أطروحة الدكتوراه، مجلة ديالى، ع 69، العراق: 2012م.

6) خليل خلف بشير العمري، السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج9، ع2، العراق: 2010م.

7) سليمان بوراس، إسهامات الدرس القرآني في تحديد مقولات لسانيات النص، مجلة التواصلية، ع4، الجزائر: (دت).

- 8) الطيب لعزالي قواوة، الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، ع8، بسكرة، الجزائر: 2012م.
- 9) عبد العظيم فتحي خليل، مباحث حول نحو النص، مجلة اللغة العربية، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، القاهرة: (دت)، (عن موقع: www.alukah.net).
- 10) مليحة بنت القحطاني، أنماط الإحالة في القصص القرآني، قصة موسى عليه السلام نموذجاً، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، ع3، جامعة سطات بن عبد العزيز، السعودية: دت.
- 11) مهدي صالح الخفاجي، وباسمة عبد العزيز علي، إحالة أسماء الإشارة في النحو العربي، مجلة كلية التربية الأساسية، ع87، مج 21، الموصل: 2015م.
- 12) نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمير ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر، ع1، مجلد: 13، غزة: 2011م.
- 13) نعيمة سعدية، الاتساق النصي في التراث العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع5، الجزائر: 2009م.
- 14) يوسف سليمان عليان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل من كتاب سيبويه، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج7، ع1، الأردن: 1432هـ/ 2011م.

ج - الكتب الأجنبية:

- 1) Bernard Combettes, Quelques jalons pour une pratique textuelle de l'écrit, CRDP Cefisem, Clermont – Ferrand, 1989.

- 2) Coirier (P) et autres, Psylinguistique textuelle (Approche cognitive de la compréhension et de la production des textes), Armand Colin – Masson, Paris, 1996.
- 3) Halliday M.A.K and Roquaya Hassan, Cohesion English, Langman, London : 1976.

# فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المقدمة.....	06.....
<b>المدخل: لسانيات النص بين التأسيس العربي والتلقي الغربي</b>	
1- مفهوم لسانيات النص.....	14.....
2- الإرهاصات النصية في التراث اللغوي العربي.....	16.....
1-2- نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني.....	17.....
2-2- التنظير لعلم المناسبة.....	22.....
3- علم لسانيات النص (عند الغرب).....	28.....
<b>الفصل الأول: بين الجملة والنص</b>	
1- الجملة.....	34.....
1-1- مفهومها.....	34.....
2-1- نحو الجملة.....	39.....
1-2-1- بين الجملة والكلام.....	39.....
2-2-1- بناء الجملة.....	43.....
3-1- أنواع الجمل.....	46.....
1-3-1- التقسيم الأول.....	46.....
1-1-3-1- الجملة الفعلية.....	47.....

47.....	2-1-3-1- الجملة الاسمية
50.....	3-1-3-1- الجملة الشرطية
51.....	4-1-3-1- الجملة الظرفية
52.....	2-3-1- التقسيم الثاني:
52.....	1-2-3-1- الجملة الأصلية
52.....	2-2-3-1- الجملة الكبرى
53.....	3-2-3-1- الجملة الصغرى
56.....	2- النّص
56.....	1-2- مفهومه
63.....	2-2- النصّية
64.....	1-2-2- معايير النصّية
70.....	3-2- أنواع النّصوص
72.....	1-3-2- التصنيف الوظيفي التواصلي
73.....	2-3-2- التصنيف السياقي
74.....	3-3-2- التصنيف حسب العملية الذهنية الموظفة في النّص
77.....	3- مقارنة الجملة بالنّص

الفصل الثاني: الاتساق النّصي

87.....	1- مفهوم الاتساق.....
94.....	2- أدوات الاتساق.....
94.....	2-1- الإحالة.....
99.....	2-1-1- وسائل الإحالة.....
100.....	2-1-1-1- الضمائر.....
104.....	2-1-1-2- أسماء الإشارة.....
108.....	2-1-1-2- الاسم الموصول.....
110.....	2-1-1-2-1- الاسم الموصول المختص.....
110.....	2-1-1-2-2- الاسم الموصول العام.....
113.....	2-1-1-2- أدوات المقارنة.....
114.....	2-2- الاستبدال.....
116.....	2-2-1- أنواع الاستبدال.....
116.....	2-2-1-1- الاستبدال الاسمي.....
117.....	2-2-1-2- الاستبدال الفعلي.....
118.....	2-2-1-3- الاستبدال القولبي.....
120.....	2-3- الحذف.....



123.....	1-3-2- مرجعية الحذف
125.....	2-3-2- أنواع الحذف
126.....	1-2-3-2- الحذف الاسمي
126.....	2-2-3-2- الحذف الفعلي
127.....	3-2-3-2- الحذف القولي
128.....	4-2- الوصل
129.....	1-4-2- الوصل الإضافي
138.....	2-4-2- الوصل العكسي
143.....	3-4-2- الوصل السببي
146.....	4-4-2- الوصل الزمني
147.....	5-2- الاتساق المعجمي
148.....	1-5-2- التكرار
152.....	2-5-2- التضام

### الفصل الثالث: الانسجام النّصي

159.....	1- مفهوم الانسجام
161.....	2- آليات الانسجام
161.....	1-2- السياق

166.....	1-1-2- أقسام السياق
166.....	1-1-1-2- السياق اللغوي
167.....	2-1-1-2- السياق العاطفي
168.....	3-1-1-2- سياق الموقف
170.....	4-1-1-2- السياق الثقافي
171.....	2-1-2- السياق والمعنى
172.....	3-1-2- السياق والتركيب
173.....	4-1-2- خصائص السياق
174.....	2-2- التأويل
177.....	1-2-2- نظرية التلقي
179.....	3-2- المعرفة الخلفية (معرفة العالم)
182.....	4-2- موضوع الخطاب/النص
185.....	5-2- مبدأ التشابه
187.....	6-2- التغيريض
190.....	7-2- العلاقات الدالية
190.....	1-7-2- علاقة الإجمال والتفصيل
193.....	2-7-2- علاقة التوضيح

195.....علاقة التعليل 3-7-2

196.....علاقة التدرج 4-7-2

### الفصل الرابع: الاتساق والانسجام في سورة يوسف

199.....مدخل نظري 1-1

199.....التعريف بسورة يوسف 1-1-1

200.....فضائل سورة يوسف 2-1

201.....سبب النزول 3-1

202.....القصة الواردة في سورة يوسف 4-1

204.....الجمال في سورة يوسف 2-1

210 .....وسائل الاتساق النصي في سورة يوسف 3-1

328.....وسائل الانسجام في سورة يوسف 4-1

328.....السياق 1-4

329.....السياق الداخلي (السياق اللغوي) 1-1-4

329.....السياق النحوي 1-1-1-4

338.....السياق الصرفي 2-1-1-4

342.....السياق الصوتي 3-1-1-4

345.....السياق المعجمي 4-1-1-4

348.....	2-1-4- السياق الخارجي (غير اللغوي)
357.....	2-4- التأويل
363.....	3-4- المعرفة الخلفية (معرفة العالم)
364.....	1-3-4- القرآن الكريم
367.....	2-3-4- الحديث النبوي الشريف
370.....	3-3-4- الشعر العربي
372.....	4-4- موضوع النص
374.....	5-4- التغريض
375.....	1-5-4- العنوان
376.....	2-5-4- الجملة الأولى
377.....	3-5-4- تكرار الاسم
380.....	6-4- العلاقات الدالية
380.....	1-6-4- علاقة الإجمال والتفصيل
383.....	2-6-4- علاقة التوضيح
385.....	3-6-4- علاقة التعليل
386.....	4-6-4- علاقة التدرج
390.....	الخاتمة

395.....	ملحق المصطلحات.....
400.....	قائمة المصادر والمراجع.....
415.....	فهرس الموضوعات.....